

العلوم الاجتماعية

• عدد خاص •



وأوراق

- يوم منهجي طويل -
تقنيات البحث في علم النفس
وعلم النفس الاجتماعي

13 نيسان 2019

مختبر علم النفس الاجتماعي في مركز الأبحاث
معهد العلوم الاجتماعية
الجامعة اللبنانية

أوراق بحثية

مؤتمر

الأولاد والمراهقون
في مجتمع متغير:
أية مرجعية؟

عقد بتاريخ 4 و 6 آذار، 2019





CPRM



وزارة الثقافة
Ministère de la Culture



AUF
Agence
UNIVERSITAIRE
de FRANCOPHONIE
Moyen-Orient



بنك بيروت
Bank of Beirut
Banking Beyond Borders



CRSS-UL

هيئة تحرير وتقييم هذا العدد

- د. مارلين حيدر: عميدة معهد العلوم الاجتماعية - إشرافاً
- د. مها كيال: رئيسة مركز الأبحاث - تنسيقاً وتحريراً
- د. رجا مكي: منسقة مختبر علم النفس الاجتماعي - تنسيقاً وتحريراً
- د. مصطفى حجازي: استاذ علم النفس - قسم علم النفس في الجامعة اللبنانية - تقييماً
- د. الآن فانيه: محلل نفسي ودكتور في علم النفس المرضي - تقييماً

Alain Vanier : Docteur en Psychopathologie Fondamentale et Psychanalyste,
Président de l'Esace Analytique (A.F.P.R)

شكر وتقدير

هيئة التحرير تشكر:

- رعاية الرئيس للمؤتمر البروفيسور فؤاد أيوب
- مسؤولية العلاقات الخارجية د. زينب سعد، المكتب الجامعي للفرنكوفونية في الشرق الاوسط
- بشخص مديره الاقليمي السيد Hervé Sabourin، وزارة الثقافة، بلدية سن الفيل، بنك بيروت،

CPRM

رؤساء الجلسات

- عميدة معهد العلوم الاجتماعية في الجامعة اللبنانية، د. مارلين حيدر نجار.
- رئيسة مركز الابحاث في الجامعة اللبنانية، د. مها كيال.
- مدير صندوق التعاضد لأفراد الهيئة التعليمية في الجامعة اللبنانية، سليم مقدسي.
- رئيسة قسم علم النفس في الجامعة اللبنانية - الفرع الرابع، صونيا شمعون.
- العميد السابق لمعهد العلوم الاجتماعية في الجامعة اللبنانية، د. يوسف كفروني .

الباحثين المشاركين : ليلي الديراني، نيكولا رزق، إيمان مكي، جانين أبو طقة
الباحثين الناشرين للأوراق البحثية في هذا العدد الخاص:

Alain Vanier, Catherine Saladin, Catherine Vanier, Aline Hussein Assaf, Didier Lauru, Dina Joubrel
مصطفى حجازي، ندى الطويل،

يتم الاستشهاد بأوراق هذا العدد على النحو التالي:

أسم مؤلف الورقة

عنوان الورقة، (السنة)، من مجلة العلوم الاجتماعية - عدد خاص 4 بعنوان : " الأولاد والمراهقون
في مجتمع متغير: أية مرجعية؟". من منشورات مختبر علم النفس الاجتماعي- مركز الأبحاث في
معهد العلوم الاجتماعية/ الجامعة اللبنانية.

جميع حقوق الطبع محفوظة
ISSN : 2664-021X

توطئة



يوجد اليوم، وبحسب الأمم المتحدة، 1.8 مليار شخص تتراوح أعمارهم بين 10 و 24 عامًا، وهو أكبر جيل من الشباب في التاريخ. يعيش حوالي 90% منهم في البلدان النامية، حيث يمثلون جزءًا كبيرًا من السكان. ومن المتوقع، ودائمًا بحسب المصدر نفسه، أن يرتفع عددهم بين عامي 2015 و 2030، لـ 1.9 مليار. (ONU, 2019)

إن هذه الفئة العمرية التي تتنامى ديموغرافياً، ما زالت مقارباتها على مستوى العلوم الاجتماعية فتية زمنياً ومعرفياً لا سيما في عالمنا العربي واللبناني ضمناً، وذلك بالرغم من تعقيداتها المرتبطة بالتحولات البيولوجية، الاجتماعية، النفسية والثقافية، وبالرغم من أنها هي الفئة التي ستبني الغد في مجتمعاتنا، وبالرغم من تنامي المرجعيات المؤثرة في تكوين هذه الشريحة في عالمنا المعولم الذي يزداد تطوراً تكنولوجياً وثقافياً بشكل لم تعد المرجعيات التقليدية للفئات الشابة قادرة على فهمه واستيعابه واللاحق به.

أمام هذا النقص الكبير في المعرفة تجاه هذه الفئة العمرية، لا بد من أن يعد هذا المؤتمر" الأوالاد والمراهقون في مجتمع متغير: أية مرجعية؟ فاتحة لأبحاث في الميادين المعرفية الاجتماعية الأخرى حول الشباب، وذلك سواء من خلال مؤتمرات، أو ورش عمل، أو محاور بحثية في مختبراتنا في مركز الأبحاث.

وكما أن الاهتمام بالشباب بمهمة علمية ضرورية بالنسبة إلى مركز الأبحاث في معهد العلوم الاجتماعية، كذلك هي مهمة العمل الدائم والمستمر للبحث في مناهج وتقنيات البحث في مختبراتنا، فلكل علم من العلوم الاجتماعية متميزاته في المقاربات المنهجية والتقنية التي من المهم البحث فيها وتطويرها وفق تطور آليات البحث الاجتماعي وتقنياته، حلمنا الأكبر في مركز الأبحاث أن ننظم في المستقبل مؤتمرات دورية تشترك ضمنها كافة المختبرات البحثية في المركز، كما نستضيف فيها خبراء اقليميين ودوليين، وذلك فقط للبحث في آليات البحث العلمي وتطوراتها المعرفية، التقنية والفنية، فهذا النوع من المؤتمرات نعتبره من أساسيات تفعيل مركز الأبحاث في المعهد، ومن أهم أساليب تطوير البحث العلمي الذي ينتجه.

رئيسة مركز الأبحاث
مها كيال

المؤتمر الثالث لتعابُر الاجيال الأولاد والمراهقون في مجتمع متغيّر: أيّة مرجعية؟

المشروع وأهدافه

تقديم

يندرج هذا المؤتمر ضمن سلسلة من المؤتمرات السنوية التي تطال الأبعاد النفسية والاجتماعية لمكونات وقضايا المجتمع. تتمّ هذه المؤتمرات برعاية رئيس الجامعة اللبنانية البروفسور فؤاد أيوب، وهي من تنظيم منسقة مختبر علم النفس الاجتماعي البروفسورة رجاء مكي بالتعاون مع رئيسة مركز الابحاث البروفسورة مها كيال وبالتنسيق مع عميدة معهد العلوم الاجتماعية البروفسورة مارلين حيدر.

تناول المؤتمر الأول الأمومة، وعنوانه، "الأمومة والجسد في تعابُر الأجيال: قدر محتم أو خيارات منقولة؟"، (نُشرت أوراقه في مجلة العلوم الاجتماعية العدد 21 / أكتوبر 2018).

أما المؤتمر الثاني ضمن هذه السلسلة فقد جاء تحت عنوان: "الأب الرمزي بين المنع والتحول"، وهدفه الإضاءة على دور الأب والتحوّلات الاجتماعية والنفسية، وقد أتى دور الطفل والمراهق في المؤتمر الأخير، الذي يتضمن هذا العدد أوراقه البحثية، لتكتمل سلسلة من الأبحاث العلمية التي تتناول مكونات العائلة التي تمر بتغيرات مجتمعية وثقافية ونفسية، لعلّ هذه الاضاعات تحمل معها وبطريقة علمية وعيًّا للسعي إلى سبل علاجية.

حمل المؤتمر بالإضافة إلى ما سبق، أهدافًا أخرى موازية ومنها:

السعي الدائم للارتقاء بالبحث العلمي وتطوير المناهج لاسيما في الجامعة اللبنانية المقدامة دومًا على الانفتاح العلمي، للإبقاء على نقاء صورة لبنان الثقافية وصورة جامعتة الوطنية العلمية. لذلك تمّ في هذا المؤتمر تخصيص سيمبوزيوم لطلاب الدكتوراه ولحملة شهادة الدكتوراه لعرض ابحاثهم.

ولقد تمّت دعوة أساتذة من أصحاب الاختصاص في الجامعة الأميركية في بيروت للمداخلة في المؤتمر، كما تمّت استضافة عدد من الأساتذة المختصين الفرنسيين لتقديم ابحاث ومشاركة خبرات تفيد البحث العلمي في لبنان بالإضافة إلى كونها تطال الابعاد الاجتماعية والنفسية للمجتمع، وكل هذا التعاون جاء من باب تبادل الخبرات العلمية والمعرفية، ولإبقاء مسار التعاون الداخلي والخارجي لمختبر علم النفس الاجتماعي في معهد العلوم الاجتماعية مفتوحًا. ولقد كان لأساتذة الجامعة اللبنانية مشاركة قيمة على صعيد طروحاتهم العلمية عبر مداخلاتهم وعبر إدارة الجلسات.

إن لهذا المؤتمر شبكة من علاقات التعاون مع وزارات ومراكز ومؤسسات، بالإضافة إلى التشبيك مع هيئات من المجتمع الأهلي تتمثل بالبلديات، ونخص بالذكر AUF، وزارة الثقافة، بلدية سن الفيل، وبنك بيروت.

وكما اهتمام مختبر علم النفس الاجتماعي بمؤتمر حول الأولاد والمراهقين هذه السنة، جاء اهتمامه بمناهج وتقنيات البحث في علم النفس وعلم النفس الاجتماعي، من خلال تنظيمه ليوم منهجي بامتياز لطلاب الماستر والدكتوراة في ميدان علم النفس الاجتماعي. يقع هذا النشاط ضمن سلسلة نشاطات مركز الأبحاث - مختبر علم النفس الاجتماعي في معهد العلوم الاجتماعية في الجامعة اللبنانية، وهو تكملة لعدد من المحاضرات التي قُدمت في نفس الاطار.

إنّ هذا النشاط يمكن توصيفه بيوم تدريبي أكاديمي بامتياز، يهدف إلى مساعدة الطلاب في رصد الحالة وتطبيق تقنيات المقابلة وتحليل المضمون في للوصول إلى تقديم أبحاث علمية متقنة.

منسقة مختبر علم النفس الاجتماعي

رجاء مكي

الفهرس

Introduction : La clinique de la famille

Alain Vanier : Docteur en Psychopathologie Fondamentale et Psychanalyste,
Président de l'Espace Analytique (A.F.P.R.F.) 1

المحور الأول :

الأوديب في وضعه الراهن: الاستحداث السوسيو - ثقافي وأثار التغيير

Psychanalyser les enfants aujourd'hui

Catherine Vanier : 14
Psychanalyste Praticienne à l'Espace Analytique,

Chercheur Associé CRPMS Université Paris Diderot

Comment travaille-t-on aujourd'hui avec les enfants ? La question du transfert
et du travail avec les parents.

Catherine Saladin: 28

Psychanalyste Praticienne à l'Espace Analytique.
L'héritage de la guerre dans le discours d'enfant en analyse

Aline Husseini Assaf: 50

Maître de Conférences à l'UL, Psychanalyste Praticienne à l'Espace Analytique

المحور الثاني:

أثر المنقول في الممارسة اليومية مع المراهقين ما بين الجمود والممانعة

Pères et repères à l'adolescence

Didier Lauru: 61

Psychiatre, Médecin-Directeur du CMPP Etienne Marcel, Psychanalyste
Praticien à l'Espace Analytique

Les soins psychiques confrontés aux ruptures du lien social.

Dina Joubrel: 76

Psychiatre, Psychothérapeute, Médecin-Directeur du CMPP Rennes-Vitré
France

المحور الثالث: الشباب اللبناني ... أساطير وهويّات

"الشباب وقضاياهم في عصر العولمة".

93 **مصطفى حجازي** : أستاذ علم النفس في كلية الآداب في الجامعة اللبنانية

"تحديات الشباب اللبناني المسلم المهاجر، دراسة حالة لبنانيي كندا".

ندى الطويل: منسقة مختبر الأنثروبولوجيا في مركز الأبحاث في معهد العلوم الاجتماعية
في الجامعة اللبنانية. 107

أوراق بحثية : يوم منهجي طويل

المنهجيات الكمية والكيفية في العلوم الإنسانية والاجتماعية (بحث لمحاضرة قدمت في مختبر علم النفس الاجتماعي بتاريخ : 8/11/2018, ولقد نشر في هذا العدد الخاص من المجلة لارتباطه بموضوع اليوم المنهجي الطويل)

محمد شيا : عميد سابق لمعهد العلوم الاجتماعية

"تقنية تحليل المضمون: قراءة المحتوى كميًا وكيفياً"
فاطمة عبود : استاذة علم النفس الاجتماعي في معهد العلوم الاجتماعية - الجامعة اللبنانية

الرسم التمثيلي لشجرة العائلة، كتابة الأصل الكاشفة لتعابر الأجيال
هدى داغر : محللة نفسية

Méthodologie de la recherche en psychanalyse

Aline Husseini Assaf: Maître de Conférences à l'UL, Psychanalyste Praticienne
à l'Espace Analytique

L'entretien semi-directif: entre la prédétermination du questionnaire et la liberté de l'entretien non - directif

Anne-Marie Ghossain: Maitre de conférences de Psychologie Sociale - section
2 à l'Institut des Science Sociale de l'UL

النماذج العلائقية في الأغاني العربية تقنية تحليل المضمون تطبيقياً
سعاد علم الدين: طالبة دراسات عليا (اشراف د. رجا مكي)

Tests en rapport avec la construction identitaire

Jeanine Ziadeh Abou Tacca : Doctorat en Psychologie Clinique - Université Libanaise

المقدمة: عيادة العائلة

Introduction: La clinique de la famille



Milot, R. 2014. The Fall of Icarus. 3x3 Pro Show 11, 2014 – Merit Winner, accessed <<http://www.mor-gangaynin.com/rene-milot-the-fall-of-icarus/>>.

La clinique de la famille

Alain Vanier

D'abord, mes remerciements, mon intérêt et mon émotion à propos de ce colloque qui implique l'association à laquelle j'appartiens, Espace Analytique. Je voudrais remercier pour leur accueil le Directeur Régional de l'Agence Universitaire de la Francophonie au Moyen-Orient, M. Hervé Sabourin ; la Représentante de l'Espace Analytique au Liban, Mme Dr. Hoda Dagher, ainsi que les membres d'Espace analytique au Liban ; Mme Pr Rajaa Makki qui a organisé ce colloque ; la Présidente du Centre de Recherche à l'Institut des Sciences Sociales à l'UL, Mme Prof. Maha Kayal ; la Vice-Présidente du Syndicat des Psychothérapeutes et des Psychanalystes au Liban, Mme Dr. Rita Chabab ; la Doyenne de l'Institut des Sciences Sociales à l'UL, Mme Prof. Marlène Haydar et le Recteur de l'Université Libanaise, M. Prof. Fouad Ayoub.

Qu'est-ce que la famille pour la psychanalyse ? La psychanalyse a commencé avec la découverte du complexe d'Œdipe, soit un nouage de désirs, d'idéaux, etc. Et autour d'une question propre à Freud mais, pourrait-on dire, symptôme d'une époque où l'ordre patriarcal commence à vaciller : qu'est-ce qu'un père ? En effet, avec la mère, il y a un lien biologique – au moins jusqu'à récemment – la mère c'est celle qui accouche de l'enfant. Mais ce lien biologique avec le père, jusqu'à présent, était hypothétique, il y a même des cultures où la fonction du père dans la procréation n'est pas inscrite. Le père, c'est celui que désigne la mère, celui inscrit par le lien social, c'est-à-dire que le père est une institution

de la culture. Ce que l'Œdipe introduisait aussi, c'est une certaine dimension de l'enfance qui persiste tout au long de la vie et que Freud a nommé l'infantile. Cet infantile n'est pas l'enfant mais il procède de cette enfance oubliée. C'est là ce que le psychanalyste recueille dans sa pratique. D'autant que le père est une fonction et pas vraiment un être : dans toute ma carrière de psychanalyste, je n'ai jamais analysé de père. Je n'ai analysé que des fils.

Freud était un homme de son époque, d'une époque où régnait encore le patriarcat dont on pourra dire qu'il aura été à la fois l'un des déconstructeurs et en même temps qu'il n'aura cessé de vouloir sauver. Ce fut même la question de Lacan : analyser ce qui dans le désir de Freud n'a pas été analysé, sa façon de chercher sans cesse à sauver le père. Pour Lacan, l'Œdipe est un mythe et, se situant à une autre époque dans l'histoire de l'Occident que Freud, il a entrepris de déconstruire ce mythe comme tous les mythes, en suivant la méthode de Claude Lévi-Strauss. Mais très tôt, sous l'influence de Durkheim, il a considéré que la famille actuelle, père, mère et enfants, était un résidu des familles élargies d'autrefois. Il a fallu récemment les travaux d'Emmanuel Todd pour montrer que cette famille élargie de Durkheim était un mythe, ne serait-ce qu'en prenant en compte la brièveté de l'espérance de vie autrefois.

Si l'on considère ce que nous entendons dans l'analyse de nos patients, plutôt que de parler de père et de mère, il

vaudrait mieux parler d'environnement au sens de Winnicott. En effet, nous parlons de père et de mère par commodité dans la théorie analytique, mais il serait plus juste de parler de constellation maternelle, car la mère c'est aussi des morceaux de la mère certes, mais aussi de la nourrice, de la grand-mère et même du père puisque, si l'on suit Winnicott, tous les soins donnés à un enfant en bas âge sont des soins maternels, quelle que soit la personne qui les donne. Cette dimension était d'autant plus vraie dans le monde d'autrefois où les liens sociaux, les figures de l'environnement étaient, disons, stables. Dans le déracinement généralisé aujourd'hui, l'urbanisation, la rupture des liens sociaux, il y a certes, malgré tout, une réduction de la famille à ces principales figures, à quoi suppléent aujourd'hui les jardins d'enfant, l'école et tous les dispositifs sociaux mis en place par les États pour les enfants, dispositifs devenus décisifs aujourd'hui pour cette question contemporaine majeure, l'éducation.

En psychanalyse, nous abordons la famille de deux façons. Soit dans l'analyse des adultes comme les éléments constitutifs de l'infantile, constructions rétroactives que le sujet est amené à faire des figures constitutives de ses parents et de sa fratrie, soit d'une façon directe dans la cure des enfants et des adolescents.

Qu'est-ce que l'enfant aujourd'hui ? Pour Lacan et pour

Maud Mannoni, c'était un des lieux de la ségrégation contemporaine. L'enfance merveilleuse d'aujourd'hui n'est plus une enfance intégrée très rapidement, dès que l'enfant manifestait un peu d'autonomie, dans le monde des adultes, mais c'est une enfance à part, quasiment fétichisée. Je pense à la formule de Dolto, « un enfant ça s'élève à la périphérie d'un couple ». Je pense qu'aujourd'hui, cette formule paraîtrait loufoque à beaucoup de nos patients et à beaucoup de nos familles car souvent l'enfant est devenu la seule raison du couple, voire même ce qui parfois le fait encore tenir. Le XXe siècle aura été celui de la redécouverte de l'enfant. C'est ce qu'a montré en particulier Philippe Ariès. Celui-ci rappelait que le Moyen Âge n'aimait pas l'enfant car celui-ci était vendu, maltraité et l'infanticide y était presque toléré. Aujourd'hui, paradoxalement, l'enfant est devenu quasiment le bien suprême. Benjamin d'ailleurs rappelait que l'enfant ne venait pas chez les Grecs avec une promesse d'avenir, puisque pour eux il fallait que rien ne change et que le monde obéisse à un ordre immuable. Il n'y avait pas de pensée de l'histoire, et l'enfant n'était donc pas porteur de quelque chose qu'on pouvait attendre de lui. Avec le messianisme, la valeur de l'histoire change et s'introduit aussi la fonction de la promesse. Avec l'effet que l'avancée du discours de la science, et les Lumières, ont porté au discours religieux comme réglant le lien social, avec l'émergence massive en particulier au XIXe siècle du doute religieux (cf. Christopher Lane), et l'émergence simultanée d'un messianisme séculier – la révolution, « le soir du grand soir » –, messianisme séculier

maintenant en perte de vitesse, l'enfant est devenu le lieu refuge de la promesse messianique dans notre culture. Je soutiens d'autant plus cette thèse qu'on peut constater que désormais, l'enfant est le dernier porteur d'une espérance perversie : il accomplira demain ce que je ne manquerai pas de rater dans ma vie. Les enfants d'aujourd'hui ont lourd à porter. Nous sommes passés d'une période où l'enfant était nié – sa parole ne comptait pas, c'était un être sauvage dont les pulsions devaient être réfrénées et civilisées – à une époque où il est nié d'une autre manière puisqu'il est l'objet de toutes les projections fantasmatiques qui placent en lui une jouissance imaginaire dont nous sommes tous nostalgiques. L'enfant est donc devenu une sorte de médicament généralisé pour traiter les narcissismes blessés des parents, enfants tous psychothérapeutes puisque c'est par là que nous avons sans doute tous commencé. Cet enfant est un bien, pas un sujet, et en fait on ne peut pas dire que le souci de ce qu'il dise ait beaucoup augmenté. Aujourd'hui, cette jouissance ignorée que nous imputons à l'enfant, que nous lui envions par avance – il faut rester jeune, il faut que notre corps ne porte pas les traces de la façon dont nous avons dépensé ce capital qu'est notre corps, notre santé –, aujourd'hui les enfants nous font aussi peur. D'autant plus que les rôles sociaux sont moins bien définis. D'ailleurs, on ne parle plus d'enfants, on parle de mineurs, et on en fait progressivement des majeurs juridiques si l'on pense au débat actuel sur l'âge des possibles sanctions pénales. Nous sommes bien entrés, comme avait pu le dire Lacan, dans le monde de l'enfant généralisé. La difficulté du rapport aux

enfants n'est pas sans rapport avec la misère sociale, économique et la ghettoïsation, d'aujourd'hui. D'où l'appel contemporain à l'autorité. Mais l'autoritarisme ne règlera pas le problème de l'autorité. Il est vrai qu'il y a un appel aujourd'hui lié à ce problème, une demande à l'État, qui est une rançon de la mutation du régime du pouvoir au XVIIIe siècle. Comme pouvait me dire un petit garçon, fils d'un député de gauche, pris dans les affres de son amour œdipien pour sa mère et des difficultés qu'il avait à traiter avec son père, il avait six ans et demi/sept ans : « L'égalité, l'égalité, ils se disent démocrates, mes parents. Mais alors pourquoi j'ai moins de droits qu'eux, pourquoi je dois leur obéir ? » Aujourd'hui nous assistons à un grand mouvement de moralisation, un appel généralisé à la norme comme marque de la capacité à occuper une place dans la grande machine sociale contemporaine. C'est pourquoi les traitements à dimension orthopédique sont de plus en plus privilégiés et que l'interrogation sur les causes n'a plus de fondement véritable, elle n'a plus que la dimension d'un alibi.

Freud a inventé quelque chose d'incroyable en réponse à la formidable subversion que l'avancée de la science a produit dans notre société : la cure psychanalytique. Cette méthode est une réponse – pas une solution – au malaise dans la culture. Mais il faut rappeler que la psychanalyse n'a pas l'ambition de régler ce malaise. Ça n'est pas dans ses moyens, elle n'a d'effet que un par un. De l'enfant-sujet, nous sommes passés à l'enfant-sujet-de-droit, mais en fait surtout objet de jouissance pour l'Autre dans un mouvement qui rabat le désir sur la demande.

Il y a un autre symptôme contemporain, si l'on suit la psychanalyse, c'est l'adolescence. Pour Lacan, comme pour Winnicott, l'adolescence interroge le lien social à plus d'un titre. D'une part comme destin singulier, car il s'agit à son décours de « s'entrecroiser entre ses semblables » (Lacan), ou d'être « capable de commencer à s'identifier à la société » (Winnicott). Mais c'est un phénomène social d'apparition récente – ainsi on ne trouve quasiment pas ce terme d'adolescence chez Freud – qui constitue un trait, disons même un symptôme, du monde contemporain. Winnicott a une fantaisie sur l'émergence de ce terme qu'il relie à l'absence de guerre (sans doute différent ici à Beyrouth !) qui caractérise notre époque en Occident. Pour lui, la place prise par l'arme atomique dans les années 1960 a fait émerger la question de l'adolescence. Il y a deux autres changements, dit-il, à l'origine de l'adolescence, non seulement la peur des maladies vénériennes et le développement de la contraception, mais il faudrait ajouter à ce que propose Winnicott, la place considérable prise aujourd'hui par l'éducation et la formation dans une société où le discours universitaire a selon Lacan pris le pouvoir, entendez les connaissances.

L'adolescence est donc un symptôme social propre à notre monde qui affecte directement le lien social et la cohésion du groupe. Je cite Winnicott : « Si cela n'a plus de sens de traiter nos adolescents difficiles en les préparant à combattre pour la patrie, nous voilà de nouveau devant le fait que l'adolescence existe, que c'est une chose en soi. » En d'autres termes, il existait un traitement social de l'adolescence qui la rendait invisible jusque-là. Et Winnicott pouvait écrire que

« chez les peuples primitifs, les changements de la puberté sont masqués sous des tabous ». Plus près de nous, diverses modalités d'initiation, dont les guerres répétées à chaque génération, permettaient cet effacement. Car tous ces dispositifs visaient à une inscription dans le lien social à travers une identification. À l'adolescence, pour Winnicott, l'enjeu n'était pas principalement l'accomplissement de la sexualité, comme le pensait Freud, puisque celui-ci pensait que le premier amour était ce qui allait régler le problème de la puberté. C'est aussi un enjeu de sexualité, mais surtout de mort pour Winnicott, puisque c'est le moment où du fait de la puberté, le sujet se trouve confronté à la question de ses idéaux et de ses rivalités. Il faut donc comprendre l'adolescence bien sûr, non pas tant comme un avant-coup du devenir adulte, mais plutôt comme un après-coup de l'infantile. En effet, la puberté va réactiver ce qui s'est estompé pendant la phase de latence parce que le sujet acquiert d'un seul coup la capacité nouvelle de pouvoir réaliser les motions infantiles refoulées qui avaient été frappées d'impuissance, fondant l'espoir de la récupération d'une jouissance au-delà des limites de l'enfance (rappelez-vous la sortie de l'Œdipe pour Freud). Il y a donc pour le sujet à l'adolescence, l'enjeu d'un passage de l'impuissance à l'impossible, impossible recouvert par l'interdit de l'inceste. L'adolescence est une remise en jeu, une reprise du moment œdipien. J'ai nommé ça un troisième tour de la métaphore paternelle pour traiter par le langage cette jouissance qui risque à tout moment de déborder le sujet. L'inceste, c'est celui qui est au cœur de l'agencement œdipien, il permet l'accès au désir à condition

qu'il porte sur d'autres objets que l'objet interdit. Il y a donc une jouissance permise, mais limitée. Le désir apparaît ainsi comme une défense contre la jouissance qui appelle, mais suscite angoisse ou même dépression. C'est pourquoi l'adolescence est un moment électif du déclenchement des psychoses puisque à ce moment le sujet doit prendre une position quant à son identité sexuelle, il est mis en demeure de soutenir son désir, ce qui ne va pas de soi, comme en témoigne la constitution du symptôme. Mais le traitement social de la jouissance rencontre aujourd'hui ce qui dans la modernité a modifié le rapport à celle-ci. Là où les religions la géraient en promettant de récupérer cette jouissance perdue après la mort, au paradis, le capitalisme s'est fondé sur la promesse de la récupération d'une jouissance ici-bas. C'est pourquoi Lacan a pu dire que le capitalisme est fondé sur l'exploitation industrielle du désir, constamment stimulée par la promesse de la récupération de cette jouissance dans l'objet de la consommation. En effet, il faut bien le dire, ce qui marque la famille comme la subjectivité dans le monde d'aujourd'hui, c'est cette émergence à la Renaissance du discours de la science et son avancée incroyable dans le monde contemporain. Et la psychanalyse a partie liée avec cette avancée, puisqu'elle a émergé au moment où la médecine elle-même est devenue scientifique – au XIXe siècle – en étant à l'écoute de ces patientes qui objectaient à ces médecins qui avaient fondé la médecine comme science, à savoir la méthode anatomo-clinique inventée par Bichat. En effet, les troubles présentés par ces patientes ne correspondaient pas à la systématisation neurologique que l'anatomie

avait pu démontrer. Comme l'a très bien montré Foucault, le corps de la médecine, c'est le cadavre, celui qui donne la vérité de la maladie, à savoir l'anatomie pathologique. Ce faisant, Lacan l'a souligné, ce qui est mis à l'écart, c'est le corps comme corps de désir ou de jouissance, et donc le sujet en tant que tel.

Cette dimension du discours de la science a plusieurs conséquences. Sa capacité à défaire le sens sans pour autant pouvoir proposer une nouveauté éthique laisse le sujet contemporain dans le désarroi. D'une part, elle explique un certain retour du religieux tel que nous l'observons par exemple en France. Mais c'est un discours religieux qui n'est pas celui de la tradition mais qui est celui de l'excès, de l'affichage de la religion par des signes pour faire signe à l'Autre, conformément à ce qui fonctionne dans le monde contemporain, des signes pour faire taire ce qui est projeté chez l'Autre, à savoir le doute, car aujourd'hui il est impossible d'être religieux sans se confronter à la question du doute du fait précisément de l'avancée du discours de la science. Autrefois, au Moyen Âge par exemple, la question de l'existence de Dieu ne faisait pas débat. Mais l'avancée du discours de la science met à mal aussi un certain ordre de la culture, fondé par exemple sur le patriarcat. En effet, les changements affectant le statut des femmes, dans un monde où ce n'est plus la force qui domine mais c'est le savoir qui tient le manche, comme disait Lacan, patriarcat mis à mal dans la mesure où le père maintenant est réduit à sa fonction biologique, puisqu'on peut le confirmer par la génétique. Pour autant, si l'on suit l'enseignement de Lacan, cela ne veut

pas dire que nous sommes devenus, comme certains le proclament, tous psychotiques ou tous pervers, car la fonction du père – et de ce point de vue-là les religions l'avaient remarquablement indiqué – n'est pas d'être celui qui incarne la loi dans la famille – le monothéisme a été au moins dans ses débuts un affaiblissement du patriarcat car le père, le vrai était au ciel et non dans la figure du pater familias romain ; il faut dire que ça n'a pas duré, les hommes ont vite repris la main –, mais d'être le signifiant qui supporte quelque chose du désir de la mère afin de permettre à l'enfant de s'en déprendre.

Enfin, l'avancée du discours de la science est liée aussi à l'émergence dans notre culture des neurosciences. Mais il règne à ce propos un grand malentendu avec un écart considérable entre ce que les neurosciences découvrent et élaborent, et que les psychanalystes doivent prendre au sérieux car nous ne pouvons pas ignorer les avancées scientifiques, et le discours idéologique qui se constitue à partir des neurosciences, et qui fait que le sujet moderne se voit lui-même comme un ordinateur. Les neurosciences, et en particulier l'imagerie cérébrale, dont les effets sont particulièrement critiqués par beaucoup de neuroscientifiques, ont donné l'illusion que l'on avait enfin pour le champ de la psychiatrie et de la psychologie la méthode anatomo-clinique qui avait fait défaut tout au long de l'histoire récente de la médecine. On voit ainsi fonctionner le cerveau et on peut lui attribuer un certain nombre d'effets. Force est de constater d'une part que les neurosciences petit à petit ne cessent de se réfuter et

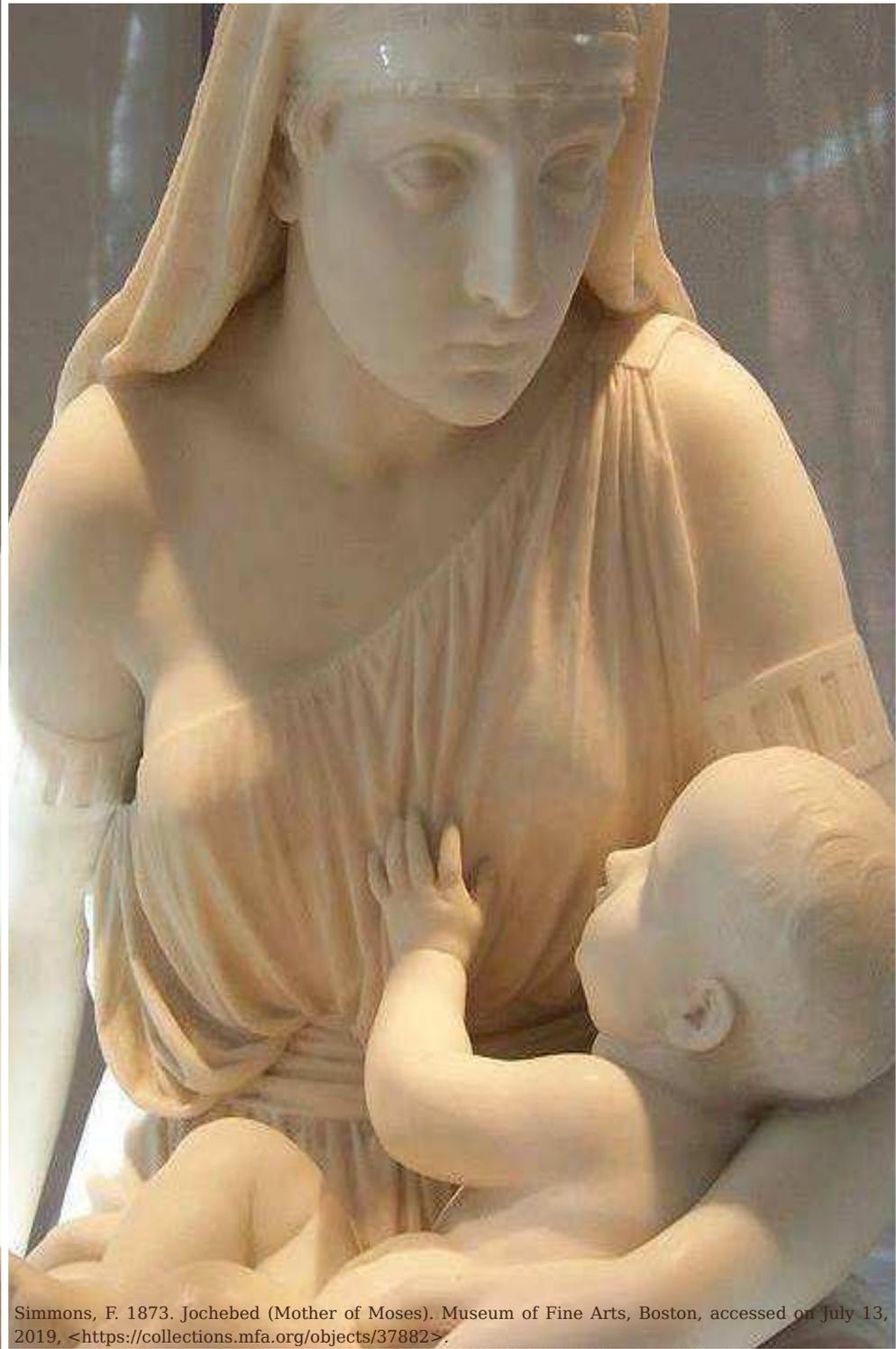
d'avancer, d'une part elles montrent de plus en plus l'importance, non pas tellement des éléments génétiques de départ, mais de l'épigénétique, c'est-à-dire de la façon dont l'histoire singulière affecte le sujet. Mais, pour l'instant, si l'on suit les plus sérieux neuroscientifiques, elles n'ont pas apporté de véritables progrès en matière par exemple de soins psychiatriques. Pas de nouveaux médicaments – les nouveaux médicaments sont seulement de vieux principes médicamenteux remis au goût du jour avec des molécules présentant moins d'effets secondaires, donc plus commodes à l'utilisation – et certains neuroscientifiques parmi les plus respectés pensent sérieusement que l'apport des neurosciences à la psychiatrie en tant que telle ne sera repérable que dans plusieurs dizaines d'années, et peut-être même jamais au sens propre du terme. Sur cette perspective un peu pessimiste sur l'avancée des neurosciences, j'en veux pour preuve l'abandon par la plupart des très grands laboratoires pharmaceutiques, qui pourtant généralement savent très bien où investir pour obtenir le maximum de profit, l'abandon de la plupart des recherches concernant la psychiatrie. Néanmoins, ce discours sert d'alibi au retour d'une conception déficitaire des troubles psychiques, qui fait de la folie un déficit – un sujet normal avec des manques rééducables – soit une manière de nier, de ne plus écouter ce que la folie nous apprend sur nous-même. Foucault pensait que le monde moderne avait fait disparaître la folie sous la maladie mentale.

Or la psychanalyse n'est pas intemporelle, elle est profondément liée à son temps et aux discours courants, c'est pourquoi

elle n'a pas d'autre choix que de se réinventer à chaque génération, à chaque moment de l'histoire, dans chaque analyse, car elle ne peut dégager son objet qu'à la mesure de sa possibilité d'accepter les remaniements constants de celui-ci selon les modalités actuelles du lien social.

المحور الأول

الأديب في وضعه الراهن الاستحداث السوسيو ثقافي
وآثار التغيير



Simmons, F. 1873. Jochebed (Mother of Moses). Museum of Fine Arts, Boston, accessed on July 13, 2019, <<https://collections.mfa.org/objects/37882>>

Psychanalyser les enfants aujourd'hui Catherine Vanier

Résumé :

« La psychanalyse d'enfants c'est la psychanalyse » disait déjà Freud et à sa suite Maud Mannoni.

Cependant nous ne pouvons pas ignorer ce qui en fait la spécificité.

De la demande, au travail avec les parents, aux questions posées par le transfert et la fin de l'analyse, nous tenterons toujours à partir d'exemples cliniques, de questionner cette affirmation de Freud.

Nous poserons également la question de notre actualité, à une époque où l'enfant dans nos sociétés prend une place différente.

Qui sont les « petits Hans « d'aujourd'hui ? »

Mots clés : (Le transfert – Le position – Le changement)

ملخص

"التحليل النفسي للأطفال، بحسب فرويد ومن بعده مود مانوني، هو التحليل النفسي." ومع ذلك لا يمكننا في الواقع تجاهل خصوصيته، من خلال طلب المشورة، إلى العمل مع الأهل، إلى الأسئلة المطروحة عبر النقلة ونهاية التحليل، نحاول دائمًا، من خلال أمثلة عيادية، تأكيد مقولة فرويد.

سنطرح في هذه الورقة البحثية أيضًا تساؤلاً عن واقعنا الحالي في وقت بات الطفل في مجتمعنا ذا وضعية مختلفة. فمن هم "صغار هانز" في أيامنا هذه؟

كلمات مفاتيح: (النقلة - الوضعية - التحول)

Introduction

Lorsqu'un analyste reçoit un patient, qu'il s'agisse d'un enfant ou d'un adulte, il est confronté d'emblée au discours ambiant. Il aura à travailler avec les effets de ce discours sur la subjectivité contemporaine. C'est ce que Lacan soulignait déjà en 1953 à la fin du Discours de Rome : « Qui renonce [à être psychanalyste] celui qui ne peut rejoindre à son horizon la subjectivité de son époque car comment pourrait-il faire de son être, l'axe de tant de vies, celui qui ne saurait rien de la dialectique qui s'engage avec ces vies dans un mouvement symbolique. » (Lacan, J. 1966).

Qui sont les enfants que nous recevons aujourd'hui ?

Recevoir des enfants en 2018 exige donc de l'analyste une réflexion sur la place et le statut de l'enfant dans notre modernité. Qui sont les enfants que nous recevons aujourd'hui ? Au cours de la deuxième moitié du XXe siècle, le statut de l'enfant a beaucoup changé, que ce soit dans le domaine psychiatrique, juridique, pédagogique ou même économique puisque dans notre société de consommation son rôle n'est pas négligeable. Il alimente le système, fait vendre, et peut aller jusqu'à devenir lui-même, grâce aux progrès de la médecine, à un « objet de consommation ».

Juridiquement, tout comme un adulte, il a des droits dès la naissance, mais ne peut être tout à fait considéré encore comme une grande personne puisqu'il est dans une position

de dépendance à son égard. Ce double statut, à la fois égal et différent, est quelquefois difficile à gérer pour les parents qui ont du mal à exercer en même temps leurs devoirs de respect envers eux et une nécessaire autorité, ne serait-ce que protectrice.

En France dans les années qui suivirent Mai 68, où il était interdit d'interdire, les parents sont devenus beaucoup plus laxistes, remettant en question les principes éducatifs de leurs aînés, ils ont élevé une génération que nous appelions « les enfants rois ». Autoritaires, désobéissants, remettant en cause toute directive qui viendrait d'une grande personne. Des petits tyrans domestiques exigeant de tout diriger, les parents n'étant plus maîtres du jeu.

À la très célèbre formule de l'époque « un enfant si je veux quand je veux », les enfants semblaient avoir répondu en miroir « un parent si je veux quand je veux ». Mais si cette célèbre avancée féministe était nécessaire, la réponse des enfants n'a pas été sans poser de nombreux problèmes au sein des familles. À une époque où se voyait accorder « le droit à l'enfant », non seulement quand on le désirait mais aussi comme on le voulait, puisque la procréation grâce au progrès de la science avait été dissociée de l'acte sexuel, les enfants ont opposé le droit de faire eux aussi comme ils voulaient. « J'ai bien le droit » leur disaient-ils chaque fois que les parents essayaient de leur faire respecter une règle de conduite. Nous connaissons les discussions infinies, les tentatives d'explications et de nombreuses négociations pour leur faire changer d'avis et accepter la frustration en douceur.

Ce type d'éducation tout en séduction, d'ailleurs décrite par Alice Miller comme une forme de maltraitance (Miller, Alice. 1998), était celle des années 1980. Ce que nous entendions surtout en séance à l'époque, c'était à quel point les parents ne voulaient pas perdre l'amour de leurs enfants. Être aimés à tout prix et ne pas courir le risque d'être rejetés. Pour ce faire, les parents devaient donc céder devant eux.

Aujourd'hui, la situation semble avoir un peu changé ; même s'ils veulent toujours et peut-être même plus que jamais être aimés, ils sont aussi très angoissés par les exigences de réussite de notre époque, et du même coup sont beaucoup moins laxistes que ne l'étaient leurs parents. Soucieux du succès scolaire, ils savent que leurs enfants auront à s'intégrer dans un monde difficile et pour les y préparer ils exigent plus que leurs parents ne l'avaient fait pour eux. Ils disent vouloir les armer pour la vie, alors ils montent leur degré d'exigence, multiplient la surcharge de cours particuliers et d'activités extrascolaires. Les emplois du temps des petits dès l'âge de six ans sont démesurés. Les enfants doivent savoir tout faire, être à l'aise et adaptables dans toute situation, être à la fois autonomes, sûrs d'eux et brillants. L'enfant se doit non seulement d'aimer mais aussi de rassurer et de renarcissiser ses parents.

En échange, c'est à renfort de grandes doses de narcissisme que les parents élèvent les petits d'aujourd'hui leur répétant à chaque instant à quel point ils sont merveilleux. L'enfant comprendra alors très vite que son rôle est essentiel aux parents pour soutenir leur image. Souvenez-vous de ce que

Freud disait déjà en 1914 à propos du bébé qui vient de naître : « L'enfant aura la vie meilleure que ses parents, il ne sera pas soumis aux nécessités dont on a fait l'expérience qu'elles dominaient la vie. Maladies, mort, renonciation de jouissance, restrictions à sa propre volonté ne vaudront pas pour l'enfant. Les lois de la nature comme celles de la société s'arrêteront devant lui, il sera réellement à nouveau le centre et le cœur de la création. His Majesty The Baby... l'amour des parents si touchant et au fond si enfantin n'est rien d'autre que leur narcissisme qui vient de renaître. » (Freud, S. Trad. Berger, J. 1969).

Lorsque nous les recevons actuellement en premier entretien, les parents viennent le plus souvent se plaindre d'un enfant qui ne remplit pas la fonction, comme s'ils attendaient d'eux de maintenir cette même illusion narcissique que celle procurée par le bébé qui vient de naître. Les enfants nous disent souvent qu'ils ne veulent pas grandir, mais les parents ont-ils grandi depuis le jour de sa naissance ? Comment ont-ils évolué ? Ont-ils accepté eux-mêmes de quitter le monde de l'enfance ? Accepté la séparation, la frustration ? Qu'en est-il de leur propre narcissisme, de leur rapport au manque ? Le plus souvent ils sont déçus lorsque nous les rencontrons, déçus et très inquiets. Tout ne se passe pas comme ils le voulaient, l'enfant est opposant, imparfait ou en échec scolaire. Il déstabilise la famille, ne comble pas leurs attentes. Il n'est plus le bébé gratifiant qu'il avait été. Le droit à l'enfant parfait semble trouver sa limite dans la capacité des petits à leur résister. Tout se passe comme s'ils s'appliquaient à contrer la demande pressante des parents qui nous

disent : « Nous ne le comprenons plus, et pourtant il a une belle vie, il est aimé, il ne manque de rien. » C'est peut-être justement là le problème.

Pour s'en sortir indemne, l'enfant réintroduit par son symptôme du manque dans la relation parents-enfant. À quelle place sont les enfants dans notre société pour qu'on leur demande autant, pour qu'ils paraissent aussi facilement décevants ? Qu'attendons-nous d'eux ? Alain Vanier souligne combien de nos jours l'enfant « doit être situé dans sa valeur de promesse, non seulement lié à la promesse œdipienne du père, mais promesse dans le champ de la culture, celle qu'ont laissé en jachère les effondrements successifs des messianismes religieux et séculaires. Il devient porteur du seul pari sur l'avenir, pari de récupérer la jouissance perdue qu'il incarne. » (Vanier, A. 2012).

Bien sûr cette attente ne peut être que déçue. Les parents ont besoin de l'enfant parce qu'il devient leur projet de réussite. Autrefois, l'enfant devait juste assurer une continuité, il avait une fonction précise, le plus souvent celle de reprendre ou de pérenniser le travail de ses parents, ce qui pouvait déjà être contraignant. Mais aujourd'hui tout se passe en plus comme s'il devait faire mieux que ses parents. Il y a une idée de dépassement, de succès, et dans cette société de compétition les adultes semblent attendre que les enfants réussissent mieux qu'eux. L'époque de l'enfant-roi qui avait suivi les années 1968 est sans doute aujourd'hui révolue. Les parents sont devenus plus exigeants et ils ne se satisfont plus de voir leur petit profiter et jouir de la vie. Aujourd'hui, nous avons

affaire à une génération d'enfants qui nous semblent plus fragiles, présentant des symptômes multiples pour tenter de maîtriser un peu la panique qui s'empare d'eux lorsqu'ils se trouvent pour essayer de se construire obligés de ne pas répondre à la demande des parents. Alors ils s'agitent, mettent en place des phobies, des rituels de toutes sortes pour apaiser l'angoisse. Ils tentent de limiter les effets déprimants que leur procure la peur de ne pas être à la hauteur. Il est de plus en plus fréquent de rencontrer des enfants très jeunes déjà structurés sur le mode obsessionnel, et d'autres ayant échoué malgré leurs efforts à juguler leur inquiétude structurée sur un mode nettement plus dépressif.

Les Cas

Anna a six ans. Ses parents viennent me voir parce qu'elle se montre cette année très agitée à l'école et à la maison. Le pédiatre se posant la question de la mettre sous Ritaline m'adresse les parents pour avoir mon avis. On me décrit une petite fille sans histoire. Enfant désirée, fille unique, arrivée au bon moment pour le couple, la petite enfance d'Anna fut un « moment idéal » me dit le père. Un temps de bonheur parfait, jusqu'à l'arrivée à l'école. Dès les classes de maternelle les maîtresses signalent une petite fille capricieuse, agressive avec ses camarades, refusant les consignes, tout le temps en colère. En cours préparatoire après le premier trimestre, elle refuse le matin d'aller à l'école, ne dort plus la nuit, ne tient plus en place dans la journée. Les parents s'inquiètent

et la mère se déprime. Anna de son côté s'agite de plus en plus et dit qu'il n'est plus question d'aller à l'école parce que c'est trop difficile et qu'elle est nulle. « Comment peut-elle douter d'elle-même ? » me disent les parents. « Nous lui avons toujours dit qu'elle était la plus réussie des petites filles, elle ne peut pas manquer de confiance en elle. » C'est justement pour cette raison qu'Anna aujourd'hui face à la réalité de la demande scolaire se décompose en réalisant qu'elle risque de ne pas être en mesure de répondre à l'attente de ses parents. Seule en séance avec elle, elle me dessine un bonhomme gribouillé de noir en me disant :

« C'est moi. Je suis un fantôme. Je suis morte. » Puis relevant la tête du dessin elle me dit : « Je suis une mauvaise élève, je suis foutue. » Il faudra toute une année scolaire pour qu'elle accepte d'être une parmi d'autres, pour qu'elle sorte de cette période dépressive et qu'elle se fasse à l'idée d'être à l'école une élève ordinaire avec des jours de réussite et des jours de difficulté. Tout au long de cette prise en charge, les parents viendront eux aussi parler de leurs attentes et de leurs difficultés.

De nos jours, le couple parental narcissise souvent l'enfant à l'extrême tout en empêchant qu'il se risque et qu'il ne se sépare d'eux. C'est-à-dire qu'ils freinent la possibilité pour l'enfant de grandir. D'ailleurs, nous recevons beaucoup d'enfants qui nous disent ne pas vouloir être grands. Il est vrai que la représentation idéalisée du bébé est toujours mise à mal par un enfant qui grandit. En maintenant une image idéale, les parents narcissisent l'enfant au maximum afin d'alimenter leur propre narcissisme. Nous ne pouvons que constater

chaque jour à quel point parents et enfant sont soucieux de leur image, des marques qu'ils portent, des signes qui les feront briller dans le regard de l'autre. Nous sommes dans un monde où le narcissisme prend le devant de la scène. Je me souviens aussi de cette autre maman qui me disait combien elle a été déçue par sa fille de huit ans qui ne correspondait en rien à ce qu'elle avait imaginé. Elle ne lui ressemblait pas physiquement, disait-elle, était « trop grosse, laide, peu coquette et agressive. » Comme je lui demandais quelle petite fille elle aurait voulu avoir, elle me répondit : « Quand elle était bébé, je pensais qu'elle serait un "mini-moi", mais aujourd'hui elle n'a rien dont je puisse être fière. »

Tom, âgé de trois ans, me fut présenté par ses parents comme un enfant brillant mais tyrannique. Lorsque je le rencontre, il me semble plutôt triste et boudeur. Ses parents disent être très sévères avec lui, ne rien laisser passer, ils sont anxieux pour l'avenir dans ce monde difficile et élitiste où la performance est exigée dès l'école, ils savent la sélection impitoyable. Seuls les bons réussiront. Performances, excellence sont nécessaires si on veut une chance de se faire une place. Il faut faire des efforts dès le plus jeune âge pour s'en sortir et en même temps se montrer autonome et inventif. Pris dans ce discours moderne, les parents de Tom s'inquiètent. Ils l'ont inscrit cette année dans une troisième langue qu'il pourra étudier dès l'âge de six ans. Ils me questionnent : « Connaissez-vous cette école ? Vous comprenez, c'est important. Pas question de le mettre dans une institution qui n'ouvrirait pas les portes à des études supérieures brillantes. »

C'est un monde impitoyable pour les faibles. Pas question de laisser Tom faire ce qu'il veut. Il m'est adressé par l'hôpital à la suite d'un étrange épisode où il ne pouvait plus marcher, ni même tenir sur ses jambes. Après une semaine d'examens médicaux, il sort sans diagnostic. Les médecins ne trouvent pas et ne comprennent pas pourquoi il ne voulait plus marcher et refusait même de poser les pieds par terre. Ils me l'adressaient alors. « Je ne marche pas » était sans doute le moyen qu'avait trouvé Tom pour résister à ses parents trop perfectionnistes et trop angoissés. Il ne put marcher à nouveau qu'après quelques séances à l'occasion desquelles les parents parlèrent de leurs exigences, comme étant peut-être un peu démesurées. Les enfants par leurs symptômes se soustraient à la programmation des parents.

Max a huit ans. Il vient d'entrer en CE2. Les parents me disent venir consulter pour des troubles du sommeil et du comportement. Depuis la rentrée scolaire il dort très mal, refuse d'aller se coucher, fait des cauchemars et n'arrive pas à se lever le matin pour aller en classe. Il refuse de quitter ses parents, pleure beaucoup, se replie sur lui-même et se plaint de ne pas avoir d'amis. Il ne veut plus rien faire et reste dans sa chambre. Ce comportement questionne d'autant plus les parents que ces deux dernières années il était plutôt très actif, turbulent et assez difficile, facilement en révolte et agressif avec eux, contrairement à l'école où tout allait bien, mais à la maison il voulait commander. La mère me décrit une enfance qui d'après elle fut « parfaite ». Fils unique, il était déjà, me dit-elle, un splendide bébé. Sage, facile, souriant, sans aucun problème, désiré, arrivé au bon

moment, il faisait le bonheur de toute la famille. En maternelle il était le plus populaire et le plus beau. Très tôt il posait pour des magazines et tournait dans des clips publicitaires. Il était rapidement devenu un petit mannequin vedette à la grande satisfaction de ses parents. « Comment ne pas être heureux et fiers d'avoir un enfant pareil ? » Petit adulte miniature dès l'âge de cinq ans, où les parents me disent d'un air amusé qu'il était en pleine crise d'adolescence, s'opposant à eux, les critiquant, se révoltant. « Mais, précisent-ils, nous trouvions plutôt amusant ce comportement pour un enfant de son âge, il était vraiment en avance. Mais cette année, il nous inquiète. Comme nous lui disions que s'il acceptait de reprendre ses activités habituelles nous lui ferions un très beau cadeau, nous avons été vraiment étonnés quand il nous a répondu : "Mais il faudrait que j'aie envie de quelque chose et je ne veux rien." » Alors les parents, bien sûr, ont aussi pensé qu'il était peut-être un surdoué et qu'il s'ennuyait dans sa classe. En fait, c'est un enfant déprimé qui accepta de venir me parler en séance. « L'école c'est nulle, me dit-il, ça ne sert à rien, j'ai plus envie. » Il m'expliqua aussi qu'à la rentrée, il s'était présenté pour être élu délégué de classe, comme l'année dernière, mais c'est un autre enfant qui a été choisi par ses camarades, un autre qui a été préféré. Il me parla aussi de Julia, son amie, qui cette année préfère de toute évidence jouer avec d'autres enfants que lui. C'est de sa déception et de celle de ses parents que Max viendra me parler en séance. Bien sûr, Max, comme beaucoup d'autres enfants, avait été trop narcissisé, au centre du couple des parents, alors qu'un enfant doit être,

comme disait Françoise Dolto, à la périphérie. Ni à sa place dans le lien social où la scolarité lui apprend qu'il n'est qu'un parmi d'autres, il s'était révolté dans un premier temps puis, face à la blessure narcissique qu'il devait penser infliger à ses parents, il s'était déprimé. Ce type de travail qui sera au centre des séances de Max autour de la question du narcissisme et du manque, nous la retrouvons avec beaucoup d'enfants aujourd'hui. Mis à une place d'exception par les parents, ils sont en demeure de leur prouver leur amour en étant à la hauteur de leurs ambitions. Il est vrai que la société, elle aussi, demande beaucoup aux enfants. L'historien Rutger Bregman, dans un livre récent, nous dit : « Si les enfants d'aujourd'hui ont à se plaindre de quelque chose, c'est d'être trop choyés. » (Bregman, R. 2017). Ils ont été élevés en effet à grand renfort de narcissisme, mais une fois dans la vraie vie ils réalisent très vite que ce n'est pas si simple et qu'il ne suffit pas vouloir pour pouvoir, qu'ils ne sont pas comme les super héros de leurs bandes dessinées et que la vie de Disneyland est loin d'être la réalité. Alors bien sûr de tout temps, grandir a été le fruit de cette constatation, mais de nos jours cette rencontre se complique, d'une part du fait de la demande insistante des parents qui perdent pied si leur enfant ne correspond pas à leur attente, et d'autre part de la demande de la société qui exige de chaque individu qu'il soit unique et qu'il réussisse mieux que les autres. Le message est clair : il faut pour réussir travailler plus dur, pour être en bonne santé avoir une vie plus saine, pour être heureux en amour faire de meilleurs choix, pour être épanoui penser plus positif, etc. Les médias nous abreuvent de

ces conseils de bonne conduite et nous rendent responsables de tout. De quoi se déprimer en effet. Une étude de l'OMS montre que la dépression est aujourd'hui le premier problème de santé chez les adolescents et sera en 2030 la première cause de maladie (OMS. 2014). Rien d'étonnant à ce que les parents s'angoissent et se culpabilisent plus que jamais et qu'ils viennent consulter en pensant que leur enfant est peut-être surdoué, ce qui expliquerait bien sûr qu'il soit en échec, et qui préserverait du même coup leur narcissisme. La tendance de notre époque est aussi de pathologiser à l'extrême la déception des parents en mettant en place des stratégies de traitements qui permettent aussi au passage de faire tourner les laboratoires pharmaceutiques. Consommation exige. Comment s'étonner que les enfants par leurs symptômes résistent ?

Conclusion

En guise de conclusion, je vous propose de penser à ce nouveau projet de parc d'attraction appelé Kidzania. Seize parcs déjà dans le monde où il s'agit de proposer aux enfants de deux à quinze ans d'être des adultes comme dans la vraie vie. Choisir des études, travailler, gagner de l'argent, et surtout réussir. Les enfants pourront vivre tour à tour, une fois le diplôme en poche, les métiers de livreur, médecin, éboueur, pilote de ligne, etc. Ils gagneront un salaire et devront gérer leur budget, et surtout ils devront investir l'argent judicieusement. À l'entrée du parc, une pancarte qui en dit

long les accueille : « Que ta journée soit productive. » Bien sûr, ni grève, ni chômage, ni crise économique ne seront évoqués dans le parc, mais la possibilité de tirer le plus de bénéfice possible de son activité et d'investir judicieusement leur argent au bon endroit et au bon moment leur sera enseigné. Les différentes attractions sont sponsorisées par des firmes célèbres qui misent aussi de cette façon-là sur les clients de demain. Ces parcs sont l'enjeu du consumérisme bien sûr et de l'individualisme, tout en ayant pour slogan :

« Préparer les enfants aux réalités de la vie ». Mais ce dont témoigne peut-être leur symptôme, c'est que de cette vie-là, justement, ils ne veulent pas.

Bibliographie :

- Vanier, A., (2012), L'enfant objet de Lacan, in Figures de la psychanalyse, n° 24, p. 48.
- Miller, A., (1998), C'est pour ton bien, Aubier.
- Lacan, J., (1966), Écrits, Paris, Le Seuil, p. 321.
- Bregman, R., (août 2017), Utopies réalistes, Paris, Seuil, p. 23.
- Freud, S., (1969), Pour introduire le narcissisme, in La vie sexuelle, trad. J. Berger, J. Laplanche et al., Paris, PUF, p. 96.
- World Health Organization. (2014). Health for the world's adolescents: a second chance in the second decade: summary (No. WHO/FWC/MCA/14.05). World Health Organization.

Comment travaille-t-on aujourd'hui avec les enfants ? La question du transfert et du travail avec les parents.

Catherine Saladin

Résumé

La psychanalyse d'enfants c'est la psychanalyse écrivait Maud Mannoni. Comment travaille-t-on aujourd'hui avec les enfants ? La question du transfert et du travail avec les parents.

Je ferai un bref rappel historique des pionnières de la psychanalyse avec les enfants Mélanie Klein et Anna Freud, Sophie Morgenstein en France, qui a initié Françoise Dolto à la technique du dessin en psychothérapie avec les enfants. Winnicott, Maud Mannoni et quelques autres.

Leur façon de travailler avec les enfants, l'utilisation du dessin pour Françoise Dolto, du jeu pour D. Winnicott.

Le travail avec les psychotiques : Maud Mannoni

Et j'aborderai à travers ce schéma le transfert et le travail avec les parents.

Et je finirai sur notre pratique aujourd'hui ;

Mots clés : (Le transfert – L'intervention – Le dessin)

ملخص

التحليل النفسي للأطفال هو التحليل النفسي: مود مانوني.

كيف نتدخل مع الأطفال في عصرنا الحالي؟ في مفهوم النقلة والتدخل مع الأهل. سنبدأ بنظرة تاريخية سريعة لرواد التحليل النفسي وتدخلهم مع الأطفال: كميلاني كلاين وأنا فرويد وسوفي مورغنشتاين في فرنسا، والتي سبقت فرونسواز دولتو في استخدام تقنية الرسم في العلاج النفسي مع الأطفال ووينيكوت ومود مانوني وآخرون.

سنعرض طرائقهم في التدخل مع الأطفال، واستخدام تقنية الرسم عند فرانسواز دولتو، واللعب عند وينيكوت. والتدخل مع الذهانيين: مود مانوني. كما سأتطرق من خلال هذا المخطط إلى النقلة وكيفية التعاطي مع الأهل.

كلمات مفاتيح: (المنقلة - التدخل - الرسم)

Introduction

Le transfert, c'est l'amour, et avec les enfants, qu'en est-il ? Les enfants comprennent très vite ce qu'ils viennent faire chez le psychanalyste. Ils s'emparent de cet espace, du transfert. Le patient s'adresse à quelqu'un à qui il suppose un savoir psychanalytique. L'enfant pose des questions, mais parfois il ne dit rien. Il est parlé, on l'emmène souvent avec le désir de le faire parler ou de faire taire ses symptômes. L'école, le pédiatre, les parents veulent que tout rentre dans l'ordre. Mais quel ordre ? Et que veut dire ce désordre de l'enfant ? Les enfants se sentent soulagés quand on leur dit que le bureau du psychanalyste, ce n'est pas comme l'école ou la maison, qu'on peut tout y dire et garder les secrets, et qu'on n'est pas des redresseurs de torts. Alors, il pourra peut-être trouver un espace où son symptôme pourra être entendu, où l'on pourra mettre des mots sur quelque chose qui lui fait peur, le met en colère, et fait qu'il s'agite, n'apprend pas à l'école. Comme dit Lacan, le symptôme est ce que le sujet a de plus vrai, et peut-être encore plus qu'avec l'adulte, l'analyste a à savoir de quoi sont tissées ses relations avec les autres, quelle place il occupe. Comprendre à quelle place on met l'enfant, et à quelle place nous met l'enfant et comment on travaille avec un transfert positif, négatif, comment on se sert ou pas de l'interprétation.

Maud Mannoni dans *L'enfant, sa maladie et les autres* (Mannoni, M. 1974) insiste sur cette notion de transfert, sur ce qui se passe dans le discours, et pour cela, elle entend les parents et l'enfant, et mène des cures avec l'enfant et l'un

des parents. Elle se situe sur un autre plan qu'Anna Freud, qui réservait l'analyse d'enfants à ceux dont les parents avaient été analysés, et qui pensait que l'enfant ne pouvait faire une névrose de transfert. Anna Freud avait une position plus éducative, intervenant plus sur le plan de la réalité. Mais, comme le souligne Maud Mannoni : « Quand on oppose au discours du sujet la "réalité", c'est la "parole vraie" qui échappe. » Mélanie Klein, elle, pratiquait des cures avec des enfants psychotiques, et de très jeunes enfants mais en excluant les parents qu'elle considérait comme « gêneurs ». C'est Donald Woods Winnicott qui prit véritablement en compte les parents dans la thérapie de l'enfant, parfois quand il les sentait capables il en faisait les véritables thérapeutes de l'enfant, comme dans le cas de Piggie.

Françoise Dolto, dans la préface du livre de Maud Mannoni *Le Premier rendez-vous avec le psychanalyste*, (Mannoni, M. 1975) écrit « Aux angoisses et aux demandes de secours des parents ou des jeunes, le psychanalyste permet que se substitue la question personnelle et spécifique du vœu le plus profond du sujet qui parle. Cet effet de révélateur, il l'obtient par son écoute attentive et sa non réponse directe à la demande qui lui est faite d'agir pour faire disparaître le symptôme, pour apaiser l'angoisse. Le psychanalyste, en suscitant la vérité du sujet, suscite à la fois le sujet et sa vérité... En un second temps... le temps de la cure psychanalytique, le sujet découvrira par lui-même sa vérité et la liberté relative qui lui est laissée de sa position libidinale par rapport à son entourage ; ce second temps a comme lieu de révélation le transfert. »

Cas de Valentin

La rencontre avec Valentin fut provoquée par le pédiatre qui le suivait depuis quelques temps. Valentin allait à l'école maternelle. Il était isolé du groupe des enfants à cause de problèmes de communication : il jargonnait une sorte de charabia, plus qu'il ne parlait. D'autre part, il s'opposait violemment à sa mère à propos de ses selles, qu'il pouvait difficilement lâcher, sauf dans la couche, ou alors, il envahissait tout de diarrhée. Son pédiatre était inquiet, Valentin ne lui parlait pas, criait lorsqu'il voulait l'examiner, refusait tout contact. Comme rien d'organique ne se profilait, il proposa à la mère de prendre rendez-vous avec moi. — Je pense qu'on pourrait faire quelque chose pour ce petit garçon et cette maman, m'avait-il dit en me l'adressant.

Valentin avait presque trois ans et demi quand je le reçus. Il avait l'air de ne rien écouter et de ne rien entendre. Il était dans un « ailleurs » qui très vite se révéla, après quelques rendez-vous, être un ailleurs imaginaire et riche, mais qui ne s'adressait à personne, à part quelques mots.

La mère vit seule avec son fils. Elle s'est séparée du père peu après la naissance et Valentin voit son père un week-end sur deux et pendant des petits temps de vacances. Elle raconte l'opposition, cette relation difficile et conflictuelle. Dès qu'il rencontre une frustration, dit-elle, Valentin fait des colères très fortes. Il y a beaucoup de rapports de corps-à-corps. La nuit, il a des angoisses et vient dans le lit de sa maman. Il peut aussi se mettre en danger, partir de l'école, partir sur la route. Elle dit que parfois, il parle de son papa : « — Il se

cache ! Il est parti ! (ce que je comprends dans son jargon), bien que cela soit douloureux pour elle, elle essaye de maintenir cette place du père.

Pendant que sa mère parle de lui, de leur histoire, il joue dans son coin et s'intéresse rapidement au panier de jouets. Je fais souvent miennes les paroles de D. Winnicott, pour qui jouer est une thérapie en soi. Mais pour Valentin, il ne s'agissait pas seulement de jouer. C'est d'une psychanalyse qu'il avait besoin, où nous utilisâmes le jeu.

À partir de ces moments de jeu, Valentin accepta ma présence, puis celle de quelques personnages que je disposais près de lui. Le cadre de l'analyse, régulier, toutes les semaines, permit à Valentin de développer des constructions imaginaires. Il y a un langage à décrypter dans le jeu, même si l'on n'interprète pas d'emblée à l'enfant ce qui se passe. Dès le début, je fus étonnée de la façon dont ce petit garçon de trois ans mettait en scène quelque chose de sa toute petite enfance, peut-être même d'avant sa naissance. Il a été le témoin et le centre du conflit entre sa mère et son père, qui sont de cultures et de pays différents. Le père dut repartir dans son pays pendant la grossesse. Ils se sont séparés quelque temps après la naissance de Valentin. Madame a eu un autre compagnon, parti depuis peu. Elle est assez déprimée et anxieuse. Il y a toujours des conflits avec le papa autour des week-ends et des vacances. Madame criait beaucoup pendant sa grossesse, me disant que souvent le père de Valentin la poussait à bout. Très déprimée quand elle s'est retrouvée seule, elle n'a pu se séparer de Valentin qui a vécu collé à sa mère jusqu'au sevrage. Quand elle le posait, il pleurait.

Il souffrait d'un reflux gastro-œsophagien important.

Ce n'est que deux ans plus tard que je pus rencontrer le père, à la demande de Valentin. Je fis également un travail avec la mère qui, plus tard, entreprit une analyse pour elle. Je développerai quelques thèmes et constructions qui ont permis à Valentin de devenir un « vrai petit garçon » pour reprendre des mots qu'il a dits vers la fin de son analyse, et d'échapper à ce poids si lourd qui pesait sur lui depuis sa naissance, et bien avant.

Après quatre mois de séances, Valentin accepte que j'intervienne dans son jeu. Je sors un personnage féminin. Il me le demande. Lui même a sorti un monsieur et deux voitures. Le monsieur et la dame se poursuivent. Je sors un bébé. Il le prend dans la main qui tient le papa. Quelquefois, j'ai l'impression que les deux personnages tiennent le bébé. Plusieurs fois, il répète la même scène et il laisse tomber le bébé. Il le met dans une tente et le laisse tomber. Les deux personnages adultes font une espèce de poursuite et Valentin crie comme si l'un disputait l'autre. Cette fois, il accepte mon intervention et acquiesce lorsque je lui raconte ce que sa maman m'avait dit lors de la première séance sur les disputes de ses parents, qui semblaient l'oublier dans ces moments-là.

Valentin s'est également servi des histoires que lui raconte sa mère, qu'il voit en cassettes ou qu'il entend à l'école, pour donner du support et du corps à des choses qui lui faisaient peur. À travers des personnages mythiques ou de contes merveilleux, Valentin se crée des identifications. Il est

parfois Blanche-Neige puis, de plus en plus souvent, Pinocchio. Cela lui sert à mettre en scénario le « laisser tomber » du début. Il n'a pas encore choisi d'être fille ou garçon quand il s'identifie à Blanche-Neige qui court dans la forêt. Il pleure, il est très triste quand le petit garçon Pinocchio perd son papa.

Au bout d'un an de traitement, les fantasmes de dévoration et de castration vont commencer à s'exprimer à travers le support d'un objet qu'il prend dans mon sac. Il fouille et trouve un porte-clés. Je lui demande ce qu'il cherche. Il ne répond rien et continue à fouiller.

— Je veux bien que tu prennes quelque chose (ces fameuses clés), mais tu peux me le demander avec des mots. Il réussit à articuler le mot « kek ». Plusieurs séances seront consacrées à cet objet qui, quand on l'ouvre, représente une scène qui s'anime : un petit lapin mangeant des carottes. Il montre, derrière le petit arbre, un loup (qui n'y est pas réellement) : — Le loup veut manger la carotte du petit lapin !

Ses dessins se structurent. Il me demande de le dessiner avec une épée, un grand bâton, et il rajoute un grand soleil. Lui-même se met à dessiner un bonhomme avec les yeux, la bouche, pas d'oreilles, des grands bras et cinq doigts. Puis il se met à dessiner des monstres. Il se dessine dans sa maison. Au bout de deux ans, il peut dessiner un bonhomme dont la tête est dans les nuages, ou un garçon pris dans une toile d'araignée. De plus en plus, ses dessins évoqueront ses peurs, ses difficultés : ainsi, un bonhomme qui rit en pleurant.

Valentin ne veut plus mettre de couche la nuit. Il commence à faire pipi debout, seul, et à faire caca dans les toilettes. Il est triste qu'on ne le comprenne pas, surtout les enfants. Il dit que les copains ne veulent pas jouer avec lui. — Je veux jouer avec eux, dit-il. Il a six ans maintenant.

Il parle. Il accepte de regarder et de répéter avec la mère et la maîtresse. Il zozote et dit : — Ze veux rester là ! (en parlant de mon bureau). Quelque chose où je comprends qu'il lui est difficile de sortir du « pays de nulle part ».

Analyse

Pendant les séances, les constructions fantasmatiques à contenu de dévoration sont très présentes. Dans le jeu, il dit qu'il coupe les doigts de madame Saladin, qu'il la transforme en bébé, qu'il la mange et qu'il en fait du caca. Tout cela, maintenant, il peut l'exprimer avec des mots. S'ensuit une grande période d'opposition, des cauchemars. Des peurs qu'il avait la nuit, il peut dire : — J'ai peur que le monsieur rentre dans le lit de maman ! Donc il va lui-même dans le lit. Il poursuit le chemin de Pinocchio. Dans le transfert, il y a la fée bleue. C'est la fée qui donne la vie. Elle est contente parce qu'elle a une baguette magique. Je suis la fée bleue, mais je suis aussi la sorcière qui veut manger Valentin. Mais Valentin est le plus fort. Après cela, il cherche à me séduire. Il dessine de gros monstres bleus.

- Est-on un monstre, si on a envie ?
- Envie de quoi ? lui demandai-je.

Il dit :

— La tortue mange la bouche de Madame Saladin. Le dinosaure et le requin la dévorent. Allez, on va attaquer une dame ! ... J'ai compris que ce n'était pas permis.

Il cherche quand même à se coller à moi et à m'embrasser. Il vient de faire un grand pas dans la compréhension de l'interdit de l'inceste. Il n'a plus de problèmes de langage. Il parle très bien. Maintenant, il se présente comme Valentin, un petit garçon qui habite à Paris.

Valentin à son père, pendant une séance :

— Un père, ça sert à éviter le danger, pendant la chasse dans l'île au trésor, ça protège de la mère. Il faut que tu expliques à maman. Elle me dispute de trop !

Lors d'une autre séance, Valentin joue avec le crocodile et la pâte à modeler. Avec un énorme sourire, il fait un bonhomme en pâte à modeler :

— Le crocodile le mange avec sa bouche ! Il en fait de la chair à pâté avec sa queue ! Il le mange ! Je n'ai jamais mangé du garçon pareil ! Je mangerai tous les garçons de toute ma vie ! Pouah ! J'étais bien mangé, mian miam ! J'ai tout mangé le garçon, je me régale bien ! et il rigole. Puis il enchaîne avec une série de cinq dessins qu'il jettera à la poubelle :

1^{er} dessin : un garçon qui se transforme en fantôme. On ne sait pas en quoi il va se transformer. Puis il dessine une fée qui lui donne un don, avec des étoiles partout.

— Il est étonné, le fantôme : c'est de la magie !

2^e dessin :

— Le fantôme se transforme, Des espèces de trucs qui n'ont pas d'autres jambes. Il marche en faisant Boïng-boïng.

3^e dessin :

— Par magie, il se transforme en Clown avec des étoiles.

4^e dessin :

—Mais il préfère la forme de petit garçon, avec une fleur sur son chapeau.

5^e dessin :

— Il se transforme en un garçon. Il pleure, il est content. C'est comme ça la vie. Il pourra plus se transformer. Il marche dans sa flaque d'eau (faite par ses larmes).

— C'était dur de devenir un vrai garçon !

Cela pourrait être le résumé de son analyse. Il ira à l'école primaire, apprend à lire et à écrire, se fait des copains. De temps en temps, il a besoin de jouer seul et de se raconter des histoires... et de venir voir Madame Saladin.

Lacan nous éclaire sur les peurs « Le passage du champ de l'angoisse... c'est celui où se dévoile la vraie fonction de la phobie qui est, à l'objet de l'« angoisse », de substituer un signifiant qui fait peur. Au regard de l'énigme de l'angoisse, la relation signalée de danger est rassurante. Aussi bien, ce que l'expérience nous montre, c'est qu'à condition que se produise ce passage au champ de l'Autre, le signifiant se présente comme ce qu'il est au regard du narcissisme, à

savoir comme dévorant. C'est bien là d'où s'origine l'espèce de prévalence que, dans la théorie classique, a pris la pulsion orale. » (Jacques Lacan, Séminaire d'un Autre à l'autre, 1968-1969).

En tant qu'analyste, nous nous trouvons confronté avec une histoire familiale. Ce qui nous intéresse, ce n'est pas l'amnèse. L'enfant qu'on amène en consultation occupe dans le fantasme de chacun des parents une certaine place. Il est comme sujet aliéné dans le désir de l'autre. Pour nous, écrit Maud Mannoni, suivant en cela Jacques Lacan, « l'analyse n'est pas une relation à deux dans laquelle l'analyste se désigne comme objet de transfert. Ce qui importe, ce n'est pas une situation relationnelle, mais ce qui se passe dans le discours, c'est-à-dire le lieu d'où le sujet en devenir parle, à qui il s'adresse, et pour qui. Toute interprétation ne peut se faire qu'en tenant compte du registre où se trouvent analyste et analysé. C'est de la place où nous sommes dans le transfert que nous recevons le matériel apporté par l'enfant. Il faut entendre la parole du parent et de l'enfant du lieu où elle se constitue. « On ne songe guère combien il est vain de vouloir analyser une mère, dit-elle, pour son compte à elle, lorsque son compte à elle est à ce point l'enfant. » J'ai beaucoup entendu la mère de Valentin, son histoire, ce qui s'est joué dans la rencontre avec le père, protestant allemand, scientifique, elle historienne française et juive, à l'arrivée d'un garçon au moment où elle pensait se séparer de cet homme. Les cures séparées ne permettent pas au psychanalyste de comprendre la place occupée par l'enfant dans le fantasme de la mère, son drame œdipien. Même si la mère est en analyse, cela n'empêche pas de faire un travail avec

elle pour son enfant. En analyse avec les enfants, nous avons affaire à plusieurs transferts. Celui des parents, celui de l'enfant et celui de l'analyste. Les réactions des parents font partie intégrante des symptômes de l'enfant, donc de la conduite de la cure.

Le travail avec les parents se pose de façon différente selon qu'il s'agit de psychose ou de névrose. Pour Maud Mannoni, la différence tient aux problèmes particuliers que soulève l'analyse d'un enfant qui, par la situation duelle instaurée avec la mère, se présente à nous comme le seul résultat de soins, et jamais comme le résultat du discours qu'il nous tient. Cette situation ne venant pas seulement de l'enfant, on comprend à quel point le parent peut se sentir mis en cause à travers la cure de son enfant. L'analyse déloge l'enfant de la place qu'il occupe dans le réel. Il est dans le réel le fantasme maternel, c'est ainsi qu'il bouche l'angoisse où remplit le manque de la mère comme l'explicite la note de Jacques Lacan à Jenny Aubry (Lacan, J., 1969). Il est donc important d'aider le parent pathogène à qui l'enfant est lié. Mais, comme l'exposait Catherine Vanier lors d'un congrès (« La conduite de la cure en psychanalyse d'enfant », 21 juin 1998), « il ne suffit pas de faire alliance avec eux, et que la confiance qu'ils nous accordent risquera toujours d'être remise en question s'ils ne renoncent pas un peu à la jouissance que le symptôme de l'enfant leur procure. » C'est la nécessité de ce renoncement qui rend indispensable le travail avec les parents, et sans ce travail, la résistance des parents peut mettre la cure en échec. Rappelons que Freud, en 1897, a su lier le transfert à la résistance, conçue comme

obstacle, dans le discours du sujet, à l'aveu d'un désir inconscient. Ce qu'il expose dans l'analyse du petit Hans.

Cas de Lola

La mère de Lola me demande comment aider sa fille de 6 ans à n'avoir plus peur la nuit, et à ne plus venir dormir entre papa et maman.

- Maman ne veut pas, papa veut bien, me dit Lola.
- Et toi ?
- Moi j'aime bien.

Lola a des terreurs nocturnes,

- C'est pour cela que je viens dans leur lit.
- Nous avons tout essayé dit la mère, la petite veilleuse, les histoires, le verre d'eau, mais rien n'y fait. Je ne vais quand même pas fermer la porte à clé ! Maintenant qu'elle à 6 ans, et qu'elle au CP, on devrait pouvoir lui faire comprendre qu'elle doit nous laisser dormir. Je n'ai pas besoin de conseils ! mais vous êtes psy vous devez bien savoir quoi lui dire. Et elle me la laisse, sous prétexte que sa voiture est mal garée.

Alors Lola me dit :

- Quand je viens, ils ne se dispute pas et je suis sûre que maman ne partira pas.
- Que faire comprendre à Lola ? Son père accepte la situation, pour ne pas perdre sa femme, la mère se sert de sa fille. Derrière les peurs de Lola il y a un couple en grande difficulté qui s'accroche à la petite fille. Une femme qui jouit de cette situation et se sert de la psychanalyste comme alibi. Le père à bien compris et dit les psy, c'est de la foutaise ! Elle sait

quoi faire pour que Lola dorme, mais elle préfère cette situation pour ne rien lâcher. En réponse à ma question que voulez-vous ?

— Je n'aime plus cet homme mais j'aime mon confort. Il n'y aura pas d'autre rendez-vous.

Pour en revenir à la psychose, le destin du psychotique ne se fixe pas tant à partir d'un événement perturbant, qu'à partir de la façon dont le sujet est exclu par l'un ou l'autre parent de la possibilité d'entrer dans une structure triangulaire. J'illustrerai cela par un cas clinique. Dans l'avant-propos du Premier rendez-vous avec le psychanalyste, Maud Mannoni nous rappelle que tout sujet se trouve inscrit dans une lignée suivant certaines lois. « Si je mets en relief la position de tout sujet à l'égard de l'image paternelle et de la loi, ce n'est pas dans un contexte normatif et idéologique, c'est parce que le signifiant paternel, face à d'autres signifiants, occupe une certaine place dans l'inconscient du sujet, les désordres se révélant dans ce qui nous est signifié au niveau du discours. » J'étais en contrôle chez Françoise Dolto, elle m'avait dit, à propos d'un garçon que j'avais en cure depuis quelques années : « Vous l'avez sauvé de la psychose ! » Ces mots m'avaient surprise. Ce dont je voudrais témoigner, c'est comment cette phrase et le travail très fouillé avec Françoise Dolto, m'ont accompagnée dans la suite de cette cure, ce que j'ai reçu d'elle. C'est cela qui me permet de tenir le cadre et de soutenir le transfert, toutes les semaines, malgré des événements qui auraient pu interrompre la psychothérapie. Je pensais à l'époque que la psychose c'est une structure, me

référant à certains séminaires de Jacques Lacan, mais la pratique avec les enfants nous montre que si l'on commence un travail assez tôt, l'enfant étant un sujet en construction, il y a des possibilités d'évolution. Il n'y a pas de fatalité, les castrations, le passage de l'œdipe, l'enfant peut sortir de là où il est fixé dans son corps et son psychisme.

Il est assez classique de dire en France que le remaniement des familles rend la fonction du père de plus en plus incertaine (divorce, recomposition, monoparentalité, etc.) Le destin de l'enfant semble souvent rivé à celui de la mère. Pourtant, si nous suivons les voies ouvertes par Freud et Lacan, le père n'est qu'une métaphore. Sa fonction peut être supportée par autre chose qu'un père réel, si une telle métaphore est soutenue dans le discours de la mère.

Maxime

Il y aurait un destin pour Maxime, c'est de faire pleurer sa mère, et qu'elle soit toute pour lui. Quels relais métaphoriques se sont mis en place pour lui ? Comment le cadre et le transfert ont-ils pu soutenir cette fonction du père et ainsi permis à ce jeune homme d'advenir à sa parole, d'être sujet de son discours, quels relais, quel étayage ont permis que l'énoncé premier du discours de la mère : « Je veux un fils pour moi et pour moi seule ! » et du père : « Je ne veux rien savoir de ce deuxième fils ! » ne soient des paroles fatales menant ce garçon sur le chemin de la psychose ou de la délinquance ? Comment la psychanalyse et le transfert ont apporté des possibilités de suppléance ? Je rencontre Maxime pour la première fois dans un CMP de la banlieue

parisienne, il vient avec sa mère, sur les conseils du psychiatre et de l'infirmière responsables du placement familial. Il est question d'un placement en famille d'accueil thérapeutique, car la mère craque et ne sait plus comment se sortir de ce lien qu'elle a créé avec Maxime. Elle s'interroge sur sa vie, sur son envie d'évoluer, elle a repris des études pour être infirmière et elle a déménagé récemment. Et c'est l'équipe du CMP ou ils étaient suivis qui l'a orienté vers notre service. Là où elle habitait avant, elle avait entrepris avec Maxime un premier travail de psychothérapie. En lien avec les difficultés que présentait Maxime, tant sur le plan du langage que du comportement, et des difficultés à se socialiser et à se scolariser (il était né prématuré, avait eu la rougeole à 6 mois, marché à 22 mois, parlé à 4ans). Une première tranche d'analyse, pendant trois ans, avec une autre analyste, avait permis que, quand nous nous sommes rencontrés, il y eût du père. Le père, il en porte le nom, il en parle, il est absent. Cet enfant est voué à la mère. « — Pleure ! » dit-il à la mère en début de séance, elle pleure, et il pleure ! Il la commande et elle obéit, c'est une mère très tendre, elle ne sait pas lui mettre de limites — elle-même a eu de grosses difficultés familiales et a passé de nombreuses années en internat. Il a environ 7 ans. Quelques séances avec Maxime et sa mère, où elle me retrace les débuts de cette histoire où je peux appréhender quelle place a occupée Maxime dès sa naissance, ce qu'il a représenté pour elle, et quel manque il venait combler. Je commence la thérapie de Maxime seul. Les parents se sont séparés peu de temps après sa naissance.

Le père est retourné vivre chez ses parents. Il est sans travail, dans une situation très précaire. Il ne veut pas voir Maxime. Lors des séances de contrôle, Françoise Dolto insiste sur cette question. Certes, je soutiens la fonction du père, mais elle insiste pour que je le rencontre dans la réalité. Pour cela, je fais ouvrir le CMP le samedi matin, mobilise une infirmière et ce, plusieurs fois. J'ai le soutien de l'équipe à qui je parle de cette démarche et de son pourquoi dans nos réunions de synthèse. Je propose au père de nombreux rendez-vous, auxquels il ne viendra jamais. Un jour, je fais part à Françoise Dolto que, lors des rares visites où Maxime accompagne son frère aîné chez le père, c'est sa mère qui paye le transport et que le père veut bien voir ce deuxième fils, à condition que son ex-femme lui donne de l'argent. Il ne paye pas non plus de pension alimentaire. Alors, Dolto dit : « S'il ne paye pas, il n'a pas à voir son fils ! » Ce que Françoise Dolto souligne par cette remarque, c'est que le père est une fonction et, ce qui est à restaurer, c'est sa place symbolique. C'est cette symbolisation qui permet à Maxime de « sortir de la psychose », des pulsions de mort. Des remaniements de structure s'opèrent. C'est cela qui est extraordinaire avec Françoise Dolto, sa parole, jamais en l'air, même si on ne la comprenait pas toujours, ou même si l'on n'était pas d'accord, car elle avait le génie de trouver ses trucs qui mettaient en pratique sa théorie, ou des notions que Lacan développait dans ses séminaires, notamment la question du Nom du Père, de la Forclusion, des suppléances. Elle pouvait par ces remarques nous faire réfléchir et trouver nos propres trucs, nos propres inventions à partir de la parole du patient.

Plus tard, le père de Maxime pourra lui faire un cadeau : une montre. Maxime est grand et se déplace seul à ce moment-là : « Alors, mon père n'est pas fâché ! » Pour lui, il y avait du père, mais il était fâché après lui-sa-mère dans un couple fusionné. Elle se faisait battre par ce premier homme qu'elle avait dans la peau, lui ne voulait pas d'autre enfant, un fils lui suffisait, et Maxime d'ailleurs avait eu de nombreux accidents et maladies dans sa petite enfance. La mère a voulu ce fils pour elle seule. Quel manque devait-il combler ? Comme disait Guy Lerès : la seule valeur sûre c'est ce qui manque à la mère.

Sa cure s'est déroulée sur une dizaine d'années. J'en tire quelques petits fragments :

Il apporte un jour en séance un livre — les livres, avec les petits personnages et les voitures, lui ont permis de construire une aire de jeu avec des constructions imaginaires, des fantasmies. Le contenu de ces histoires peut être compris comme un rêve, avec ses mécanismes. C'est l'inconscient qui s'exprime, comme dans le dessin d'enfant. Ce livre, donc, qu'il apporte en séance, c'est Barbapapa. Une image du livre lui fait peur : une grosse machine en train de casser une maison Barbamama (figuration de la scène primitive, et peut-être aussi des scènes de violence entre le père et la mère). Il dit : « J'ai peur ! » et se colle à moi. Je lui interprète du côté de l'interdit de l'inceste : « Les papas, c'est la barbe, ça empêche les garçons de se coller à maman ! » Toutes les premières périodes de son analyse avec moi, quand il dessinait il collait sa chaise à la mienne et il lui fallait toujours un

contact pour arriver à dessiner. Façon dans le transfert de pouvoir se décoller de la mère, de retrouver cela, sans se perdre et pouvoir accéder à une parole propre, à une création.

Faire tenir ce cadre n'a pas été une chose simple, mais j'ai pu m'appuyer sur le transfert de Maxime envers moi, sur celui de sa mère et sur les diverses institutions, CMP, unité d'accueil familial thérapeutique, internat qui l'ont accueilli. Mon rôle a été d'occuper par le discours comme la place symbolique du père, et de faire tenir ensemble les morceaux épars, puis d'instaurer la coupure par la parole.

Maxime, à un moment clé de son analyse, arrive en rage. C'est maintenant un jeune adolescent. Il veut tout casser dans mon bureau, car sa mère, pour la première fois, lui a refusé quelque chose : une boisson au sortir de l'internat, car il était très en retard. Il l'invective violemment devant moi lorsqu'elle m'en fait le récit, puis il rentre dans le bureau, très énervé. Il attrape une boule de verre à laquelle je tiens (qui m'avait été donnée par mon père) et fermement, je lui dis que s'il lance cet objet, je ne le recevrai plus, mais que je peux entendre sa colère. Il pose la boule, s'effondre sur le divan et dit ces paroles murmurées dans la bave et les larmes : « Je suis son bébé, elle est ma mère, elle doit tout me donner ! » On voit comment ce jeune homme se situe face au désir de l'Autre. Mais il entend ma réponse : « Oui, oui ! C'est ta mère, mais elle ne peut pas tout. » L'explosion agressive, si elle est liée à la moindre rupture du cadre, renvoie à une façon particulière qu'a le psychotique d'établir son rapport à

l'autre. Le psychanalyste doit demeurer le support possible d'une agression et éviter de se donner comme objet d'une intention agressive. Autrement dit, on doit privilégier l'articulation symbolique et non se laisser enfermer avec le patient dans le champ de l'imaginaire.

À cette époque, Maxime est souvent un peu énervé, violent. Il l'est aussi avec sa mère, qui a un nouveau compagnon. A L'internat où il est, la pharmacopée est utilisée pour faire taire le symptôme. En retour de la question que lui renvoie sa mère : la femme, le corps de la femme, la castration, les filles de l'institution, ce qu'elles lui montrent, la violence qu'il ressent devant elles ou la peur. « Les filles c'est » dégueu « ça saigne, pourquoi ? » il interroge aussi cette blessure ? La castration, l'œdipe. Sa violence est à la mesure de la place où le désir de l'Autre l'avait mis. Dans les séances, il parle de tout cela. Quelquefois, il s'installe face au mur, ne me regardant pas. Il se réapproprie une parole, d'abord à travers le symptôme dont on voit qu'il a une fonction de suppléance. À le faire taire, que gagnerait-on ? Lacan nous rappelle : « S'il est la nature propre de la réalité humaine, la cure ne peut consister à éradiquer le symptôme en tant qu'effet de la structure du sujet. » La mère en comprend quelque chose : « Il dort, dit-elle, ou ne fait plus rien, ou regarde la télé toute la journée. Le médicament, ça calme, mais là, c'est trop, il ne peut plus nous parler. » Dans les séances aussi, il est comme avachi. Heureusement, l'interne qui avait prescrit nous entend aussi. Le traitement est diminué, puis supprimé. Le processus psychanalytique se poursuit.

L'intérêt de ce jeune homme pour la lecture est relayé par son intérêt pour l'art, l'artisanat, pour le « faire ». Il est maintenant dans un Institut médico - professionnel (IMpro)¹. Des suppléances s'installent. Cela fait tenir ce qui était défaillant au départ, ces artifices dont parle Lacan. Quelque chose a fonctionné, venant suppléer, remplacer un manque dans la structure. Dans ce même temps, son beau-père le mène vers le travail, travaux de jardin et dans la maison. Il occupe aussi une autre place, cet homme, que de faire pleurer la mère. Un autre fils naît, le beau-père veille à ce que Maxime ne la fasse plus pleurer non plus. Vers la fin de l'analyse, il me parle de ce qu'il fait, de son travail, de ses trajets. La question des déplacements a joué un rôle considérable dans cette cure. Maintenant, il vient seul à ses séances de l'IMpro, en changeant trois fois de car. Il est fier, un peu anxieux. Il fait des projets d'avenir. Un jour, sa mère me téléphone, me disant qu'elle est inquiète de la sexualité de son fils, qu'il se masturbe beaucoup. Maxime, à qui je fais part de ce coup de fil, me dit : « Cela ne la regarde pas, c'est ma vie privée, et c'est bien ! » Pas du tout en colère, avec un certain humour, il ne lui sert plus d'objet de jouissance, pourrait-on dire, et son travail analytique lui a permis d'avoir sa propre parole et d'être séparé du désir de la mère, du désir où la mère voulait l'inscrire : avoir un fils pour elle seule.

Conclusion

La conduite de la cure est faite du jeu de transfert réciproque. Ce qui est mis en lumière, c'est la place du désir, qui prend tout son relief dans le transfert. Cela implique une référence implicite à un tiers, c'est-à-dire à la loi du père.

1 Institut médico -professionnel, ou Sifpro.

Bibliographie

Lacan, J. (1969). Note sur l'enfant. Autres écrits, Paris, Seuil.

Mannoni, M. (1974). L'enfant, sa "maladie" et les autres. Paris, Points, édition Du Seuil.

Mannoni, M. (1975). Le Premier rendez-vous avec le psychanalyste, Paris, Denoël Gonthier

L'héritage de la guerre dans le discours d'enfant en analyse

Aline Husseini Assaf

Résumé

La psychanalyse, depuis sa naissance avec Freud, avait un lien avec la guerre. Au début du 21 ème siècle, cette guerre s'est transformée, elle est devenue multiples. Elle épouse la modernité et ses formes contemporaines : le déclin du père et du nom, la présence des écrans qui permettent de tout voir et de tout savoir.

Mais pas de guerre sans discours (pour envoyer les gens à la bataille, il faut un discours) et ce discours se transmet d'une génération à une autre. Ce qui implique que la guerre ne peut être réduite à des manifestations naturelles ou déchaînées d'agressivité.

Le champ social, pendant cette période, est un champ de turbulence : les dimensions de l' espace-temps basculent dans le chaos, la mémoire collective est morcelée, l'enfant qui sera l'héritier des fantômes se trouve alors dans la chaîne historique sanglante de ses parents et sera le porteur d'un discours dénotant un contracte de répétition et visant à traiter par le paradoxe un espace néantisé par l'archaïsme traumatique.

Des dessins d'enfants dont les parents et / ou eux-mêmes ont vécu la guerre seront analysés, ainsi une étude de cas parlant d'une transmission du discours sera présentée.

Mots clés : (guerre – Discours – Leader - Objet a – Transmission – Traumatisme – Transgénérationnel - Dessins d'enfants).

ملخص

رُبط التحليل النفسي منذ ولادته مع فرويد بالحرب. ولقد تحولت هذه الحرب منذ بداية القرن الحادي والعشرين فتعددت أوجهها وتنوعت طرقها فتزاوجت مع الحداثة بأشكالها المعاصرة: إنحدار الأب واسم الأب، تواجد الشاشات التي تنقل المعرفة وتسمح بمشاهدة كل شيء...

إلا أنه لا يوجد حربٌ من دون خطاب (للإبلاغ عن المعارك يجب إيجاد خطاب) هذا الخطاب يُتناقل من جيل إلى آخر ما يعني أن الحرب لا يمكن إختصارها بوقائع طبيعية ترتبط بالعدوانية.

ويصبح الحقل الإجتماعي خلال هذه المرحلة حقل فوضى، فتدخل كل الأبعاد الزمانية والمكانية في هذه الفوضى، وتتجزأ الذاكرة الجماعية ويحمل الطفل موروثات هذه الحرب وأشباحها ويتمحور التاريخ بالنسبة إليه بسلسلة دموية فيها الأهل وكافة العلاقات الإجتماعية، كما يحمل هذا الطفل نفسه خطاباً مليئاً بالتكرار وبالترداد وخطاباً معبّراً عن تناقض في مجالٍ لا بدّ من أن يكون مُحَمَّلاً بالتروما الأركيكية.

هي رسومات أطفال عاشوا مع أهلهم الحرب وكانوا إما قيد العلاج أو أنهم قد تمكنوا من أن يستفيدوا من استشارات نفسية.

إنها دراسة حالة ركزت على ما نقله كلام هؤلاء الأطفال.

كلمات مفاتيح: (الحرب - خطاب - القائد - الموضوع - النقل - الصدمة - تعابر الاجيال - رسومات الاطفال)

Introduction

Les guerres, toujours singulières et toujours inventives, ébranlent le corps social, détruisent les œuvres de la culture, bouleversent les croyances et le savoir.

La guerre menace les hommes partout, elle les arrache à leur histoire. Elle fait des corps, des morceaux que l'on ramasse après la bataille, des pièces détachées qui furent un instant avant, des corps habités par une histoire. Les générations de guerre, qui ont traversé ces épreuves, se trouvent

confrontées à la mort qui les mine, ils ne croient plus à l'histoire, c'est leur historicité qui est touchée.

Lacan et la guerre

Lacan parle de trois dimensions pour élaborer le fonctionnement psychique : l'imaginaire, le symbolique et le réel. Appliqué à la guerre, nous permet de poser qu'elle tient sa puissance dans l'inconscient d'un type de nouage qu'elle effectue entre ces 3 registres qui le constituent. Ce nœud a pour nom : « traumatisme ». Donc mettant l'agressivité au service du symbolique, transformant le symbolique au moyen du réel de la science et réduisant les idéaux du moi aux impératifs du surmoi, produisant un retour du réel sur le corps morcelé et l'insaisissable de la vie, la guerre est traumatique de se présenter comme l'interprétation réelle de toute civilisation.

Cette guerre implique toujours un discours, le discours du signifiant maître qu'ils soit religieux, ethnique, moral etc. Elle est faite de discours, elle utilise les motions agressives qu'elle met au service du symbolique dans lesquels elle se fonde, alors il ne s'agit pas d'une simple manifestation d'agressivité, il s'agit plutôt, de l'impact des leaders qui, selon Freud, ils tiennent leur pouvoir de l'idéal. Tandis que pour Lacan, ce leader tient ce pouvoir de l'idéal sur les masses de l'objet a : la voix par exemple fut le plus – de – jouir qui toucha les auditoires.

Le sujet de la guerre, écrasé par les deuils impossibles et des cauchemars récurrents, doit alors affronter son désir, sa jouissance voire son symptôme. La guerre met ce dernier, à œil ouvert, devant son horreur intime, et lorsqu'il ne peut accrocher lui-même en certains nombres d'instances ; le trauma, « trouma », dira Lacan et que Freud désigna par la notion de pulsion de mort.

L'enfant libanais face au traumatisme de la guerre

Quant à l'enfant au cœur de cette violence, il se voit toucher par une guerre qui ne le concerne pas. Il se retrouve démuni, vulnérable face à l'événement terrible, et chaque enfant manifeste son traumatisme d'une façon différente en fonction de son ordonnancement singulier.

Au Liban, un héritage transgénérationnel prédomine ; les enfants ont hérité un lourd fardeau qui se perpétue : En effet, les parents et les grands-parents qui ont connu la très longue guerre, projettent sur leurs enfants leur rage inexprimée, ainsi l'écho privilégié de leur drame, les peurs et les angoisses inexprimées. Les symptômes de l'enfant se présentent comme « le fruit d'un véritable contrat inconscient de répétition liant l'enfant au parent visant à traiter par le paradoxe une zone ou une expérience traumatique » (Eiguer 1997). Les familles qui ont connu le deuil traumatique et qui n'a pas été fini, le transmettent et par la suite se répercute sur l'enfant impuissant à lutter contre l'inexprimé.

Des centaines de milliers de parents ont aussi connu le déplacement et l'exode, ils continuent à rêver de cette maison

mythique, de la terre perdue et font participer les enfants à cette utopie. Ce vécu de déracinement brutal a de grandes répercussions sur l'enfant qui se sent arraché à son chez lui, à ses amitiés, à son ciel et son soleil, à ce qu'il connaît sans espoir de retour et cette absence d'espoir est plus terrible encore ; il doit en outre s'adapter à des lieux inconnus, voire même hostile. Souvent il n'a plus de place, plus de lit, et les adultes exigent de lui de se taire, de supporter, de s'adapter. Ainsi, pendant l'année 2006, au Liban, la menace d'une guerre a fait que les enfants comme leurs parents étaient dans l'expectative de quelque chose lorsque les raids israéliens ont commencé en juillet 2006. Un seul cri se répercute dans tout le pays : c'est la guerre de l'anéantissement, pas une âme ne sera sauvée.

Fidaa ou rançon... (étude de cas)

Après quelques mois de l'arrêt de la guerre, j'ai reçu dans mon cabinet Fidaa dont son prénom signifie rançon. Les parents de Fidaa habitaient dans le même immeuble et fréquentaient la même école. Au cours d'une terrible journée, l'école a été bombardée et c'est le père de Waël qui a sauvé la fille et l'emmena à la maison où elle découvrit le cadavre de sa mère et de son frère qui avait 2 ans, tués par des balles tirées à travers la fenêtre par un franc-tueur. Le père de Grace de même s'est trouvé mort et brûlé dans sa voiture suite à un avion militaire syrien qui a attaqué sa voiture.

Au cours d'une séance, Fidaa disait : « j'ai passé la plus grande partie de ma vie à cacher mon origine, je détestais mon prénom, je le sens lourd arabe, culpabilisant, j'avais des colères contre mes parents de leur choix de prénom : je faisais parfois la guerre en famille comme pour survivre. Je me sens coupable de tout ça, coupable de ne pas être à la hauteur de prénom, de ne pas prier alors j'évitais d'être entourée par des amis à l'école, j'évitais de me présenter par ce prénom alors j'étais toujours « la silencieuse » même mes camarades de classe m'appelaient « la silencieuse ».

Alors le signifiant maître « Fidaa » est apparu et ce silence vient masquer le trou que lui présentait la coupable en colère, elle préférait être perçue et appelée par la silencieuse que d'être appelée par Fidaa et se sentir coupable.

Après quelques semaines, Fidaa se trouve, lors d'une séance, figée, silencieuse... suite à ma question concernant la cause de la mort de ses grands-parents maternels. Elle ne savait pas la réponse mais cette question l'a transplantée dans un autre monde, un monde inconnu, à un monde silencieux où le silence est chaotique, blanc, creux, vide. Et c'est à partir de cette séance, elle a commencé à une reconstruction logique d'un passé qui ne la concerne pas, d'un enkystement qui viendrait de l'inconscient de l'autre.

Les parents de Fidaa, Grace et Waël, fréquentaient la même école, et ils habitaient le même immeuble à Beyrouth. Le papa de Grace avait trouvé la mort quelques mois auparavant suite aux événements de la guerre, brûlé dans sa voiture par l'aviation militaires syriennes. En quelques mois

Grace et son frère avaient perdu leur père et leur mère. Les enfants furent pris en charge par leur grand-mère et par leur oncle et ils quittèrent l'immeuble. Quant au père de Waël, que dans l'immeuble habité par des chrétiens, on commençait à soupçonner de renseigner « l'ennemi », il quitta avec sa famille Beyrouth quelques semaines plus tard et s'installe au sud. Quand Grace avait ses 17 ans, elle se rend chez sa tante installée à Paris. Après quelques mois, par l'intermédiaire d'un groupe d'amis libanais, elle rencontre Waël qui y continuait son master. Quelques années plus tard, elle l'épousera contre vent et marée, une interdiction de son oncle et son frère qui refusaient de la voir épouser un musulman, avec des menaces d'être déshéritée et bannie de la famille.

Quand Fidaa demandait à sa maman pourquoi elle est restée unique, la mère lui répondait qu'elle a fait deux fois de fausses couches et que son ventre refuse les garçons ajouta-t-elle à sa fille. Elle a dû s'aliter du 4e mois à l'accouchement de Fidaa.

Lors d'une séance, Fidaa racontait brièvement son expérience de la guerre de juillet 2006 sans exprimer ni détails ni émotions, juste une narration des événements : Au moment de l'attaque israélienne, la famille était dans un village pour y passer les vacances : la maison démolie, une voisine proche morte et d'autres blessés, la famille s'enfuit début août en France. Et depuis la phobie a commencé chez Fidaa, phobie des monuments historiques et des églises. Ils reviennent alors au Liban en septembre 2006.

La présence de l'enfant Fidaa dans la vie des parents les place dans un cadre psychique de double bord, double lien : elle leur prouve, par son existence, de descendant qu'ils sont en vie et qu'ils le méritent, et elle leur rappelle leurs morts et leurs trahisons aux morts. Fidaa fait revivre à Grace deux événements importants : la mort de ses parents et sa religion d'origine, d'où le sentiment permanent de trahison et de culpabilité ressentis par Grace.

Ma mère m'avouait, ajouta Fidaa, qu'elle était comme moi perturbée pendant l'adolescence et avait des idées suicidaires. De même ma mère pleurait toujours la mort de ses parents, ils auraient été si heureux de devenir grands-parents. Grace pense se convertir à l'islam, pourtant elle a vécu avec un oncle et un frère ultra chrétien, et elle a longtemps fermement cru que ses parents ont été tués par les musulmans et la voilà qui veut devenir musulmane (son mari est plutôt laïc).

La mort des parents, tués au hasard, par des balles à cause de leur christianisme et sa religion renie Grace a un autre sentiment de trahison et de culpabilité. Une ambiguïté religieuse vécue par la mère sera expliquée par plusieurs points : Fidaa savait de sa mère qu'elle avait toujours cette peur d'avoir de garçon car les fils deviennent combattants ou peut-être parce qu'elle aura donné naissance à une descendance qui va perpétuer la lignée de l'homme qui lui a sauvé la vie.

Tout d'abord comme en écho à l'angoisse de la jeune femme, le mari a évolué vers un modernisme laïc. Ne refuse-t-il pas plutôt sa religion parce qu'une accusation a porté sur son père depuis son enfance ? Waël vit la culpabilité aussi d'avoir occulté sa religion, entendre d'avoir trahi son père, et la projette sur sa femme qui veut devenir musulmane. Le prénom de Fidaa rappelle étrangement celui de sa mère. Fidaa : ça veut dire rançon qui rappelle la rançon du Christ. Grace est une grâce, une vertu chrétienne aussi, en christianisme ça exprime l'aide divine.

Dans les deux faits, nous ne pouvons que relever le sentiment de culpabilité désespérée qui ne fait que renforcer encore le désir de Grace de fuir dans la conversion à l'islam. La phobie des églises est le symptôme de la chrétienté des origines qui reste tapie, cachée sous le nom arabe de Fidaa (rançon). Alors ce prénom de Fidaa porte la marque de la culpabilité ; et cette marque de la guerre existe à son histoire et lui rappelle à quel point le désir passe de ce qui peut s'en dire. La guerre de juillet 2006 et la mort de la voisine au sud ont ravivé les traumatismes de Grace, et Fidaa inquiète ses parents par ses fabulations sur ses origines.

La guerre introduit un trou noir, un réel incontrôlable. Dans le cas de Grace la mère de Fidaa, vécue en 1979 la guerre et perdu ces deux parents, sa maison, son école... autour de ce trou réel, une symbolisation s'est tissée, qui permet que certains morceaux en soient transmis à sa fille au moyen de mots et échos de mot. Mais la plus grande part est restée éclatée, inassimilable. Une personne attaquée par le réel de

manière tellement massive, fait retomber celui-là sur ses enfants ; les traces du traumatisme se manifestent également par la rencontre directe avec le réel éclaté de la mère, réel dans lequel Grace se trouve engluée sans pouvoir ne le symboliser ni en parler.

La notion du transfert intergénérationnel de la deuxième et la troisième génération est pour rendre compte de la confrontation consciente et inconsciente des deuxièmes et troisièmes générations au réel traumatique de la guerre, par l'intermédiaire du discours de leurs parents et de la rencontre de ceux-ci avec ce réel inassimilable. Le savoir sur le traumatisme, inscrit dans les signifiants-clés gravés dans le discours conscient et inconscient de la mère, est passé dans la chaîne signifiante consciente et inconsciente de la fille.

Fidaa la silencieuse, ce silence était le garant paradoxal de la parole : un appel à faire dire ce qui ne pouvait se dire dans l'autre. Alors à la troisième génération, là où rien de l'histoire n'a été transmis, Fidaa tente de ravauder le trou dans le discours. Sur trois générations, d'abord rien que l'horreur de la guerre et le laisse tomber. Le silence indique le point panique où le sens ne peut plus se mobiliser, où la capacité à représenter s'effondre avec le sujet. Ce qui se transmet d'une génération à l'autre est donc la façon dont la précédente a inventé une réponse au traumatisme rencontré. La dentelle qui danse autour du trou. A charger pour le sujet d'en poursuivre le motif, ou s'il peut, s'il le veut, d'en charger le dessin.

Enfin, c'est à partir de cette reconstruction logique obtenue par une longue analyse, que Fidaa a pu sortir de cette phobie infernale, la jouissance de la guerre infernale, car les signifiants violents qui organisent sa vie, la protégeaient en l'habituant mais ils la tuaient aussi. Ils tuaient son lien à l'Autre.

Voilà la cure analytique qui a pu arrêter ce glissement mortifère.

Bibliographie

EIGUER, E. (1997), « Le générationnel », Paris, Dunod.

FERENCZI, S. (1919), « Psychanalyse des névroses de guerre », in Œuvres complètes, Tom 3. Paris : Payot.

FREUD, S. (1920), « Au-delà du principe de plaisir », in Essai de psychanalyse. Paris : Payot 19.

FREUD, A. (1945) « Le traumatisme psychique », in l'enfant de la psychanalyse, Paris : Gallimard.

KAES R et FAIMBERG H. (1993), « transmission de la vie psychique entre générations », Paris, Dunod.

LACAN J (1962-1963), « L'angoisse », Séminaire V. Vol (2), Paris, Edition du Piranha, 1982.

المحور الثاني

أثر المنقول في الممارسة اليومية مع المراهقين
ما بين الجمود والممانعة



Strazza, G. 1856. The veiled virgin. The illusion of transparent cloth carved in marble, accessed July 13, 2019, <<https://www.pinterest.com/pin/311522499208586375/?lp=true>>.

Pères et repères à l'adolescence

Didier Lauru

Résumé :

Les mutations internes aux problématiques adolescentes produisent des effets : la perte de repères d'autorité connue jusque-là dans les figures parentales, en particulier paternelles. L'adolescent s'essayera à se trouver des figures qui font autorité sur lui. C'est tout le procès de la subjectivation qui se déroule alors. Celui-ci sera éventuellement facilité par l'attitude des adultes qui assumeront -ou pas- la position d'autorité qui est la leur.

Mots clés : (L'adolescent – L'autorité – Le Repère)

ملخص

تركت التحولات الداخلية التي طالت إشكالية التعاظم مع المراهقين آثارًا عديدة، ومن أهمها: ضياع مرجعيات السلطة المتعارف عليها في الصور الوالدية ونخص بالذكر الصور الأبوية. ما يدفع بالمراهق إلى البحث عن صور تمثل السلطة بالنسبة إليه، فتتكلم الذاتية ساعتذاك. في وضع مماثل، يتدخل البالغون الذين يفترضون - أو لا يفترضون - أنّ السلطة لهم.

كلمات مفاتيح: (المراهق - السلطة - المرجعية)

Introduction

L'autorité repose actuellement sur les restes du patriarcat romain. Il subsiste quelques éléments qui fondent une légitimité à l'autorité. C'est une parole qui fonde la paternité. Celle de la mère pour sa part est en constante mutation. Pour que le père puisse être investi d'une quelconque autorité, il faut au préalable qu'il été placé en position de père. Aussi bien dans la réalité, que dans l'imaginaire, celui de la mère en particulier. Quant à la dimension symbolique, elle est essentielle, en particulier à l'adolescence.

À cet âge, le sujet se trouve implicitement confronté à l'autorité, à ce qui peut faire autorité. À quelles lois ou règles, il doit obéir si ce n'est à ses parents du moins à quelles figures de l'autorité peut-il s'en remettre ?

Les mutations internes aux problématiques adolescentes produisent des effets : la perte de repères d'autorité connue jusque-là dans les figures parentales, en particulier paternelles. L'adolescent s'essayera à se trouver des figures qui font autorité sur lui. C'est tout le procès de la subjectivation qui se déroule alors. Celui-ci sera éventuellement facilité par l'attitude des adultes qui assumeront -ou pas- la position d'autorité qui est la leur.

La parole fondatrice de l'autorité

Pour qu'une parole fasse autorité, un passage par la reconnaissance de cette autorité est nécessaire. Ainsi dès le début de la vie c'est la mère qui, dans son discours, place le père dans cette position en lui reconnaissant une position d'autorité, porteur du phallus, impliquant sa place singulière dans le registre symbolique. Ces étapes sont nécessaires à la construction du sujet humain. C'est Jacques Lacan qui a mis en avant le concept de Nom du Père, qui s'illustre dans la clinique des psychoses avec la forclusion du Nom du Père.

Lacan, travaillant sur la psychose, se penche (Lacan, J. 1966) sur le discours de la mère et la place qu'elle réserve au père symbolique en tant qu'agent de la loi. Il minimise considérablement celle du père de la réalité :

" Ce sur quoi nous voulons insister, c'est que ce n'est pas uniquement de la façon dont la mère s'accommode de la personne du père qu'il conviendrait de s'occuper mais du cas qu'elle fait de sa parole, disons le mot, de son autorité, autrement dit de la place qu'elle réserve au Nom du Père dans la promotion de la Loi ".

Cette remarque clinique d'une rare pertinence, déborde largement le cadre des psychoses, et s'applique à notre objet sur les figures de l'autorité à l'adolescence. Car ce processus qui s'origine au premier âge, et se rejoue sur un autre mode à l'adolescence où une refondation de la valeur symbolique de la parole et donc de l'autorité incarne une étape structurale importante. Cependant, la réalité de la paternité ne repose plus seulement sur la parole de la mère mais trouve de nos jours son fondement dans la science.

Le père de la science

Ainsi, la donne est modifiée sur les techniques scientifiques de reconnaissance de paternité. Cela désigne formellement du père génétique dans des conflits de succession mais, pour autant, le père n'est pas produit. Cette problématique récente survient parfois à l'âge adolescent et n'est pas sans conséquences subjectives. En effet c'est souvent à l'adolescence que la révélation sur la réalité de la paternité se produit.

Dans la clinique contemporaine deux occurrences se rencontrent.

L'une rare de la recherche de paternité ou d'exclusion de paternité. C'est le plus souvent autour de conflits sur la transmission du patrimoine que cela se joue.

Mais l'autre cas de figure rencontré en pratique courante est celui de la révélation : ton père n'est pas. Ton père, ton père s'appelle X et tu ne le connais pas. Si le père, celui qu'il appelait papa n'est pas réellement son père, quelle autorité peut-il avoir ? C'est, là encore que la parole de la mère est essentielle pour fonder l'autorité et la légitimité du père.

À l'adolescence les repères identificatoires sont nécessaires, parfois essentiels pour la construction de la subjectivité.

À l'autorité du père de l'enfance qui était repérée et facilement repérable, doit se substituer un père de l'adolescence qui aura fort à faire et dont l'autorité précisément est à refonder. Car le discrédit est porté sur la personne du père. À la fois par l'adolescent lui-même mais aussi par nos sociétés contemporaines qui ont une tendance prononcée à bafouer l'image du père et à la cantonner dans un rôle subalterne de géniteur et d'éducateur.

Cependant nous devons tenir compte d'un fait majeur inhérent à la construction de la subjectivité à l'âge adolescent. Le trait psychique passe par la destitution progressive des images parentales en tant qu'objets d'amour et aussi en tant que garants d'un cadre d'une stabilité et faut-il le préciser d'une certaine autorité régulièrement dévolue au père.

Un des fondements de l'autorité du père se situe dans le

registre du langage. Selon le langage qu'il utilise en s'adressant à ses enfants et aussi celui qu'il acceptera ou tolèrera de la part de ses enfants, le père peut "faire" autorité.

Nous observons en pratique de consultation l'extrême dépréciation du langage utilisé par certains adolescents en s'adressant à leurs parents. À la tonalité souvent agressive, se joint une dépréciation de la place du père ou de la mère. Il arrive même que les insultes affleurent dans le discours. Se pose alors au thérapeute un dilemme difficile.

Comment continuer dans ces conditions un entretien ?

Est-il possible de rester sans ne rien dire, ou au contraire comment questionner cette dégradation de l'adresse à l'autre, surtout comment l'élaborer ?

Un autre cas de figure, moins courant, est celui des pères qui montrent des carences réelles ou symboliques importantes : un handicap, une maladie physique ou mentale invalidante, une situation sociale dégradée, chômage longue durée...

C'est pour certains une difficulté à se sentir investi d'une autorité et aussi de l'assumer c'est à dire "en faire preuve".

Quelles figures pour l'autorité

D'une façon plus globale, l'autorité s'appréhende par deux voies.

La première par la position de celui ou celle qui incarne une

figure de l'autorité et qui l'incarne en tant que tel. Outre le rôle naturel du père mais aussi de la mère comme figure de référence de l'autorité, le champ des autorités va l'élargir à l'adolescence.

Les professeurs et encadrants scolaires, les forces publiques qui ont un rôle d'autorité institutionnalisé : police, armée, et enfin des autorités que chacun se cherche, et que parfois au « un par un » le sujet fini par trouver. Les figures qui font autorité pour lui.

Le deuxième abord est celui du respect de l'autorité. En effet, la clinique nous indique que l'adolescent éprouve souvent de grandes difficultés à se reconnaître des figures d'autorité. La destitution des imagos parentales le pousse à se trouver d'autres représentants symboliques forts à qui ils pourraient accorder une autorité qu'ils n'accordent plus sans trop discuter à leurs parents. Ce passage un peu périlleux pour certains est un saut dans le vide. Mais tout dépend des assises symboliques du sujet quand il traverse l'adolescence. Si elles ont stables et bien ancrées, le procès du symbolique se fera sans trop de conflits ou de heurts. Par contre, chez certains autres pour qui des failles ne manquent pas de s'approfondir ou de se révéler, le cap est délicat à négocier. Les passages à l'acte en particulier ne sont pas rares à cet âge du fait de facteurs associé à cette faillite des repères symboliques.

Je ne décris pas une société en manque de père ou de repère. Les pères ne sont plus ce qu'ils étaient, les mères non plus et

l'autorité de même. Mais cependant il apparaît que les adolescents, encore plus qu'à d'autres âges ont besoin, pour exister, de repères symboliques. Les figures de l'autorité sont des figures du symbolique. L'adolescent est passionné par le symbolique, et il en réclame car il en a besoin.

Est-ce que nous allons vers la société de "l'homme sans gravité" (Melman, C. 2002), vers un sujet désarrimé par du symbolique et tombé dans un impératif à jouir et un idéal qui se cantonne dans le consumérisme. Si la démonstration est séduisante, il semble que la clinique n'indique pas la massivité de cette voie, hormis l'impératif de la jouissance prônée dans nos sociétés. L'adolescence est réellement un passage critique tant pour l'autorité que pour tout le procès de la subjectivation.

La transformation des repères à l'adolescence est une évidence : le passage de la latence à l'adolescence témoigne de cette bascule des modifications du rapport à l'autorité. Freud très tôt dans son œuvre avait repéré ces changements de positionnement à l'égard du père et de son autorité.

"Dans la seconde moitié de l'enfance s'amorce un changement de cette relation au père, dont on ne saurait surestimer l'importance. Le garçon commence, (...) à regarder au dehors dans le monde réel, et voilà qu'il lui faut faire des découvertes qui ruinent sa haute estime originaire du père et favorisent son détachement d'avec ce premier idéal. Il se trouve que le père n'est plus le plus puissant, le plus sage le plus riche, il cesse d'être satisfait par lui, apprend à le critiquer et à le classer socialement et lui fait alors habituellement

payer cher la déception que le père lui a causée. Tout ce qui distingue la nouvelle génération, aussi bien ce qui est porteur d'espoir que ce qui choque, a pour condition ce détachement d'avec le père". (Freud, S. 1914).

Ces indications de Freud nous sont d'autant plus précieuses qu'elles correspondent très finement à une clinique contemporaine des adolescents. L'appel vers le dehors qui s'incarne dans le langage par une expression que j'utilisai aussi lorsque j'étais adolescent : sortir avec. Qui veut dire sortir d'une part sortir de la cellule familiale, mais aussi avoir une histoire amoureuse, qui peut aller du simple flirt, jusqu'à la rencontre de la chair de l'autre. D'autre part les étapes du détachement d'avec le père autorisent l'adolescent à entrer dans la culture.

Ce détachement d'avec la figure paternelle a un prix, celui de pouvoir le tuer, symbolique du moins, et d'assumer sa limite (sa castration) en se soumettant à une autorité.

La bascule des identifications.

Nous voyons ainsi que l'adolescence est une période charnière. La bascule des identifications est un élément important voire essentiel. Après avoir été longtemps des êtres idolâtrés et source d'admiration et d'idéalisation, les parents deviennent des êtres d'une banalité et d'un commun que cela en devient affligeant pour les adolescents. Dès lors ce sont des figures identificatoires viennent prendre le relais : des adultes de leur entourage ou professeurs mais aussi et surtout les pairs: adolescents comme eux, mais qui possèdent des caractéristiques jugées hors du commun et

qui ne peuvent que susciter l'admiration l'envie et aussi déclencher des mécanismes d'identification. Dans un registre différent, ce sont les idoles : de nos jours chanteurs ou sportifs pour beaucoup, ils sont élevés au rang de demi-dieux, mais sont lointains dans la réalité.

Quelles sont les conséquences sur l'autorité d'un parent ou d'un père qui se voit ainsi destitué partiellement de ses attributs ?

C'est tout l'enjeu des problématiques adolescentes, comment continuer à respecter un père qui est devenu un être commun avec des défauts, des tics des habitudes, qui est rapidement descendu de son piédestal pour se transformer en un humain tellement commun. La tâche est alors rude pour les pères qui ont du mal à réaliser que les temps ont changé, que le fait d'élever la voix ne suffit plus à se faire entendre ou se faire respecter, quant à se faire obéir, c'est encore une autre affaire !

La porte étroite que l'adolescent va tenter de franchir est celle d'une retrouvaille avec des assises symbolique stables qui restaurent un minimum la personne du père dans un rôle de garant de l'autorité, qu'il l'exerce ou non dans la réalité.

C'est le deuxième temps essentiel dans la réalité pour obtenir qu'il puisse continuer à se construire. C'est dans le registre symbolique que va se dérouler le procès de l'autorité, quelle que soit l'intensité des conflits qui vont se jouer dans la réalité. L'adolescent découvre d'autres satisfaction et d'autres modes de jouissance. Il explore un monde qu'il croit

découvrir et ainsi comme l'expression populaire le dit très bien, il découvre le monde. Il ne reconnaît plus toujours ce qui est en place d'autorité, il va tenter de se poser comme lui-même garant d'une autorité, mais à qui il manque un repère essentiel qui est la légitimité, en d'autres termes un répondant symbolique.

Selon sa structure de personnalité, l'adolescent tentera de poursuivre ou de s'enfermer dans cette voie qui peut être, par exemple, celle de la délinquance, ou de la rébellion. L'adolescent est par essence rebelle, rétif à l'autorité même si, au fond, c'est ce qu'il appelle de ses vœux (inconscients). Car il devient le garant que le père n'est pas tout puissant et le prémunit, le protège contre les menaces de castration. Ainsi pour paraphraser un titre de film, l'adolescent serait un rebelle sans cause. (Film où James Dean incarnait un « *Rebell without a cause* »).

L'accès à la relation amoureuse (Lauru, D. 2003) et l'entrée dans une autre dimension de l'altérité aide les adolescents à accepter certaines formes d'autorité du fait qu'ils se soumettent eux-mêmes aux "lois de l'amour".

Enfin le troisième temps logique de l'évolution des figures du père serait un retour à l'ordre. De quel ordre s'agit-il ici ? L'ordre des générations qui fait que les pères ont un ascendant sur les enfants quelle que soit la consistance du père dans la réalité. Qu'il « *tienne le coup* » ou qu'il soit carrent.

Les trois temps logiques

Les trois temps logiques de Jacques Lacan peuvent nous

servir de modèle pour interroger comment une dialectique du cycle des problématiques adolescentes peut fonctionner.

Dans ce texte Lacan définit les trois temps logiques, et il illustre son propos avec une histoire singulière. Texte de 1945 « Le temps logique et l’assertion de certitude anticipée » que vous trouverez dans les écrits.

Je vous rappelle le dilemme des trois prisonniers. (Par oral si du temps.)

J’en viens aux adolescents et vous allez comprendre pourquoi j’ai évoqué sur ces trois temps logiques, et je tente ici une analogie entre les deux.

- le premier temps, pour l’adolescent temps inaugural, c’est l’instant de voir : il s’agit d’une première appréhension globale du chemin qu’il aura à parcourir ;
- vient ensuite le temps pour comprendre, c’est le temps des problématiques adolescentes, de durée très variable ;
- c’est enfin le moment de conclure, qui devrait être le temps du passage à l’âge adulte. Ce temps renvoie à la question de l’adolescence interminable et à la possibilité d’une fin de l’adolescence.

Si l’on transpose ces temps logiques chez l’adulte selon une perspective transgénérationnelle :

- l’instant de voir est celui où l’adulte, parent ou professionnel, est saisi par l’interrogation angoissée que vient lui adresser l’adolescent ;

– il lui faut alors un temps plus ou moins long, c'est bien le temps de comprendre. C'est dans ce temps-là que l'adulte va être renvoyé à ses propres problématiques adolescentes. Or chaque sujet est déterminé par un mode de castration qui est venu clore, provisoirement, les impasses de la sexuation auquel il a été confronté pendant son adolescence ;

– quant au moment de conclure, c'est le temps délicat de la prise de position pour les parents. C'est aussi ce qui est demandé à l'adolescent : « Décide-toi : qu'est-ce que tu veux vraiment ? » C'est le moment où l'adulte, sollicité par les problématiques adolescentes, devra se positionner en tant qu'adulte, ou il restera confiné dans une position adolescente. C'est aussi par le biais de l'autre et de sa relation aux autres que l'adolescent se construit et que progressivement, il va pouvoir accepter les conditions singulières de sa propre castration et en passer à l'âge adulte, dans un processus d'advenir à une place de sujet de l'inconscient à part entière.

L'autorité

Après avoir secoué les limites, celles de la réalité de sa liberté d'action ou que ce soit celle des différents modes de jouissance, il trouve ses limites dans les limites inhérentes au symbolique. Je puis avancer ici que les adolescents sont passionnés par le symbolique, qu'ils l'appellent qu'ils le réclament plus ou moins bruyamment, qu'ils tentent de le contourner ou qu'ils s'y soumettent. La loi des pères n'a pas vraiment disparu contrairement à ce que l'on soutient régulièrement dans notre monde contemporain. Il est vrai que ses pouvoirs dans la réalité sont limités amoindris, mais la place

dans le symbolique reste essentielle et vitale pour chacune des générations à venir.

Car ce qui fonde les sociétés humaines depuis que l'humanité existe c'est la persistance de deux mécanismes essentiels. La différence des sexes et la différence des générations. De tous temps les frontières entre les parents et les adolescents ont été essentielles dans toutes les sociétés humaines pour marquer les différences de génération. Puisque la société a tendance à les faire disparaître, il est plus que jamais indispensable de marquer la frontière entre les générations. Ces limites ou frontières sont effectivement plus que jamais nécessaire au repérage, par les adolescents, des différents registres pour en venir à un repérage plus fin des figures de l'autorité.

Il existe chez certains, une autorité dite naturelle, qui incite leur entourage et y compris ses enfants à se faire respecter. Chez d'autres, toute position ou prise de position d'allure autoritaire impose une telle charge symbolique (symbolique phallique) que le sujet père ou en position d'allure paternelle, ne pourra assumer la responsabilité de sa position et de son autorité. Il est conforté dans sa structure à une impossibilité de se positionner comme porteur du phallus, et de l'assumer.

À l'inverse les pères carents sont sans doute les plus pathologiques. Ceux-ci confondent le fait d'être le porteur du symbole phallique, avec le fait d'être, littéralement d'incarner le phallus. Ils adoptent des figures qui n'incarnent plus l'autorité, mais celle du tyran qui abuse de son autorité et

persécute l'autre tentant seulement de jouir de ce plaisir à dominer l'autre. C'est la marque de la carence symbolique du paranoïaque qui confond les registres. C'est le cas du père qui ne s'appuie pas sur une autorité extérieure à la sienne. Qui usurpe la place du père symbolique alors qu'il n'en est que le représentant transitoire.

Conclusion

Les différentes figures de l'autorité à l'adolescence sont essentielles à la construction du sujet, à la subjectivation. La redistribution des cartes du registre symbolique est essentielle à cet âge critique et impose la stabilisation de deux ordres :

- les données propres au sujet que sont ses coordonnées symboliques
- celles qu'il va rencontrer chez celui ou celle qui se pose à lui en tant que figure de l'autorité et qui assure pleinement cette autorité.

Ainsi l'autorité sous toutes ses figures est la voie nécessaire pour l'acceptation de la castration selon les modalités singulières à chacun.

En effet il devra transmettre ce pouvoir, cette autorité à ses enfants, à ses fils et à ses filles précisément aussi à ceux qui se seront rebellés contre cette autorité qu'ils sont censés incarner. C'est ainsi que de génération en génération la transmission du symbolique s'effectue, par le biais d'une autorité qui permet aux adolescents de se construire et de se trouver

une place dans la société. A leur tour, ils incarneront des figures d'autorité pour les générations futures, en se référant à leurs propres expériences avec l'autorité. Les adolescents incarnent pour leur part le devenir de nos sociétés et sont le garant de la perpétuation de l'espèce humaine et donc de l'humanité de l'homme.

Bibliographie :

Lacan, J. (1966). D'une question préliminaire à tout traitement possible de la psychose. Écrits, 531-583.

Melman, C. (2002). L'Homme sans gravité. Entretiens avec Jean-Pierre Lebrun. Paris, Denoël, 96.

Freud S., 1914, "Sur la psychologie du lycéen", in Résultats, idées, Problèmes, T.1, P.U.F., 1991, p.230

Lauru, D. (2003). Folies d'amour. Calmann-Lévy.

Les soins psychiques confrontés aux ruptures du lien social.

Dina Joubrel

ملخص

نسيم أو النسيم:

"العناية النفسية في مواجهة تصدعات الرابط الاجتماعي"

من خلال تصدعات الرابط الاجتماعي، نقوم بتحديد الأبعاد الاجتماعية والثقافية في العمل العيادي، والتي تواجهها في حالات الحرب، والاحتلال، وعدم الاستقرار.

نسيم ، طفل يبلغ من العمر 9 أعوام، قابلناه في مخيم فلسطيني خلال مهمة إنسانية مع منظمة أطباء بلا حدود عام 1994؛ وتبدو لنا أهمية قصته، وكذلك قصة عائلته، بالنسبة إلى حالات أخرى، في فهم الطبيعة الراديكالية للوضع الحالي.

إن كآبة هذا الطفل تعود لجرح نفسي يمتد عبر جيلين سابقين: جيل أجداده فلسطيني 48، كما يقولون، والذين لا يزالون حتى الآن يرتدون ثوب الحداد على فقدان وطنهم؛ وجيل والديه المذلولين لعدم قدرتهما على استرجاعه.

سنكتشف بشكل سريع عن صعوبة إنشاء إطار للعناية النفسية في بيئة غير مستقرة، ثم سنذكر قصة ثلاث مشاورات أثبتت أنها "علاجية".

كلمات مفاتيح: (التصدع - المواجهة - الرابط الاجتماعي)

Résumé:

Nassim ou la brise:

Les soins psychiques confrontés aux ruptures du lien social;

Par rupture du lien social, nous désignons les dimensions sociales et culturelles de la clinique rencontrée dans des situations de guerre, d'occupation, d'extrême précarité ;

Nassim, est un enfant de 9 ans que nous avons rencontré dans un camp palestinien lors d'une mission humanitaire avec médecins sans frontières

en 1994 ; son histoire ainsi que celle de sa famille nous paraît précieuse entre autres pour comprendre la radicalité de la situation aujourd'hui ;

La dépression de cet enfant renvoie à deux générations antérieures blessées psychiquement : celle des grands parents, ceux de 48, comme ils disent, endeuillés par la perte de leur patrie, celle de ses parents humiliés de n'avoir pas pu la retrouver.

Nous exposerons rapidement la difficulté de créer un cadre de soins psychiques dans un environnement précaire puis le récit de trois consultations qui se sont avérées « thérapeutiques ».

Mots clés : (Le rupture – La confrontation – Le lien social)

De la transmission du traumatisme :

■ Une souffrance collective Trans générationnelle

D'abord il y a les aînés, ceux de 48 ceux qui ont été chassés, ceux qui ont fui, ceux qui sont partis et ne pensent qu'au retour, ceux-là ont un nom les réfugiés de 48.

Ils ont été arrachés au lieu, leur « makân », d'où vient le mot kaîn, l'être, en tant qu'établi dans un lieu où il demeure, comme le dit Fethi Benslama dans l'enfant et le lieu.

Ceux-là ont vécu la détresse, l'abandon , le regard reste figé sur ce lieu , ils restent là en attente à proximité de leur lieux si près si loins, cette situation d'entre deux lieux , ne permet pas un lieu habitable c'est un lieu entre parenthèse en attendant le retour , ils habitent un entretemps où ils subsistent, ils survivent mais n'existent pas ; Comment ces parents ont pu faire grandir leur enfants dans ce lieu parents thèse ? ils

leur ont transmis le sentiment de n'être ni dans l'exil ni dans leur demeure et de vivre dans la nostalgie de ce qu'ils n'ont jamais perdu , puisque non possédé ; La mise entre parenthèse de l'ici de l'exil complexifie la continuité de la vie psychique entre générations ;Mahmoud Darwish le poète palestinien écrit à ce sujet : ma patrie n'est pas une valise, ma valise n'est pas une patrie ; Un ami professeur de sociologie à l'université de Bir Zeit à Jérusalem et aux états unis, m'écrivit un jour « c'est étrange , je ne ressens pas le retour à Yaffa , sa ville natale ,qu'il a quitté forcé avec ses parents en 1948, il avait à peine un an, je ne ressens pas ,dit-il ,ce que mes parents appellent le retour aux racines ,je n'arrive pas à m'identifier à cette nostalgie d'un lieu qui ne m'a été transmis que par la perte ,il y a un fossé entre nous, leur douleur je ne peux la partager ils me sont étrangers parce que j'ai grandi à côté de parents absorbés par le passé par l'arrachement aux lieux »comme une addiction nostalgique nous dit encore le poète dans son poème la nostalgie , al hanin.

Cet exil est le lieu de la déchéance du père comme institution contenante sécurisante, c'est l'un des aspects les plus ravagant dit Fethi Benslama (Slama, F., 2009) ;

La génération d'après, celle de 67 a vu se confirmer l'exil, doublé de l'humiliation, puis la répression celle aussi subie par les frères en 1972 septembre noir, puis la défaite de la révolte des pierres 1987, cette génération-là a sombré dans la dépression ...qu'en est-il de leurs enfants ?

J'ai rencontré l'un d'eux : Nassim.

Les ONG étaient nombreuses à se préoccuper des enfants palestiniens dans les camps en 1994 ; médecins sans frontières proposaient l'un des premiers projets psy autour de la notion du traumatisme et dans le cadre conceptuel de l'ethnopsychiatrie ;

■ Construction du cadre de soins

Le local, l'architecture interne, le choix de l'équipe, et la formation ;

Construire le centre : une architecture intérieure inspirée des patios arabes, je pensais au Bîmârîstan D'Alep, construit au 13eme siècle, on peut dire premier hôpital psychiatrique construit autour de la connaissance clinique des maladies psychiatriques telles que nous connaissons maintenant ; Les soins s'appuyaient sur 4 éléments : l'architecture des chambres selon la pathologie du patient, la luminosité réglée par les moucharabiehs, le bruit de l'écoulement de l'eau des fontaines dont le rythme pouvait se régler d'une manière mécanique, et la musique jouée dans les couloirs par des musiciens bénévoles de la ville (Racamier, P. C., 2002).

Avec quelques principes: l'ouverture contenante, l'assymétrie, l'absence de couloirs, l'accueil, et puis la playing room (l'état de jouer de Winnicott) (Winnicott, D. W., 1971) que j'ai nommé maison verte, clin d'œil à Françoise Dolto, l'occasion de partager avec l'équipe quelques mots sur l'expérience des maisons vertes à Paris.

Le choix du nom et du sigle du centre nous ont pris une journée entière, il a été très difficile d'entraîner l'équipe

palestinienne à l'exercice d'une rêverie collective et créatrice (l'occasion de leur raconter les élaborations de Bion sur l'appareil à penser la pensée, la fonction alpha et la rêverie maternelle), allons à l'essentiel me disaient-ils ; survivre n'est pas vivre, vivre c'est aussi savoir jouer, se distraire ,apprécier l'être en jachère disait P.C Racamier (Racamier, P. C., et autres 1970) ;

Ils proposaient des dessins collés à la réalité : un adulte qui donne la main à un enfant qui monte les escaliers (Winnicott, D., W., 1974). « Prenons ça pour en finir » me disait l'un d'eux, et puis une fois dans le bain du playing ils ont exprimé le fabuleux bonheur de pouvoir oser rêver rêvasser imaginer créer jouer en somme ...je les ai surpris avec des sourires et même des rires ... soigner l'institution pour soigner les patients c'est l'héritage de la psychothérapie institutionnelle et le compagnonnage de Tony Lâiné avec qui j'avais travaillé deux ans auparavant sur un projet d'hôpital de jour pour les enfants palestiniens de Gaza ,mais malheureusement il nous a quitté en 1992.

■ La Formation

Partant d'une phrase de Winnicott « la vie est un apprentissage des séparations successives » j'ai pu transmettre le développement affectif et intellectuel de l'enfant, et les symptômes selon l'âge (Winnicott, D. W., (2017) ;

En français pour les français MSF, anglais et arabe pour les palestiniens. Tout est en place, le programme de la semaine, Lundi réunion d'équipe, mercredi synthèse clinique, et dimanche réflexion conceptuelle, et c'est parti:

Le centre prêt nous recevons Nassim ;

Un enfant de 9 ans, se présente avec son père, le psychologue palestinien, l'infirmière française MSF et l'éducatrice m'accompagnaient ainsi qu'un traducteur arabe français, exigé par MSF ;

Quand Nassim a franchi la porte du bureau je n'imaginai pas le voyage que j'allais vivre ;

« il faut que l'autre soit mon semblable ,pour que je trouve en lui l'autre » Bernard Noël

La relation transférentielle a bénéficié du fait que je sois d'origine libanaise, le bruit avait déjà circulé dans le camp sur la doctoresse libanaise avec les français, ils pouvaient se passer de raconter l'histoire de leur peuple, chose qu'ils ont l'habitude de faire avec les ONG ; Nous pouvions passer à l'essentiel, la plainte et le symptôme ;

Dès la première rencontre nous nous sommes trouvés dans un espace transitionnel winnicotien (Winnicott, D., W., 1979), et le temps de 3 consultations, le contenant psychique suffisamment bon a permis que s'ouvre la voie de l'imaginaire momentanément obstruée de Nassim ; Celui de Nassim s'est avéré particulièrement verdoyant et riche, les entretiens ont ouvert la voie de sa subjectivité entravée ;

Nous nous sommes rencontrés 3 fois :

Nassim et son père Abou Nassim, Nassim et sa mère Oum Nassim, puis Nassim seul.

Voici le récit des trois entretiens :

Nassim frappe à la porte et entre dans le bureau, le dos courbé, les gestes lents, la démarche lourde, le visage vieux, les cheveux décoiffés, de grosses lunettes sont posées sur son nez ; je le salue en lui serrant la main, ce qui le pousse à lever la tête et à me regarder et me voir :

Qu'est ce qui t'amène à venir consulter ? lui dis-je,

Je ne sais pas c'est mon père qui m'a envoyé chez vous, je sais que vous êtes docteur il est très inquiet à mon sujet, je paraphrase DOLTO :je ne suis pas là pour l'inquiétude de tes parents je suis là pour toi .. alors faisons entrer ton père Le père entre en scène, le dos courbé, les gestes lents la démarche lourde le visage vieux ;Abou Nassim parle spontanément avec une voix basse et un ton monotone : je suis inquiet pour mon fils, il est faible il n'a pas de force pour l'avenir , il se laisse battre par les copains , il a du mal à lire et à écrire , il écrit de travers et en plus ,ce pourquoi on vient vous voir , il mouille son lit toutes les nuits , je ne sais plus depuis quand c'est revenu , il a maintenant neuf ans , on a vu plein de docteurs personne n'a pu lui stopper ça , il se réveille la nuit terrorisé avec des cauchemars , en plus depuis un an et demi ,depuis la naissance de son frère islam , il a des problèmes aux yeux , mon petit dernier Islam est né avec une maladie génétique, il pourrait perdre la vue ;ça me rend anxieux , j'ai de la migraine depuis sept ans , ça me rend nerveux, peut-être c'est de ma faute ,ma nervosité entraine des troubles chez mes enfants ;

Pendant que le père racontait, Nassim s'enfonçait dans son fauteuil, se recroquevillait sur lui-même, il était temps d'arrêter

le père, je l'invite à nous laisser avec Nassim ; Avant de nous quitter Abou Nassim, les larmes aux yeux insistait sur sa culpabilité quant à ce qui arrive à ses enfants ;

- Ton père est très inquiet et triste

« Je comprends l'inquiétude et l'anxiété de mon père » dit Nassim, il a eu peur que je me perde dans le camp comme quand j'avais cinq ans, je rentrais chez mes grands-parents j'ai eu très peur, mon père aussi c'est normal eh ? il pense que ça peut m'arriver une autre fois ..

Nassim nous apprend qu'il a vécu chez ses grands-parents paternels de l'âge d'un an et demi à l'âge de 8ans ; Pourquoi ? Je ne sais pas. ; peut-être parce qu'ils étaient vieux parce qu'ils s'ennuyaient, dit-il

Nassim nous dit mouiller son lit la nuit, mais « ce n'est pas vraiment un problème » dit-il , ce qui le gêne le plus c'est sa vision, les difficultés sont apparues depuis la naissance de son petit frère, ... je suis gêné aussi par les cauchemars on se moque de moi à la maison, il n'a pas pu nous dire le contenu de ses cauchemars, et puis à l'école on m'appelle le bouc (al teis en arabe) en France on dirait l'âne dans son sens symbolique ; Parce que je lis mal et j'écris mal. Le dessin qu'il produit spontanément pendant la consultation représente un bouc une chèvre et 3 enfants.

Nassim rappelle son père à qui j'exprime le souhait de rencontrer son épouse au prochain entretien, le visage de Nassim s'illumine celui de son père s'assombrit ; ce n'est pas la peine de la rencontrer, vous savez elle est analphabète ; me dit-il.

Je me sens seul avec elle, nous n'avons rien à nous dire elle a un niveau intellectuel très bas, elle ne sait pas bien se tenir, s'exprimer c'est un mariage arrangé traditionnel ; ça allait encore jusqu'à la mort de mon frère il y a sept ans (7 un chiffre qui revient deux à 3 fois dans son discours comme un destin et puis c'est à cette période que Nassim est placé chez les grands parents), depuis ,il n'y a plus rien entre nous ...

J'ai dû puiser beaucoup d'énergie pour stopper l'énurésie de paroles de ce père déprimé qui ne prêtait aucune attention à l'impact de ses propos sur son fils.

Des entretiens avec le psychologue sont proposés au père et acceptés par lui ;

Quelques remarques : Nassim malgré l'importance de l'inhibition, manifeste des capacités à adresser sa parole, conscient de ses difficultés.

Les symptômes : énurésie nocturne secondaire, humeur triste, inhibition, dysgraphie dyscalculie

Le dessin met en scène par Nassim : l'enfant le bouc à la place du père témoigne d'une problématique œdipienne.

Le père a besoin de parler, humeur triste culpabilité autodépréciation regrets angoisse somatisation, mais étonnamment prêt à parler.

Deuxième consultation : Nassim et sa mère :

Oum Nassim s'avance d'un pas ferme, les épaules droites aux côtés de son fils elle prend une place son fils la sienne le visage plus vivant que la première fois , portant son regard vers sa mère , il l'écoute parler : Oum Nassim se dit beaucoup moins préoccupée que son mari tout en se souciant des difficultés de leur fils de la gêne du pipi au lit mais sans angoisse ni déprime.

Elle relativise les choses en nous expliquant le contexte dans lequel la famille vit : le camp, la maison étroite les enfants dans la même chambre que les parents et puis l'humiliation des hommes des pères de famille son mari lui-même a été humilié frappé par des soldats israéliens ...elle est évasive sur leur relation conjugale et pas un mot sur ses préoccupations personnelles par pudeur par maternalité pour protéger son fils de sa propre souffrance ...

Oum Nassim nous signale qu'elle a eu une anémie alors qu'elle était enceinte de Nassim peut être en a-t-il souffert ...

Et puis nous dit-elle, je n'ai pas pu m'opposer au départ de Nassim chez les grands parents je n'avais pas mon mot à dire j'étais obligée de le sevrer du sein rapidement ...

à propos de la fratrie : Nassim l'ainée ,Hanin 7 ans née en 1987 ,Salam 3 ans née en 1991,Islam un an et demi née en 1993 ;

Le choix des prénoms des enfants me paraît intéressant à souligner:

Seul le prénom de Nassim est porté par un désir du père : Abou Nassim nous dit avoir choisi ce prénom comme le fils des voisins qui représentait la fierté de ses parents : beau, intelligent, fort, révolutionnaire, il aurait même joué un rôle important dans l'intifada ;

Hanin : « nostalgie » est née en plein intifada, les parents voyaient une lueur d'espoir et la nostalgie de la patrie perdue Salam : paix en arabe, est née alors que la violence s'enlisait, l'intifada faisait des victimes sans espoir de victoire

Islam est né en 1993 comme beaucoup d'enfant cette année-là, il porte la radicalisation des positions et la montée du mouvement islamiste

Troisième consultation : Nassim seul

Nassim entre comme un grand dans mon bureau, la tête haute, il ne porte plus de lunettes, il prend sa place et dit :

« C'est fini plus de pipi au lit .. j'ai mangé un hérisson » montrant une taille avec ses mains qui correspond plutôt à un porc-épic .

Et comment ? lui dis je

Je suis allé voir un monsieur au camp : Abdel Razek, c'est un type formidable , il vit dans une cabane en haut du camp , il garde ses parents avec lui, ils sont vieux et ils ont besoin de lui ; il tue les serpents et les accroche sur le mur , il est très fort ,il sait beaucoup de choses , il m'a conseillé de manger un hérisson pour guérir, alors j'ai accompagné mon père au

marché, le vendeur a dit :si c'est pour Nassim , c'est gratuit .. il m' a donné un grand hérisson d'au moins 7 kg ,il courait partout il n'y avait que moi qui pouvait l'arrêter , tout le monde en avait peur ; l'autre fois je suis tombé sur un jardin magnifique plein d'oiseaux de toutes les sortes, des arbres pleins de fruits , des gazelles , des ruisseaux , des rivières ...

En rentrant chez nous nous étions en voiture, il faisait nuit, un porc épic seul s'est mis au travers du chemin :il n'avait pas peur, il nous a regardés puis il est parti,

J'ai ramené mon hérisson à la maison, il s'est mis sur l'oreiller de mon petit frère islam, il a failli lui mordre l'oreille ma mère m'a crié dessus, elle a dit que je l'ai fait exprès ;

et puis j'ai tué le hérisson je l'ai mis dans l'eau bouillante , j'ai enlevé la peau et je l'ai mangé ...et puis...

Le récit allait se poursuivre , Nassim perdait son souffle , ça n'arrêtait pas comme un robinet qui fuit énurétique dirais -je, j'ai pensé qu'il serait temps de serrer le robinet ; le « on en reste là pour aujourd'hui », provoqua un soupir de soulagement chez Nassim , après un temps d'arrêt , et beaucoup plus calme , il me dit : vous vous souvenez des cauchemars (il ne m'en avait pas parlé) le cauchemar où je me retrouvais seul dans la nuit , ça me faisait peur , maintenant c'est autre chose , dans mon rêve il y a quelqu'un qui m'écoute , ça m'arrive de lui parler à voix haute pendant mon rêve et ça fait rire ma famille ..

Commentaire

J'avoue que je ne m'attendais pas du tout à ce voyage dans un jardin plein d'oiseaux et de ruisseaux, alors que la sécheresse et la chaleur de la région m'étaient pénibles ;

L'observation met en évidence le rôle important du symptôme de l'enfant dans la dynamique familiale ;

Dès le premier entretien, le père, par l'intermédiaire des difficultés de son fils dit sa détresse dépressive avec une facilité étonnante, sachant que traditionnellement les hommes ne s'autorisent pas (peut-être un peu moins maintenant) à exposer leur souffrance, mais la place de Nassim en tant que personne n'était pas respectée ;

La possibilité offerte au père de rencontrer un psychologue soulage Nassim de la charge qui lui a été incombée depuis son plus jeune âge : de s'occuper des adultes, comme remplacer le frère du père auprès des grands parents.

La mère semble prendre plus de recul, quant aux difficultés de son fils, bien qu'elle n'ait pas pu s'opposer au choix du père d'envoyer Nassim chez les grands parents, elle tient la route dans le discours ;

Place de Nassim dans la dynamique familiale : le prénom, choisi par le père pour que son fils ressemble au merveilleux enfant des voisins, fort brillant révolutionnaire. Tout ce que le père n'a pu être face à son propre père décrit comme « dur » « rigide » et « mélancolique » Génération 48 ...

Nassim a été donné aux grands-parents paternels à un an et demi parce qu'ils étaient seuls depuis la mort de leur fils oncle de Nassim,

Tout petit, cet enfant avait déjà une tâche à accomplir, celle de remplir la vie de ses grands-parents, ce qui nous fait associer aux propos du rêve éveillé d'Abdel Razek , l'homme merveilleux du camp qui garde ses parents devenus vieux.. Nassim cherche un autre père à qui s'identifier face à un père déprimé. D'ailleurs dans le dessin, Nassim se représente comme le bouc chef de famille

Nassim est animé par une jalousie importante envers sa fratrie, exilé de la famille, Hanin, puis Salam sont nées, de retour dans la famille c'est Islam qui prend toute l'attention de sa mère car atteint de maladie génétique qui menace ses yeux. ;

Une place particulière dans sa dynamique psychique est réservée au petit dernier Islam : c'est le hérisson porc -épic qui s'en charge : il a failli lui mordre les oreilles.

LA Guérison par le mythe : du fantasme inconscient au mythe conscient :

L'identification à Abdel Razek, personnage mythique, entre un moi-idéal et un idéal du moi, permet à Nassim une tentative de deuil d'un enfant souffrant d'une carence parentale, en particulier paternelle ; tout comme ce personnage, Nassim, très tôt a été voué à s'occuper de ses grands-parents. Paradoxalement l'énurésie lui permet une régression amenant sa mère à être au plus près de lui ;

On se souvient des propos de Françoise Dolto sur les enfants énurétiques de huit à douze ans dont les pères étaient prisonniers pendant la seconde guerre mondiale : pour ne pas prendre la place du père, une place génitale, il y a une chute sur l'image pré-génitale du corps l'image excrémentielle (Winnicott, D., W., 2004) ;

J'avais relevé une confusion entre le porc épic et le hérisson, Nassim décrivait le hérisson comme un porc épic, j'ai appris par un ami palestinien sociologue anthropologue, que dans le temps on conseillait aux enfants énurétiques, ainsi qu'aux femmes incontinentes après une opération génitale, de manger un hérisson, souvent il fallait le chercher longtemps, le plus souvent on ne le trouvait pas, mais on guérissait quand même.

J'ai l'impression que Nassim s'intéressait plutôt au porc épic qu'au hérisson mais cette confusion lui permettait inconsciemment de rejoindre la tradition :

Encore une histoire qui conforte mes idées pas trop proches de l'ethnopsychiatrie, car la commande conceptuelle de MSF était à cette époque : ethno psy et trauma. Mon cas clinique est celui d'un enfant singulier qui partant d'une croyance commune en a fait sa propre histoire mythique ;

Nassim, tout comme le porc épic s'est retrouvé seul dans la nuit, sa peau épineuse lui sert à se défendre, tant il est menacé dans son individualité ; ceci rappelle les élaborations du moi peau de Didier Anzieu, la fonction contenante, de parexitation et d'individuation de soi.

Ce porc épique, débarrassé de sa peau défensive (Anzieu, D., et autres, 2008), devient un bon objet intériorisé et mène Nassim vers un port épique.

Dans cette confusion des rôles et des places, la présence d'un Autre permet l'étayage, cet autre intériorisé qui écoute quand tout le monde dort, a permis à Nassim d'abandonner le symptôme et d'accéder à la place de sujet : « si c'est pour Nassim dit le marchand, c'est gratuit, ainsi comme un grand, Nassim a pu acquérir le hérisson sans l'intervention de son père, sans bourse délier ...

Par ce récit, Nassim transforme le fantasme inconscient en un mythe conscient. le personnage d'Abdel Razek Evolue dans une sorte d'épopée , sur une terre qui ne manque pas d'histoires épiques ; Nassim se ressaisit du mythe avec son aspect intemporel et sédimentaire qui forme un tronc commun imaginaire Trans générationnel , et se situe comme un objet d'arrière-plan pour la vie émotionnelle insuffisamment transformée par la fonction de penser de ses parents .

Les consultations ont offert un espace potentiel suffisamment bon pour que Nassim puisse jouer .. car « pour jouer il faut un terrain de jeu .. ce jeu ..ce terrain où l'on joue n'est pas la réalité psychique interne , mais il n'appartient pas non plus au monde extérieur ..

« Dans cette aire, l'enfant rassemble des objets ou des phénomènes appartenant à la réalité extérieure et les utilise en les mettant au service de ce qu'il a pu prélever de la réalité interne ou personnelle »

C'est ainsi que Winnicott dans son livre jeu et réalité, définissait l'espace potentiel (Winnicott, D. W., 1971).

L'équipe palestinienne vivant dans le même contexte que cette famille, ce contexte où l'on ne joue plus, où tout doit être « utile » se vêtir, se nourrir avoir des diplômes, cette équipe ne pouvait se prêter au jeu et se laisser emporter par l'imaginaire de Nassim ; le psychologue s'interrogea sur la réalié de l'existence de ce personnage ;

Après vérification de l'inexistence d.Abdel Razek dans la réalité, leurs yeux se sont illuminés, quelque chose en eux s'est réveillée, l'imaginaire et le rêve de l'enfance ;

Bibliographie :

Anzieu, D., Chabert, C., Cupa, D., Kaës, R. & Roussillon, R. (2008). Didier Anzieu : le Moi-peau et la psychanalyse des limites. Toulouse, France : ERES. doi:10.3917/eres.rouss.2008.01.

Racamier, P. C. (2002). L'esprit des soins: le cadre. Collège de psychanalyse groupale et familiale.

Racamier, P. C., Diatkine, R., Lebovici, S., & Paumelle, P. (1970). Le psychanalyste sans divan la psychanalyse et les institutions de soins psychiatriques. Paris : Payot.

Slama, F. B. (2009). Exil et transmission, ou mémoire en devenir. Le Français Aujourd'hui,166(3), 33-41. doi:10.3917/lfa.166.0033

Winnicott, D. W. (1971). Jeu et réalité, l'espace potentiel, Gallimard, 1975. Playing and Reality.

Winnicott, D. W., (1979). La consultation thérapeutique et l'enfant. Paris : Gallimard.

Winnicott, D. W., (2017). L'enfant et sa famille : Les premières relations. Paris : Editions Payot & Rivages.

Winnicott, D., (1974). Le rôle de miroir de la mère et de la famille dans le développement de l'enfant. Nouvelle Revue de Psychanalyse, no 10, 79-88.

Winnicott, D., (2004). Les Enfants et la guerre. Paris : Payot.

المحور الثالث

الشباب اللبناني .. أساطير وهويّات



Lucchesi, B. n.d. Mother and child garden statue, accessed July 13, 2019, <http://artodyssey1.rssing.com/chan-7970246/all_p65.html>.

الشباب وقضاياها في عصر العولمة مصطفى حجازي

ملخص

يشكل الشباب لبنانياً وعربياً الكتلة السكانية الحرجة التي تحتاج إلى إحلالها في مكان الصدارة في الاهتمامات البحثية، وخصوصاً مع العولمة في تحولاتها وتحدياتها. تتناول هذه المداخلة بالبحث قضايا شرائح الشباب وخصوصاً الشريحة الحرجة من بينها في واقعها ومتطلبات إعدادها للمستقبل.

الكلمات المفاتيح: (الشباب - الاقتدار - المستقبل).

Résumé :

La jeunesse Libanaise et Arabe constitue la population critique qui doit être au premier plan des intérêts de recherche en particulier avec la mondialisation et ses enjeux et défis.

Cette intervention traite des problèmes des jeunes et se penche en particulier sur les cas critiques qui nécessitent et exigent un soin et une attention approfondie pour le futur.

Mots clés : Jeunesse - compétence - l'avenir

تمهيد وتعريف

الشباب هو بالتعريف تجديد الحياة لذاتها، وتجديد طاقاتها الوثابة. وهو الرصيد الاستراتيجي المستقبلي المضمون لأي مجتمع. وهو قوام كل نماء وبناء وتجديد. بالشباب تجدد الحياة ذاتها. وهي تقوم بالأصل على قانون التجاوز والنقض. تشيخ أجيال فتحل محلها أجيال شابة متدفقة بالحياة والطموحات والإقدام والإمكانات المتجددة والمتجاوزة لما سبقها، مما يفتح آفاق المستقبل والإرتقاء. ولولا هذه الطاقات الحية التي تجدد الحياة ذاتها من خلالها، لما كان

هناك تقدم ونماء وتوسع. تلك هي خاصية الحياة ذاتها في مختلف تجلياتها في عالم النبات والحيوان والإنسان على حد سواء. الحياة المتجسدة في الكائن الحي تستنزف وتشيخ وتزول، كي تفسح المجال لبذور جديدة تتفتح وتنمو وتزهر وتثمر. وتنتشر في الأرض.

يرد في قاموس محيط المحيط للمعلم بطرس البستاني ما يلي في تعريف مادة الشباب: شب النار أوقدها، وشب الشيء إرتفع ونما، وشب الغلام ويشب شاباً صار شاباً. أما في القواميس الأجنبية (فرنسية، إنجليزية) فليس هناك كلمة خاصة بتحديد فئة الشباب، بل هناك مفردة Jeunesse أو Youth وهي تدل على الحالة ما بين فترة المراهقة والرشد. وبالتالي فالمعنى اللغوي للشباب هو النماء والبروز وتوقد الإمكانيات والطاقات الحية والتطلع للخروج إلى الدنيا ولعب الدور واحتلال المكانة.

الشباب ظاهرة مستجدة عالمياً

من الشائع على الصعيد الديموغرافي اعتبار السن ما بين الخامسة عشرة والخامسة والعشرين مرحلة الشباب؛ وهو التحديد المعتمد عربياً ودولياً. إلا أن هذا التحديد الديموغرافي يظل شكلياً محضاً؛ ولا يطرح بالتالي القضية الفعلية لظاهرة الشباب المعاصر. ومن اللافت للنظر أن علم نفس النمو الرائج راهناً لا يفرد مرحلة قائمة بذاتها للشباب، كما يفعل في دراسة الطفولة وتحولاتها وخصائص النمو ومراحله خلالها؛ وفي دراسة البلوغ والمراهقة وتحولاتها وصراعاتها وأزماتها، بل هو يقفز بعد ذلك مباشرة من أواخر المراهقة إلى مرحلة الرشد. ذلك أنه حتى وقت قريب نسبياً كان يتم الدخول في سن الرشد وأدواره (عمل، زواج...) في مرحلة مبكرة عموماً. أما الآن فلقد أصبح الدخول في العضوية الاجتماعية الكاملة (العمل المهني المنتظم، الزواج والوالدية والمشاركة في الحياة العامة) يتأخر باضطراد لدى شريحة كبيرة من الشباب، مع ما يترتب عليه من امتداد فترة الإعالة وأزمات البقاء خارج سوق العمل.

وهكذا تبرز قضية الشباب في عالمنا العربي بمثابة ظاهرة تسير باتجاه التفاقم. إذ لم تعد مرحلة الشباب تقتصر على النضج العام (جسماً، نفسياً، عقلياً، ومهنياً)، بل هي تطرح ذاتها على الصعيد الاجتماعي المهني الزواجي، أي منظور العضوية الاجتماعية المكتملة المقومات. وتبرز أزمة الشباب تحديداً في هذه الفترة المستجدة تاريخياً واجتماعياً بسبب تزايد تكبير النضج العام من ناحية.

وتزايد تأخير اكتساب العضوية الاجتماعية الكاملة من الناحية المقابلة، مع تزايد حدة وعي هؤلاء الشباب بواقعهم المأزمي نتيجة للنضج الأكثر تبكيراً، وولوج عالم العمل والعضوية الاجتماعية الكاملة الأكثر تأخيراً. ذلك ما يُعرّف مرحلة الشباب راهناً، ويجعلها تقفز إلى صدارة الاهتمام البحثي والتخطيط للسياسات الاجتماعية.

إننا بصدد حالة متزايدة من النضج المبكر على جميع الصعد، وخصوصاً على صعيد المعرفة والمعلومات والوعي بالواقع الذاتي في عصر العولمة. إننا بصدد جيل جديد يعرف أكثر من آبائه ومعلميه، ويكاد يشكل المرجعية لهم على صعيد تقنيات المعلومات وآفاقها اللامحدودة، والاتصال وطفراته التقنية والانفتاح على الدنيا المعولمة، حيث يشكل جمهورها الأساسي استقطاباً واستهلاكاً.

وفي مقابل هذا الوعي الحاد والمتزايد هناك تأخير متزايد لدخول شرائح هامة من الشباب إلى عالم العمل والعضوية الاجتماعية، واكتساب الأهلية الاجتماعية الكاملة. هناك راهناً ما يقرب عشر سنوات تأخير في سن الزواج لكلا الجنسين، نظراً لطول فترة تأسيس وضع مهني يوفر الدخل اللازم لتأسيس أسرة. على أن هناك في عالمنا العربي راهناً شرائح تتزايد باضطراد تظل خارج سوق العمل وبالتالي خارج اكتساب الأهلية الاجتماعية، ما هو معروف بظاهرة بطالة الشباب. إنه شباب ناضج جسماً وعقلياً وعلى وعي متزايد باختلالات الواقع، إلا أنه يشكل طاقات مهدورة. وبالتالي تطول فترة الوصول إلى الاستقلالية عن الأسرة، وتتفاقم الأزمات.

دعتنا هذه الظاهرة إلى المناداة بضرورة تأسيس علم جديد هو "علم الشباب". وهو علم أصبح إلحاح إنشائه يتزايد. فالمراهقة لم تعد في أيامنا تشكل أزمة أصالة فعلية كما كان الحال قبل خمسين عاماً. فالمراهق أصبح يعرف أكثر من أهله ومعلميه بفضل انفجار المعلومات التي حملتها تقنيات المعلومات والاتصال وتوفر الوصول إليها والابحار في عوالمها ما يجعله في غنى عن الوالدين والمعلمين على هذا الصعيد.

الأزمة الفعلية راهناً هي ظاهرة الشباب وخصوصاً في عالمنا العربي حيث شريحة الشباب هي الأكبر ديموغرافياً.

إننا بحاجة إلى علم للشباب لا يقتصر على علم النفس وحده، بل يتعين أن يكون

علماء متعدد الاختصاصات ومتكاملها، كي يحيط بكامل تعقيدات ظاهرة الشباب وتجلياتها. إنه علم يتشارك فيه كل من علم النفس وعلم الاجتماع، والإعلام، والاقتصاد وسياسات التنمية والانتروبولوجيا. الغاية من علم الشباب متعدد الاختصاصات ليس فقط دراسة ظواهر الشباب عالمياً وعربياً، وإنما العمل على المقاربة المنهجية الدينامية والشاملة لهذه الظاهرة، وصولاً إلى تصحيح الأفكار المسبقة والمغلوطة حول الشباب من ناحية، والنهوض إلى حسن استثمار هذه الطاقات الحية التي تشكل ضمانة النماء وديمومته وصناعة المستقبل من الناحية الثانية. ولابد قبل هذه وتلك من التوقف عند اعتبار منهجي يتمثل في ضرورة إبراز تمايز فئات الشباب أو شرائحه.

شرائح الشباب

درجت العادة على الحديث عن الشباب وكأنه كتلة واحدة متساوية الخصائص والمقومات والحضور، وإطلاق التعميمات والأحكام، في إيجابها كما في سلبها على هذه الشريحة العمرية. إلا أنه إذا كان هناك وحدة على المستوى العمري، فإن هناك بالمقابل تعدداً على صعيد الخصائص والشروط الوجودي والخبرات والمواقف والفرص. هناك على الأقل أربع شرائح شبابية تتمايز فيما بينها: شباب النخبة، الشباب المحظي، الشباب المكافح لبناء حياة كريمة، وشباب الظل. وتنطبق هذه الشرائح على كلا الجنسين (ذكوراً وإناثاً) على حد سواء، وذلك من دون الحديث عن شريحة خامسة تظل خارج الأبحاث المتداولة وهي شريحة الشباب الريفي والعشائري.

■ هناك أولاً شباب النخبة

وهو يمثل تلك الشريحة المميزة التي حظيت بأفضل رعاية أسرية، وبأعلى مستويات التربية والتعليم والاختصاص المهني والاعداد للمستقبل. إنها تلك الشريحة التي حظيت بفرص بناء "هوية نجاح" ومفهوم إيجابي عن الذات والصحة النفسية، والتي تمثلت "ثقافة الانجاز" التحصيلي، والتأهيلي المهني. تدخل سوق العمل العالي الاختصاص والمهارة في سن مبكرة، وسرعان ما تصل إلى مستويات قيادية توفر لها إمكان بناء مكانة اجتماعية لائقة. إنها شريحة شباب ما فوق الأزمات بالمعنى الشائع، وهي الأكثر حظاً في خوض غمار العولمة والاستفادة من فرصها واسواقها واستهلاك وتقنياتها.

■ وفي المقابل هناك شريحة الشباب المحظي

هم أبناء محدثي النعمة من الذين كان لهم نصيب كبير من الاستئثار بثروات البلاد بوسائل عديدة، ليس أقلها تقربهم من السلطان واستحواذهم على خيرات الأوطان. هذا الشباب المحظي، شباباً وشابات، يشكل الفئة التي تربت على التراخي في الضبط والمحاسبة وتدني الرعاية الأسرية، في مقابل إغداق العطايا المادية بمثابة رشوة تمثل البديل لهذه الرعاية. لم تتعلم معنى الجهد ولا ترى من ضرورة للإعداد والتكوين، طالما أن ثروة الأسرة جاهزة. تعيش في الملذات الآنية والاستهلاك المفرط والفراغ الوجودي الذي تملؤه بالإثارة على اختلافها؛ المشروعة منها كما غير المشروعة، في ظل حماية الأهل الذين يمارسون نفوذهم لدى السلطات حين يجنح هؤلاء الشباب في ممارسات يطالها القانون. لا شأن لهذه الشريحة لا بأزمات الشباب، ولا بقضايا الأوطان.

تشكل هذه الشريحة المحدودة العدد بطلاة أسواق الاستهلاك على اختلاف ألوانه، مما تروج له ثقافة الاستهلاك. هويتها وموضع اعتزازها هو في التباري في الاستهلاك واستعراض مظاهرة: المولات، اقتناء آخر صرعات الموضة، السيارات الفارهة، مع إدارة الظهر إلى الوطن وقضاياه. ذلك أن أسر هؤلاء هي المستفيدة من أزمات البلد الاقتصادية، بل هي المولدة لهذه الأزمات من خلال الاستئثار بخيرات البلد وتجيير اقتصاده لمصلحة زيادة أرباحها وثرواتها، ومن دون أي مشاعر انتماء أو التزام بقضايا الوطن. إذ أنها أول من يَهْرَبُ رأسماله إلى الخارج، وأول من يهرب بدوره عند استفحال الأوضاع.

■ وهناك الفئة الطامحة إلى الحياة الكريمة

تشكل الكتلة الحرجة، كما أنها موضع اهتمام الباحثين. إنها من أبناء الأسر المتوسطة التي تحظى برعاية والدية مقبولة، كما أنها تتابع تحصيلها في التعليم العام ما قبل الجامعي كما الجامعي. ونظراً لتواضع مستوى هذا التعليم في مختلف مراحلها فإنها لا تحظى بالإعداد العلمي والمهني المتين الذي يمكنها من دخول سوق العمل بسهولة والتنافس فيه، ولذلك فهي تتعرض لبطالة الجامعيين. إنها تكد من أجل الارتقاء الاجتماعي من خلال الدراسة ولكن تخيب آمالها حين تقع في البطالة. وهنا تظهر المأساة: وعي عال بما يجري في العالم من حولها، وقدرات محدودة على الاستهلاك وأخذ الحظ منه، وتأخر متزايد في

الوصول إلى الأهلية الاجتماعية. هنا تبرز أزمات الشباب الذائعة الصيت في الإعلام والأبحاث. ورغم تمسكها بالانتماء الوطيد إلى الوطن، فإنها تُقَمِّش عن مواقع المشاركة في الشغل على قضاياها وإيجاد الحلول لها. تشكل هذه الشريحة قوة فاعلة في انتفاضات الشباب الباحثة عن انتزاع الحق في حياة كريمة، وتعيش درجة عالية من الاحتقان الوجودي الذي يتفجر حين تتحرك طاقات الحياة في الثورة الشبابية والجماهيرية، يستوي في ذلك الشبان والشابات.

تتجلى أزمات الشباب لدى هذه الفئة تحديداً. يتمثل أولها في قصور التأسيس العلمي والمهني المتين في التعليم الرسمي العام والعالى. لا يزود هذا التعليم العالى في غالبية الكبرى خريجيه بالمؤهلات التي يتطلّبها سوق العمل الحر الذي تتزايد متطلباته العلمية والمهنية باضطراد، من حيث الكفاءة والمهارة. أما القطاع الحكومي فلقد وصل درجة التشبع في معظم الحالات، ولم يعد يوفر الكثير من فرص العمل.

وهنا تبدأ المعاناة وتتراكم خيبات الأمل وتخفق طموحات الشباب في مكانة ودور وحياة كريمة. ولقد أصبح معروفاً تزايد نسبة بطالة الجامعيين من هذه الفئة تحديداً. وهنا تطل برأسها ظاهرة "البطالة اليائسة". إذ بعد فشل العديد من محاولات دخول سوق العمل المتكررة تتسرب خيبة الأمل إلى النفوس، ويدخل الواحد من هؤلاء في البطالة اليائسة. ولنا أن نتصور مقدار المعاناة الوجودية لدى هذا الشباب الذي تُهدّر طاقاته وطموحاته بهذا الشكل.

وما يزيد الأمر تفاقمًا هو نظرة القائمين على شؤون الاقتصاد والعمالة، وعلى شؤون البلد والسياسة عموماً، إلى هذه الكتلة الشبابية التي تعيش في حالة احتقان وتتكاثر أعدادها على الدوام؛ إنها تُعْتَبَرُ فئة الشباب الزائد عن اللزوم التي تتوجس منها السلطات على استقرار أوضاعها. وبالتالي تقوم علاقة حذر متبادل وعداء ما بينها وبين كتلة الشباب هذه. وهي حلقة لا يقتصر ما يلحق بها من غبن على وضعها وحده، بل هو يشكل هدراً لطاقات الوطن الشابة التي يفترض بها حمل لواء المستقبل وبنائه، وهدر رصيده الاستراتيجي المضمون من طاقات الحياة.

■ وهناك شريحة شباب الظل التي تتكون من أولئك المقهورين والمهدورين من الشرائح الشعبية الأكثر فقراً والأقل حظواً. إنها محرومة من التمدرس والتدريب المهني المؤهل للأعمال الحرفية المجزية. تعيش في حالة هامشية ما بين أعمال غير متمهنة وحالات من البطالة. تخرج من اهتمام الباحثين والدارسين لصعوبة الوصول إليها، بحيث تظل تلك الكتلة المهملة والمهمشة. إنها شريحة شباب الظل الذي يشكل وقود العنف في الانتفاضات الشعبية. قسم منها لا يعيش مرحلة شباب حيث يفرض عليه دخول عالم العمل في سن الطفولة المتأخرة للمساعدة في إعالة الأسرة. قسم آخر يشكل كتلة الناشئة غير المتكيفة اجتماعياً. إنها شريحة المجهول الأكبر الفائض عن اللزوم والذي يشكل الشباب فيها العبء الذي تحذره لسلطات، وتقبله بالقمع والعنف.

تظل هذه الشريحة خارج مجال الدراسات الخاصة بالشباب. ولا يتم التنبه إليها إلا حين تحدث اضطرابات اجتماعية/اقتصادية/سياسية يكون هؤلاء الشباب هم وقودها. وإلا فمصيرها التجاهل والنسيان، حتى يعود الإعلام فيضج بأخبار غرق المهاجرين من هؤلاء في البحر في ركوب لمخاطرة الرجاء في الخلاص. ليس ذلك مجرد هدر، بل هو الفضيحة الوطنية ذاتها تجري أمام أعين الجميع، من دون أن تحرك ساكناً.

وإذا لم تركب مخاطرة الأمل السحري بالخلاص، فإنها تشكل جمهوراً جاهزاً للاستغلال من قبل الزعامات الطائفية بمثابة وقود للعنف.

تلك هي شرائح الشباب والشابات التي تتنوع شروطها الوجودية. وبالتالي يتطلب كل منها سياسات عامة تلبى احتياجاتها. إلا أنها جميعاً تتطلع إلى انتزاع الاعتراف بإنسانيتها، وحقها في العيش والكرامة.

وهناك بالطبع فئة الشباب الريفي ومناطق الأطراف التي ندر أن تتناولها الأبحاث عن الشباب بالدراسة. وهي فئة تحتاج إلى مشروع بحثي علمي قائم بذاته لكشف الجوانب المطموسة من الواقع الوطني للشباب.

من قتل الأب إلى قتل الأبناء

ينطبق على الأبناء - جيل الشباب خصوصاً - مقولة قتل الأبناء، وذلك على النقيض من مقولة قتل الأب التي قال بها فرويد في كتابه المعروف بعنوان: "الطوطم والمحرم"، حيث يتحدث عن أسطورة يضعها في أساس نشأة المجتمع

البشري. يذهب فرويد إلى القول بأنه كان هناك رهط بدائي يحكمه أب قوي عاتٍ استحوذ لنفسه على كل نساء الرهط، ومنع أبناءه من إشباع رغبتهم الجنسية، ما أدى إلى المزيد من تأجيج هذه الرغبات، وتصاعد العدوانية تجاهه.

وفي مرحلة ما قام الأبناء بقتل الأب وافتراسه، ما ولد في نفوسهم شعوراً شديداً بالذنب دفعهم إلى تحريم نساء الرهط على أنفسهم من ناحية، وتحويل صورة الأب إلى نوع من الطوطم رمز الرهط والحامي له من الناحية الثانية. كما تعاهد الأبناء على أن الإشباع الجنسي لا يكون إلا مع نساء من خارج الرهط. وهكذا نشأ المجتمع البشري من خلال الانفتاح على الخارج، وتبادل النساء ما بين الأرهاط. كما أن الأبناء بافتراسهم للأب تمثلوا في آن معاً القانون الذي ينظم التبادلات والعلاقات الجنسية والعدوانية، وتمثلوا قوته (اجتافوا قوته بالتعبير التحليلي النفسي) وأصبحوا بالتالي راشدين وآباءً بدورهم.

هذه أسطورة افتراضية تكمن قيمتها ليس بواقعيته بل بفائدتها. ما يهنا هنا هو تطبيقها على علاقات الأجيال. فأجيال الأبناء تحل محل أجيال الآباء بعد وصولهم إلى الشيخوخة. وبالتالي فالحياة تجدد ذاتها من خلال النقض والتجاوز. ذلك ما أقدم عليه الفكر الغربي الحديث الذي يقوم على تجديد حياة العلم والفكر من خلال النقد والنقض: هما يفتح آفاق المستقبل واسعة.

لقد انخرط الغرب كما هو معروف في مشروع بناء العقل الكبير، كما يقول أحد مفكره، وحقق قفزات كبرى معروفة على صعيد الفلسفة والعلم والتقنيات من خلال نقد ما هو قائم ونقضه وتجاوزه بالمستجد من النظريات والتقنيات التي نستوردها نحن ونتداولها جاهزة.

لقد أنجز الفكر الغربي ثورات ثلاث على صعيد النقد والنقض والانطلاق إلى صناعة مستقبل متجاوز لذاته. أولها ثورة إحلال سلطان العقل محل سلطان الغيب (سلطان الكنيسة والحكم الإلهي)؛ وثانيها ثورة الضبط العقلي والعلمي المحكم للنظريات ومنهجيات البحث، ما يتجلى في معطيات فلسفة العلم. النظرية العلمية لا تعتبر كذلك إلا إذا كانت قابلة لتكرار التطبيق، وللتفنيد، ومن ثم التعميم. ويقصد بالتفنيد قابلية النظرية لأن تنقد وتنقض من خلال تبيان قصورها، ما يفتح السبيل أمام نظرية جديدة، أو نموذج علمي جديد يطرح رؤى وممارسات تتجاوز السابقة. أما ثالث ثورات النقد والنقض فتتمثل بإطلاق العنان للفكر المبدع الذي يتجاسر على المجهول ويأتي بالمفاجئ من الرؤى. وهو

ما نراه راهناً من قفزات في الاكتشافات والاختراعات (من أقرب الأمثلة عليها التطور المتسارع والمذهل لتقنيات المعلومات والاتصال التي يلهث الناس في متابعتها).

وهكذا انتقل الغرب من العصور الكلاسيكية وفكرها الماضوي والغيبوي إلى الحداثة، ومن ثم إلى ما بعد الحداثة على صعد الفكر والتقنية.

الفكر والتقنية الغربيّان يجددان شبابهما باستمرار، من خلال تجاوز القديم الذي يحول إلى مجرد تراث وتاريخ. والشباب هم أبطال هذا النقد والنقض والتجاوز. جل العلماء والسياسيين والمفكرين هم راهناً من جيل الشباب (بيل غيت، وزوكر وجو جوبز في تقنيات المعلومات والاتصال أنموذجاً). وجل الناشطين في إدارة المال والأعمال من الشباب. حتى أن بعض المفكرين يشير إلى كيف أن الغرب أصبح يمجّد الشباب أساساً باعتباره المرجعية المعاصرة لجيل الآباء. وبدلاً من محاكاة الشباب للكبار، مما شاع سابقاً، أخذ الكبار يحاكون الشباب راهناً، حفاظاً على مواقعهم ومكانتهم وأدوارهم، وحتى لا يخرجوا خارج الملعب. والعولمة بذاتها تمجّد الشباب بالأساس؛ فالشباب هم أبطالها على كل صعيد.

العولمة

تقوم العولمة على قانون القوة بالأساس، وعلى رأسها القوة المعرفية. وقانون القوة يقوم على حيوية الشباب وانطلاق طاقات الحياة لديهم في تجاوز لكل تقليدي وراهن تطلعاً إلى المستقبل الذي هو من حيث التعريف تجديد الحياة لذاتها في مقابل تمسك الشيوخ بالماضي وتقاليد. ويشكل التسارع المتزايد أحد أبرز ظواهرها: كل شيء يتسارع ويتغير بوتائر غير مسبوق، وخصوصاً على صعيد التقنيات. وهو تسارع يشكل نوعاً من موجة التسونامي التي لا يقف في وجهها شيء. وها هي البشرية بصدد الدخول في طور حضاري جديد من خلال ما أطلق عليه علمياً تسمية "الفرادة Singularity" وهي تتشكل من تكامل عمل تقنيات خمس هي بصدد تغيير الحياة على الكوكب، وهي التالية:

علوم الحاسوب والاتصال، علوم الهندسة الوراثية، العلوم العصبية المعرفية (اكتشاف آليات عمل الدماغ ودينامياتها)، تقنية النانو (المتناهي الصغر)، وتقنية الروبوتات.

يطال التسارع تحولات هامة في المهن وسوق العمل. يقول الخبراء في المجال أن 25% من المهن الممارسة حالياً سوف تنقرض في العقود القليلة القادمة. وأن 40% من مهن المستقبل الذي ليس ببعيد لا نعرف عنها شيئاً الآن. إنما الاكيد الوحيد هو أن قوة المعرفة والاقترار المعرفي ستكون هي الحاكمة لسوق العمل. وهو ما يحتم أمرين اثنين هما بناء الاقترار المعرفي على اختلاف مجالاته لدى جيل الشباب، من جانب، واللياقة التكيفية لديهم على الصعيد الثاني. ويقصد باللياقة التكيفية التمتع بالمرونة الذهنية والمعرفية والمهارية التي تمكن الشباب من التكيف لمستجدات سوق العمل وتحولاته المتسارعة على صعد المهن المستجدة.

فلن يكون هناك في المستقبل القريب مسار مهني واحد ذو مسار طولي يتدرج من البداية حتى التقاعد، مما يطلق عليه تسمية القطار المهني الذي يذهب من نقطة الانطلاق إلى نقطة الوصول، وإنما يتحول الأمر إلى مترو الانفاق حيث يتعين على الراكب التنقل في عدة محطات، ينزل من قطار ويأخذ آخر وصلاً إلى خط النهاية. يتوقع من الشخص المهني الواحد أن ينتقل بين عدة مجالات ضمن الاختصاص ذاته، أو بين عدة مجالات يجمعها الرصيد المعرفي الأساسي. ويعني ذلك انفتاح التخصص الدقيق على عدة اختصاصات رديفة، ما يتطلب اللياقة التكيفية السّالفة الذكر، والقائمة على متانة الاعداد العلمي والفكري الأساسي. وهو بدوره يتضمن قواعد التفكير العلمي، والتفكير النقدي والجدلي والايجابي، والمبادر والمجدد، وصولاً إلى التفكير الابتكاري. ويرفدها جميعاً التمكن الثقافي، والقدرة على الانفتاح على الثقافات الأخرى والتفاعل البناء معها. ذلك أن سوق العمل المعولم المتجاوز للسوق المحلية، منفتح على الثقافات العالمية، ومدعو إلى التعامل والتفاعل معها. وهو بدوره يتطلب التمتع بالصحة النفسية لجهة المرونة التكيفية، والقدرة على تحمل الضغوط، وتحويل المحنة من معوق إلى فرصة للنماء. ويتوجها جميعاً أخلاقيات المهنة والعمل والالتقان المهني الذي يكفل وحده البقاء والنجاح في سوق العمل. وكذلك احلال الهوية المهنية محل الهويات الطائفية المحلية. فأنت ما تنتج وتنجز وليس بالانتماء والولاء. انطلاقاً من هذه الحالة، يتجلى عظم التحدي أمام شباب أبناء الشريحة الوسطى والكادحة، من طلاب الجامعة اللبنانية الحكومية العربية، الذي يتطلب ثورة في إعداداته وتمكينه وصولاً إلى صناعة فرصته في ولوج عالم العمل القائم على المقومات التي بينها من اقتدار معرفي وفكري وثقافي ولياقة تكيفية وصحة

نفسية. ذلك وحده هو السبيل لاستثمار طاقات الشباب الحيوية وقدراته على العطاء في بناء مشروع انتاجي وطني جامع يكفل وحده احتلال المكانة على الساحة العالمية.

أين نحن من هذا كله مع استمرار قتل الآباء للأبناء من خلال تأزير التمسك بالسلطة والاستحواذ على مقدرات الوطن وحرمانه من عطاء طاقاته الشابة؟ إننا بصدد هدر الشباب وهو أخطر أنواع الهدر في ما يتجاوز هدر الثروات. فبدلاً من العمل على تجديد حيوية الوطن ومنعته من خلال تجديد طاقاته الشابه، إنهم يأزلون تحكّمهم به وبمقدراته، بل ويهدرونه كيانياً من خلال صراع عصبياهم التي يتزعمونها، وتنافسهم على اقتسام الحصص والمغانم هم وزبانياتهم. وبدلاً من قتل الآباء هاهم يقتلون الأبناء من خلال هدر طاقاتهم، أو استتباعهم وتحويلهم إلى وقود حروب عصبياهم، وتعزيز شوكة سلطاتهم.

حتى النخب الشابة والتي تشكل الذهب الرمادي (في مقابل النفط الذي يطلق عليه تسمية الذهب الأسود) وهو مورد معرض للنضوب، بينما أن الذهب الرمادي، المعبر عن القشرة الدماغية العليا مركز التفكير والتجديد والابداع، فهو مورد متجدد ونام، إذا تم تعهده بالرعاية اللازمة. هذا الذهب الرمادي يهدر بدوره على يد زعماء العصبيات السياسية المتحكمة بالكيان ومقدراته، والتي لا يهمها سوى تأزير تحكّمها واحتكار السلطة.

لبنان، على هذا الصعيد، هو أشبه ما يكون بمشتل يعد أغراساً منتقاة. ولكن حين يحين غرسها كي تنمو وتورق وتثمر عطاءً مميزاً، لا تجد أمامها سوى أرضاً جرداء قاحلة، حيث لا فرص عمل تستطيع استثمار طاقاتها وعطائها. وبالتالي تأخذها أميركا، ويأخذها الغرب والخليج، جاهزة لإعطاء ثمارها. وتكون خسارة الاقتصاد الوطني مزدوجة: خسارة كلفة إعدادها العالية من ناحية، وخسارة عطائها الهام والمميز من الناحية الثانية. ذلك أن مردودها من تحويلاتها المالية من الخارج هي أدنى بكثير، في رأي اقتصاديين موثوقين، من عطائها فيما لو بقيت في الوطن. هذا الوطن الذي حوله زعماء العصبيات المتحكّمين بمقدراته إلى مرعى لقطعان عصبياهم والنافذين فيها، حيث يتقاتلون على "الكأ والماء" على غرار صراع القبائل، على أخصب مرعى وأغرز نبع ماء. وأليس هذا هو حال زعماء عصبياتنا الطائفية الذين يتقاتلون على الوزارات والمرافق الوطنية الأكبر مجالاً لجني المغانم من دون تقديم أي شيء بالمقابل، تماماً على غرار المرعى، الذي لا يحتاج

إلى رعاية وخدمة، على عكس حال المزرعة التي تحتاج أن تخدمها كي تعطيك. ليس من المستغرب والحالة هذه هدر طاقات شبابنا، وتفاقم بطالته بشكل غير مسبوق، حيث قاربت 35% من الطاقات الشبابية.

ويستكمل قتل الابداء من خلال آلية ناعمة تستهدف تسطيح الوعي، من خلال رضاة التسلية والالهاء وإثارة الأعلام بتغيير المصير والقفز فوق حاجز العوز والتهميش إلى النجومية بمختلف أنواعها.

تتحالف العولمة التي تمثل عالمياً مجتمع الخمس، مع الأنظمة التسلطية المحلية التي تشكل أقل من مجتمع الخمس في بلدانها لجهة استئثارها بالخيرات الوطنية. ولقد تفتقت قريحة برجنسكي (مستشار الأمن القومي الأميركي الأسبق) وأحد خبراء العولمة عن حل لفائض الشباب المهمش من خلال رفع شعار: رضاة التسلية حيث نحت لها تعبيراً يتكون من دمج كلمتين Tit (حلمة الثدي) و Entertainment (التسلية والترويح) في كلمة واحدة Tittytainment.ment

من هنا رواج ثقافة التسلية والإلهاء من خلال القنوات الفضائية ليس للشباب وحده، وإنما لجميع الشرائح السكانية المهمشة. وهكذا تملأ التسلية في الثقافة المرئية وقنواتها الفضاء الكوني العربي. ولقد تحولت صناعة التسلية المرئية إلى واحدة من أكبر التجارات ربحاً وازدهاراً وانتشاراً. وتتبارى هذه القنوات وتتسابق على ابتداع أساليب التسلية المسطحة للوعي والمخدرة للكيان، حيث تشحن بها ساعات الذروة في البث التي تمولها إعلانات الشركات الكبرى، وبذلك أصبحت الثقافة رهينة الإعلام وأصبح الإعلام رهين الإعلان. وهو مكسب مزدوج لمجتمع الخمس: تسطيح وعي الشباب وتخدير كيانه من ناحية، وترويج ثقافة فرط الاستهلاك من الناحية الثانية.

ولقد انخرطت القنوات الفضائية التجارية العربية في هذا المشروع من خلال برامجها التي تستحوذ على الشاشات. ويأتي على رأسها الترويج للدين الكروي الجديد الذي تحول من انجازات رياضية رائعة إلى وسيلة لامتناس حماس الشباب للإنجاز ومن خلال تعصبه لفريقه الوطني. والمعروف أن الفيفا أصبحت من المؤسسات المالية العالمية الكبرى في كل أنشطتها كما في فضائح فسادها. ولقد حل هذا الدين الكروي الجديد، أو هو مطلوب منه ومخطط له أن يحل محل الحماس للقضايا الوطنية وقضايا العدالة والتنمية، حيث أمسى

انتصار الفريق الوطني في مباراة ما بمثابة انتصارات وطنية كبرى تحل محل الانتصارات في معارك التحرير. وأصبح التعصب للفريق الوطني، وما يؤدي إليه من أحداث عنف متكررة في الأخبار، وسيلة لامتناس الاحتفانات المتراكمة لدى جيل الشباب المهمش ذي الطاقات الحية المهدورة.

إلا أن الدين الكروي الجديد يبقى ظاهرة صحية لجهة الانجازات الرياضية الخارقة التي يقدمها، مقارنة برضاة التسلية والإلهاء وتسطيح الوعي وتخدير الإحساس بالغبن التي تروجها برامج صناعة النجومية السريعة وإغراءات مجد الأضواء، وهوس النجومية Starmania سواء في مباريات الغناء وتصفياتها واستعراضاتها، أم في برامج الألعاب على اختلافها، وكذلك في برامج الحظ، حيث يرى كل شاب عربي مهمش صورته وصوت أعماقه يتجسد على الشاشة من خلال التعصب لنجمه المفضل. يندرج كل ذلك ضمن مشروع إخماد طاقات الحياة الوثابة لدى الشباب، وإبعادهم عن احتلال مواقع القرار وتحديد الحياة السياسية.

من الرعاية الفوقية إلى التمكين المعرفي

قد يقال أن الشباب يحظى برعاية واهتمام خاصين، وأن هناك وزارة للشباب في لبنان والعديد من البلاد العربية. هذا صحيح ولكن لتتوقف لحظة عند وظائف هذه الوزارة. إنها في الأعم الأغلب تتخذ مسمى "الشباب والرياضة" وهنا يكاد الاهتمام ينحصر في الرياضة، وخصوصاً كرة القدم والفريق الوطني. كأن قضية الشباب المستقبلية وبالتالي الوطن يمكن أن تختزل في الفريق الوطني. مع الاعتراف المشدد بأهمية الرياضة، قضية الشباب، أو قضاياها لا يجوز أن تختزل في فريق كرة القدم الوطني إذ إنها قضية مصير البلد ومستقبله.

أما الأمر الثاني فيتمثل في موقف السلطات من قضية الشباب حيث تتخذ طابع الرعاية الفوقية. وهو توجه يتنافى مع تمكين الشباب الذي لا يتم إلا من خلال الشراكة كحد أدنى، وأخذ الشباب لزام المبادرة في الأساس. لا بد أن يأخذ الشباب زمام المبادرة وابتداع أساليب خلاقية في ممارسة دورهم ومكانتهم، عندها يمكن لطاقات الحياة النمائية والمبدعة لديهم أن تتفجر. ولم يعد مقبولاً القول بأنهم بحاجة إلى رعاية فوقية كي يكبروا بدورهم ويتحملوا المسؤولية. كان ذلك يصدق أيام الأجداد والأسلاف حيث يتدرب الحدث على يد والده ويتعلم منه ممارسة مهنة هذا الأب. أما الآن ومع انفجار الانفتاح على الدنيا وثورة المعلومات

وتوفرها للشباب أكثر مما هي متوفرة للكبار، إضافة إلى وعيهم واتساع أفقهم الذهني بفضل العيش في حمام تقنيات المعلومات والابحار فيها.

على الكبار والمسؤولين افساح المجال لجيل الشباب كي يتحمل مسؤوليته، عندها سيرى هؤلاء أن الشباب سوف يذهلهم بمبادراته الابداعية في العديد من المجالات. وبالتالي على الكبار والمسؤولين التوقف عن ممارسة وصايتهم على الشباب. عندها تجدد الحياة ذاتها ويتم الخروج من التاريخ الدائري المكرر لذاته، وصولاً إلى الانطلاق إلى آفاق المستقبل.

تحديات الشباب اللبناني المسلم المهاجر دراسة حالة لبنانيّ كندا ندى الطويل

ملخص

عندما كنت أتابع دراسة ما بعد الدكتوراه في جامعة أوتوا في أونتاريو، وعندما انتسبتُ كباحثة إلى الجمعية الكندية للبحث في الأقليات الألسنية ICRML في برونزويك الجديدة، كان هدفي العمل على التوعية على فكرة المؤازرة بين اللبنانيين في لبنان وفي كندا، ولكن عوضاً عن الإهتمام بالأشخاص الذين تركوا بصماتهم في الحياة السياسية، والاقتصادية، والعلمية، والأكاديمية في كندا؛ انصبّ اهتمامي على الحياة اليومية للبنانيين من طلاب، وربات منزل، وعَمّال، وعاطلين عن العمل، ومثليين... وعلى كل من يشكّل الأغلبية المنيوذة والمهمّشة في هذا المجتمع.

الكلمات المفاتيح: (الشباب - الهجرة - التهميش).

Résumé :

Depuis la poursuite de mes études postdoctorales à l'Université d'Ottawa en Ontario et mon affiliation, en tant que chercheure, à l'Institut Canadien de Recherches sur les Minorités Linguistiques-ICRML au Nouveau-Brunswick, je me suis donnée comme objectif la sensibilisation à une synergie entre les libanais du Liban et ceux du Canada ; mais au lieu de s'intéresser comme tout chercheur, à ceux qui ont marqué la vie politique, économique, scientifique et académique du Canada, je me suis intéressée à la vie quotidienne des libanais, aux étudiants, aux femmes au foyer, aux ouvriers, aux chômeurs, aux homosexuels... à tous ceux qui représentent la majorité ignorée et négligée de cette communauté.

Mots clés : (Jeunesse - immigration - marginalisation).

تمهيد

بالرغم من تحليلها ودراستها عبر محاور عدّة، ديموغرافيّة، اقتصاديّة، ماليّة وسياسيّة، "تبقى ظاهرة الهجرة، بشكل أساسي، مساهمة ثقافيّة تغني المهاجر والمجتمع الحاضن على حدّ سواء. فالهجرة ليست عمليّة محايدة، إنّما هي عامل أساسي" في بلورة العلاقات الفرديّة، والعلاقات الاجتماعيّة والعلاقات الجنسيّة. هي ما يصحّ تسميته بمحرّك التمازج الثقافي. (طويل، 2018).

الهجرة تقودنا "إلى التمييز بين حالتين قطبيّتين... الأولى، حيث هناك تطابق بين موطن المهاجر الأصلي وموطن التّبني حيث يستثمر طاقاته وأمواله وحيث يخطّط وينفذ مشاريعه وأحلامه، كاسراً أي امتداد عملي مع موطنه الأصلي. والثانية، حيث لا يتوقف المهاجر عن استحضار وطنه الأم في أعماله وتطلعاته وأحلامه، فيكون بلد التّبني والحال هذه مكاناً محايداً، ذا مركز ثانوي وأهمية عابرة، يستخدمه المهاجر كأداة للمنفعة". (Rosental, 1990، ص.1410).

مهما كان وضعه، يعيش المهاجر إذناً، كل مهاجر، بين ثقافتين (الثقافة الأصليّة والثقافة المتبناة) وبين مجموعتين (مجموعة المرجع، ومجموعة الانتماء) وكأثمة "على جسر بين بلدين، أرضين وهويّتين" (Green، 2002، ص.3). هذه هي حال لبناني كندا.

■ نظرة إلى التعددية الثقافيّة الكنديّة

يتشارك لبنان وكندا عدداً من السمات المشتركة، لا سيّما تنوّعهما الثقافي والديني. لكن في حين يُعتبر لبنان بلد هجرة ونزوح، تُعتبر كندا ملجأً وملاذاً آمناً بلا منازع...كيف لا وأكثر من 17 مليون مهاجر تمّ استقبالهم في كندا منذ تأسيس الكونفدراليّة في العام 1867؟

ظهر مفهوم التعددية الثقافيّة في كندا خلال الستينيّات، على شكل نموذج سياسي اجتماعي قائم على احترام التنوّع الإثني والعريقي والثقافي في والعمل للحفاظ عليه. حاز هذا المفهوم منذ بداياته على دعم عدد من السياسات والبرامج الحكوميّة تحت إدرارة حكومة Pierre Elliott Trudeau الليبراليّة. في العام 1971، اعتمدت الحكومة الفدراليّة رسمياً سياسة التعددية الثقافيّة. في العام 1973، تمّ إنشاء وزارة التعددية الثقافيّة (ministère du Multiculturalisme) والمجلس الكندي للتعددية الثقافيّة (Conseil Canadien du Multiculturalisme).

في العام 1982، تمّ إدراج الميثاق الكندي للحقوق والحريات في الدستور الكندي (Charte canadienne des droits et libertés ، وفي العام 1988، أصدر مجلس العموم قانوناً بشأن التعددية الثقافية الكنديّة: (Loi sur le Multiculturalisme) (Canadien Mouvement Républicain du Québec, 2019).

أعلن "التعدد الثقافي" (أو التنوع الثقافي وهو التعبير الذي ما زال يُعتمد في كيبك) رسمياً نهاية مرحلة "الازدواج الثقافي" القائم على هويّة البلاد الثنائيّة القائمة على اللغتين الفرنسيّة والانكليزيّة. كما وهدف هذا القانون الخاص بالهجرة بشكل أساسي إلى حماية الحريّات الشخصيّة، الضمير، الديانة والأمن من خلال منع كلّ تمييز قائم على السن، أو العرق، أو الاثنيّة، أو الجندر، أو الدين أو الميول الجنسيّة إلخ... (Helly, 2004).

هذا وتؤكّد البيانات الإحصائية للأسر (ENM) Enquête Nationale auprès de Ménages على الدور الذي يلعبه المهاجرون في نجاح هذه التعددية الثقافيّة، فأسلمت أن كندا "مجتمع متعدّد الثقافات تشكّلت ملامحه الاثنيّة الثقافيّة على مرّ الزمن على يدّ المهاجرين وذريّتهم... " (Statistiques Canada ، 2011).

تاريخياً، جاء معظم المهاجرين من أوروبا (إيطاليا، بولندا، روسيا، رومانيا، فرنسا، انكلترة، إيرلندا). لكن مؤخراً، تصدّرت "الأقليّات الظاهرة" minorités visibles قائمة المهاجرين. من هم المهاجرون الذي يمكن اعتبارهم "أقليّات ظاهرة"؟

بموجب القانون الكندي، الأقليّات الظاهرة هي "كلّ شخص، غير السكّان الأصليين، لا ينتمي إلى العرق الأبيض أو لا يتمتّع ببشرة بيضاء. ويُعنى بذلك الصينيّون، سكّان جنوب آسيا، السود، الفيليبينيّون، سكّان اميركا اللاتينيّة، سكّان جنوب شرق آسيا، العرب، سكّان آسيا الغربيّة، اليابانيون، الكوريّون وأقليّات ظاهرة أخرى" (Statistiques Canada ، 2011).

وفقاً لإحصاء عام 2016، تقدّر الأقليّات الظاهرة بـ 21.83% من إجمالي عدد سكّان كندا الـ 35,151,128 نسمة. عدد العرب 523,235 شخصاً أي 6.81%. يشكّل اللبنانيّون الجالية العربيّة الأكبر، فيبلغ عددهم 219,555 شخصاً أي 41,96% من عرب كندا. (Statistiques Canada ، 2016).

مسلمو كندا

رغم تميّز كندا منذ تأسيسها بأنها أرض حاضنة للمهاجرين، يعاني هذا البلد من معدّل ولادات منخفض جداً يبلغ %1.60 ومتوسّط عمر متقدّم جداً يبلغ 82.3 سنة (Banque Mondiale ، 2016) ما يدفعها إلى الاعتماد أكثر فأكثر على المهاجرين القادمين إليها من كلّ صوب. فيجد المهاجرون المسلمون أنفسهم، من دون علمهم، ضمن مشروع وطني اقتصادي اجتماعي كبير.

ويمكن تمييز أربع موجات هجرة من البلاد العربيّة :-1882 1939-: 1950 1992: 1997 حتّى يومنا هذا (www.rci.ca). ووفقاً لإحصاء العام 2011، قدّر عدد المسلمين في كندا بما يفوق مليون شخص، أي %3.2 من الشعب الكندي (Statistiques Canada, 2011).

يشكّل مسلمو كندا مجتمعاً متنوعاً جداً من حيث الطوائف، الجنسيّات، الأصول العرقية، التوجّهات السياسيّة، الالتزام الديني والانتماء اللغوي، غير أنّ "هويّتهم الدينيّة سيطرت على كافة الهويّات الثقافيّة أو الاثنيّة لبلاد المنشأ، كما طمست التعددية الايديولوجيّة والسياسيّة التي نصادفها ضمن المجتمعات الإسلاميّة في كافة أنحاء العالم. ففي السياق الكندي، سواء كان هؤلاء الأشخاص مواطنين كنديين أم لا، يتمّ التوجه إلى المهاجرين من البلاد الاسلاميّة في الخطابات الاعلاميّة على أنّهم مسلمون قبل أن يكونوا منتمين إلى هذا البلد أو ذاك" (Antoniou ، 2008، ص 13-14).

لبنانيو كندا

صحيح أنّ الهجرة إلى كندا شبيهة من حيث الشكل بالهجرة إلى الولايات المتحدة الاميريكية، غير أنّها في الحقيقة مختلفة تماماً عنها، نظراً إلى خصائص التعددية الثقافيّة الكنديّة، ثنائيّة اللغة في البلاد، الاختلاط الاثني، والعربي والديني للمهاجرين، والعلاقات مع المجتمع المستقبل. (Antoniou 2010).

مرّت الهجرة اللبنانيّة بعدة مراحل (1882-1945، 1945-1975، 1975-2000، 2000 حتّى يومنا هذا). تضمنت الدوافع الأساسيّة للهجرة: إغراءات عيش حياة أفضل في العالم الجديد، متابعة الدروس، هرباً من الضائقة الاقتصادية والنزاعات الطائفيّة وانعدام الاستقرار السياسي، لمّ شمل العائلات، الخ.

وكان اللبناني ابراهيم أبو نادر أوّل المهاجرين الواصلين إلى كندا في العام 1882، ما كان يعتبره الكنديون حينها "بلاد الشام". تبعه سليم إلياس أشقر، جوزيف جابوي وابنه. في العام 1885، بلغ عدد المهاجرين خمسين شخصاً، ما تمّ اعتباره "هجرة تسلسليّة" migration en chaîne، وهو مفهوم يطبع الهجرة اللبنانيّة حتّى يومنا هذا (Centre d'Histoire de Montréal، 2016-2017).

عدد السكّان الحالي

وفقاً للإحصاء الأخير الذي أجري في العام 2016، تعدّ الجالية اللبنانيّة في كندا 219,555 شخصاً. الدراسة الوحيدة التي تعطينا أرقاماً واضحة عن الجالية اللبنانيّة في كندا تعود للعام 2007 ومن أبرز ما جاء فيها أن "أغلبيّة الكنديّين من أصول لبنانيّة يشعرون بانتماء عميق إلى كندا". أمّا الدراسة الأحدث فهي تُعنى فقط بلبنانيّ مقاطعة كيبيك وتعود للعام 2011. ووفقاً لهذه الدراسة، بلغ عدد اللبنانيّين الكنديّين في المقاطعة 70.200 شخص، %24.85 منهم من المسلمين (Gouvernement du Québec، 2014).

تحديات الشباب اللبناني المسلم

صحيح أنّ المجتمع اللبناني هو أحد المجتمعات القليلة التي لم تعرف التطرّف أو الأسلمة، وهو يشهد عمليّة اندماج مرنة وإيجابيّة في الحياة العامة الكندية، بيد أنّ أعضائه يواجهون تحديات جسماً أهمها استمرار وجود جهل للإسلام وتزايد اللغظ بشأن أسلوب عيش وطريقة تفكير المسلمين. سأقتصر في هذا العرض على أكثر التحديات التي أوردها لي أبناء الجالية في مختلف مدن مقاطعتي اونتاريو وكيبيك طيلة فترة أبحاثي الممتدة منذ 2009 حتى اليوم.

■ 1. التعلّق بالوطن الأم

يعرّف اللبنانيّون عن أنفسهم على أنّهم لبنانيّون كنديّون، ويظهرون تعلّقاً شديداً بموطنهم الأصلي والبلد المضيف الذي يسمونه الموطن الثاني. لذا عمدوا إلى انشاء عددٍ كبيرٍ من المؤسّسات التي تعنى وتهتمّ بتعزيز الهويّة اللبنانية من خلال برامج ونشاطات اجتماعيّة ثقافيّة مختلفة، على سبيل المثال "فريق الهوكي اللبناني النسائي" Lebanese women hockey team، "المدرسة الكنديّة للرقص اللبناني" Canadian school of Lebanese dance، "المهرجان اللبناني" lebanese festival، فرقة "فرسان لبنان" les chevaliers du Liban "نادي الشابات

اللبناني " Girls Youth club ، انتخابات ملكة جمال الاغتراب في كندا الخ...

هذا التعلّق يحمل دلالات قويّة ورسائل سياسيّة عميقة، على سبيل المثال التظاهر تضامناً مع القضية الفلسطينية أو ضدّ الاعتداءات الاسرائيليّة على لبنان، مع علم اللبنانيين المسبق بموقف الحكومة الكنديّة تجاه إسرائيل وحزب الله. يهتمّ الشباب بالسياسة وتتواجد كلّ الأحزاب السياسيّة في كافة المقاطعات الكنديّة: تيار المستقبل، حزب الكتائب اللبنانية، حزب القوّات اللبنانيّة، التيار الوطني الحرّ، جمعيّة الرسالة الكنديّة اللبنانيّة، الجمعيّة اللبنانيّة الكنديّة التقدميّة، والحزب السوري القومي الاجتماعي، ما عدا حزب الله الوارد اسمه على لأئحة المجموعات الإرهابيّة منذ 10/12/2012 (Sécurité Publique Canada ، 2019)

يتعاطف الشباب اللبناني أيضاً بشكل كبير مع مجموعاتهم الدينيّة. فالسنّة والشيعه حريصون جداً على الحفاظ على إرثهم الثقافي والديني، ويعتبرون كلّ محاولة للاندماج التام بالمجتمع الكندي كتهديد محتمل بطمس هويّتهم الدينية. ولكنهم في الوقت ذاته يعون ضرورة الانصهار بالوطن الثاني كمواطنين كاملين، من هنا حرصهم على إنشاء المدارس الدينية ودور العبادة والقيام بمختلف النشاطات التوعوية الدينية..

علينا ألا ننسى أيضاً الدور الأساسي الذي تلعبه اللغة الأمّ، التي غير أنّها ناقلة للثقافة، هي أداة أساسيّة للحفاظ على الهوية.. لهذا السبب تؤمّن كلّ المؤسسات الاجتماعيّة العربيّة ومرافق العبادة دروساً باللغة العربية.

■ 2. التغلّب على الاسلاموفوبيا

إنّ عودة القضية الدينيّة إلى المجال العام والنقاشات المتعلّقة بالتنوّع والحرية الدينيّة تُقلق الكنديين الذين كانوا يعتقدون أنّه عقب "الثورة الهادئة" révolution tranquille في الستينيّات، لن تعود الديانة لتلعب دور المحرّك الأساسي للديناميّة الاجتماعيّة الكنديّة.

من المؤكّد أن اعتماد "الميثاق الكندي للحقوق والحريّات" charte canadienne des droits et libertés سرّع من علمنة المجتمع الكندي، علمنة إيجابيّة شاملة، بما أنّ الدولة تقف على مسافة متساوية من كلّ الديانات وتشجّع على مشاركتها واندماجها الكليّ في الحياة الاجتماعيّة الكنديّة. في الشكل كندا بلد

علماني، لكن في العمق، تبقى متأثرة بشدّة بالقيم الدينيّة. وقد أظهرت دراسة أجرتها شركة "أيبوس" IPSOS العالمية أنّ الكنديين يبالغون في تقييم عدد المسلمين في بلادهم، فهم يعتقدون أنّهم يشكّلون 17% في حين أنهم في الحقيقة لا يشكّلون إلّا 3.2% من الشعب (Journal Métro ، 2016).

لوحظ وجود الإسلام في كندا في العام 1994 مع النقاش الذي نشأ بشأن الحجاب الإسلامي في مدارس كيبيك. عقب ذلك، شهد تاريخ هذا المجتمع عدداً من الحوادث، على سبيل المثال "التقرير عن اتجاهات الرأي العام الكندي" Report on Trends in Canadian Public Opinion في العام 2006، والتقرير الوطني عن الزيجات القسريّة في العام 2010 Rapport National sur les Mariages Forcés، والاعتراض على ارتداء النقاب أمام المحكمة العليا في العام 2015، ورفض افتتاح مرفق ديني في مدينة Ahuntsic في العام 2016، ورمي رأس خنزير أمام مسجد في كيبيك، بالإضافة إلى الاعتداءات المسلّحة على مسجد في أونتااريو والتهديدات التي تعرّض لها النائب الليبرالي عمر الغبرا Omar Alghabra على مواقع التواصل الاجتماعي والتهديدات بالتفجيرات التي تعرّض لها طلاب مسلمون في جامعة Concordia الخ... وأخرها الهجوم على المركز الإسلامي في كيبيك centre islamique de Québec في العام 2017 ... (NCCM 2016)

يبقى ارتداء الحجاب الهدف الأوّل للأفعال النابعة من كره الإسلام، تتبعه المرافق الدينيّة. الحجاب هو بصمة هويّة بامتياز وقاعدة اجتماعيّة، دينيّة وعلائقيّة. يحمل حجاب الشابات اللبانيّات الكنديّات عدة رمزيّات دينيّة (رسالة للمجتمع الكندي)، مذهبيّة (رسالة للمجتمعات العربيّة) وأخلاقيّة (رسالة للمجتمع اللواتي ينتمين إليه).

يبقى الحجاب المسألة الأكثر اثاراً للجدل في كندا، حيث غالباً ما يعتبر رمزاً لخضوع المرأة المسلمة وتهديداً لمفهوم المساواة بينها وبين الرجل.

من المؤسف أنه ليس بإمكاننا الاطلاع على أي نصوص أو دراسات رسمية تعنى بشؤون المرأة المسلمة في كندا كون الإحصاءات الرسمية تركز على حاجات الرجال والعائلات دون التطرّق إلى الحاجات الشخصيّة للمرأة ما يحرمنا من رؤية مختلفة للهجرة. للمجتمع المضيف، لعمليات الاندماج الثقافي، للحفاظ على الهوية إلخ... (Tawil ، 2018، ص. 122)

■ 3. الأغذية الحلال

يُظهر الإسلام الكندي، سواء كان منحدرًا من الهجرة أم لا، صرامة كبيرة في موضوع ممارسات الطهو واستهلاك الطعام، لأنّ الغذاء في الإسلام يُعتبر أحد السبل التي يرتفع بها المؤمن روحياً. وفي حين يدافع الكثير من الكنديين عن الخصائص الإثنية لمختلف مطابخ العالم العربي، يجد فيها بعضهم تهديداً للهويّة القوميّة لا سيما عندما يتعلق الأمر بالأطعمة الحلال.

ينتشر التباس كبير بين الكنديين بشأن مفهوم الطعام الحلال والكوشرKasher. لا سيّما وأنّه "في دليل توصيف الأطعمة والدعايات الخاصة بها" guide d'étiquetage et de publicité sur les aliments الذي نشرته الوكالة الكنديّة لمراقبة الأغذية ACIA Agence Canadienne d'Inspection des Aliments. لم يتمّ ذكر أيّ معلومة عن المنتجات الحلال، في حين يقدّم الدليل تفسيرات كثيرة بشأن منتجات الكوشر. يتمّ نقل هذا الالتباس إلى الشباب المسلم، بشكل خاص من خلال مطاعم المدارس والجامعات التي تسوّق المنتجين على أنّهما منتج واحد.

أخطر دراسة كانت مقالاً صحفياً للكاتب الكندي ستيفان دوسو Stephan Dussault لصحيفة Le Journal de Montréal سنة 2015 حيث أورد في تحقيق أجراه على عينة من 25 مطعمًا أنه التباس على 13 طبّاخاً الفرق بين لحم العجل ولحم الخنزير.

يبقى على المسلمين الانتباه قدر الامكان وشراء المنتجات الموافق عليها من السلطات الدينيّة والتي تحمل دمغتها.

■ 4. الحياة الجنسيّة

وفقاً لتقرير عيادة جنوب آسيا القانونيّة South Asian Legal Clinic، تمّ الإبلاغ عن 219 زواجاً قسرياً بين العاميين 2010 و2012 في أوناريو فقط، تشمل في معظمها المجتمع المسلم. غير أنّ التقرير لم يحدّد الهويّة الإثنيّة لهذه الحالات.

يتحدث "التقرير عن ممارسات الزواج القسري في كندا" Rapport sur la Pratique des Mariage Forcés au Canada، هذه المسألة المثيرة للجدل، ويذكر عدّة أسباب تبرّر وجود الزيجات القصريّة أو المدبّرة في كندا (Ministère de la Justice)

الإشارة إلى أنّ اللبنانيين يؤيّدون الزيجات ضمن الجماعة الواحدة:

- لأنّ الزواج فعل اجتماعي ومسألة عائلية.
- لحماية الشباب.
- لتفادي الضغوط التي تمارسها العائلة والمحيط الاجتماعي.
- من أجل إطالة العلاقات مع الوطن الأمّ.
- للتحكّم بالحياة الجنسية، بشكل خاص حياة النساء الجنسيّة.
- لتجنّب تبعات حمل من خارج الزواج.
- لإنقاذ شرف العائلة لأنّ عذريّة الفتاة تبقى موضوعاً محرّماً.

تجدد الإشارة إلى أن المجتمعات الإسلامية ومنها المسلمون اللبنانيون يعرفون عمليّات إعادة بناء غشاء البكارة (Hymenoplastie). وتُعتبر مدينة تورونتو Toronto وجهة مفضّلة لهذا النوع من العمليّات. (La Gazette des Femmes, 2014).

موضوع آخر مثير للجدل هو من دون أدنى شكّ المثليّة الجنسيّة. وإعلان المثليّة بالنسبة للمثليّين اللبنانيّين ليس بالمسألة السهلة لأنهم يحملون محرّماً مضاعفاً: كونهم عرباً ومسلمين.

يرتاد اللبنانيّون بامتياز مركز المثليين الأكثر شهرةً في أميركا الشماليّة، Le Village في مدينة مونتريال، الذي لا يُعتبر على الإطلاق نطاقاً إدارياً أو جغرافياً. بل مساحة اجتماعيّة. فيأخذ شارع مثليي الجنس شكلاً رباعي الأطراف ويمتدّ على مساحة كيلومتر وحوالي 15 تقاطعاً. بالإضافة إلى كونه شارعاً سكنياً، يعتبر Le Village شارعاً سياحياً يتضمّن أنواعاً مختلفة من الحانات، ونوادي العري ومراكز السونا والمقاهي والنوادي الليلية... وبهدف عدم تحوّلّه إلى حي مخصّص للمثليّين Ghetto- Gay، قامت الحكومة الكنديّة والبلديّة بافتتاح عدد من مراكز الخدمات الاجتماعيّة العامة والمسرح الوطني.

تقوم كلّ المدن الكنديّة بتنظيم استعراض المثليين سنوياً. وتقوم مؤسسة حلم اللبنانيّة بالمشاركة فيه بشكل دائم في مونتريال.

■ 5. فرص الحصول على خدمات الرعاية الصحية

في الوقت الحالي، تواجه كندا نظاماً صحياً يُلقى بأعباء كبيرة على الميزانية الفدرالية وميزانيات المقاطعات من دون أن يرتقي إلى مستوى الخدمات المطلوبة والمنشودة. تشغل كندا المرتبة الثالثة عشرة من ناحية أداء نظامها الصحي. وعلى مقياس للكفاءة يتراوح بين واحد (سبّئ) إلى تسعة (ممتاز)، حققت كندا علامة متوسطة، (خمسة) لا تُناسب الإنجازات التي بلغها هذا البلد الرائد في المجال الثقافي والتعليمي والاقتصادي والتكنولوجي والعسكري (EIU، 2014).

تعمل الحكومة الفدرالية باستمرار على تحسين وتطوير بنيتها التحتية لكنها تواجه مشاكل عديدة :

- لا تزال بعض المجتمعات محرومة، منها "الأقليات الظاهرة" التي يبقى الشاغل الأساسي لها هو العثور على طبيب عائلة ويمكن أن يدوم الانتظار لأشهر وحتى لسنوات. ولمعالجة المسألة، وضعت الحكومة الفدرالية بعض الترتيبات المؤقتة على سبيل المثال برنامجاً "Medscheck" أو "Equipe"، "Pharmaconsult"، "Télésanté Ontario"، "Santé Famille". لكن تبقى إمكانية الوصول إليها محدودة باللغة وشروط الإقامة.

- نظراً لفترة الانتظار الطويلة التي تفصل ما بين معالجة السجلات الطبية وإصدار تأشيرة الإقامة الدائمة إلى كندا، تعجز مكاتب الهجرة عن مراقبة أو عن التحكم بأحوال المهاجرين الصحية ما يحول دون أخذ تدابير وقائية، وهذا يبرر سبب وصول بعض المهاجرين إلى كندا بصحة سيئة ومنهم قلة من اللبنانيين.

- لا يغطّي التأمين القومي كلّ خدمات العناية، ما يضطرّ المهاجرين والمواطنين إلى منح أنفسهم بوالص تأمين خاصة لتغطية النقص في الخدمات وهذا أمر باهظ التكلفة.

- يمكن للحواجز اللغوية أن تعيق عمل الأطباء.

7. تقييم الشهادات الأجنبية

التحدّي الأساسي الذي يواجهه كلّ مهاجر عند وصوله إلى كندا هو الاعتراف بشهادته والمهارات المكتسبة للاندماج بسرعة في سوق العمل أو للتسجيل في مختلف المدارس والكلّيّات والجامعات الكندية.

تقوم عدّة هيئات بتقييم المهارات الأجنبية ولكن مقابل تكاليف باهظة. في المقاطعات الإنكليزيّة، تهتمّ عدّة هيئات بالتقييم الأكاديمي والمهني مثال:

International Qualifications Assessment Service-IQAS, World Education Services, International Credential Evaluation Service

تتمنّع مقاطعة كيبيك بنظام تقييم خاص بها، وتهتمّ هيئة التوظيف في كيبيك Employi- Québec بهذا الأمر.

سياسات الاندماج الحكومية

لم تقف الحكومة الكندية ساكنة أمام الصعاب التي تواجهها مختلف الأطياف الإثنية والعرقية في البلاد. فكان للجالية العربية والمسلمة عامة وللبنانيين خاصة، التفاتات مهمّة أبرزها: مجسمات ثقافية كمجسم دالت Daleth وهو التفاتة خاصة للوجود اللبناني في مونتريال، تكريس يوم من أيام شهر شباط للإضاءة على رمزية الحجاب وتكريس شهر تشرين الأول للاحتفال بالتراث الإسلامي وشهر تشرين الثاني للاحتفال بالتراث اللبناني. كما وسجلت كندا لأول مرة في تاريخها بروز محجبات على شاشات التلفزة الحكومية وفي الحملات الدعائية الرسمية وتبوّعهنّ مراكز مهمة في البرلمان الفيديريالي والسلك العسكري والأمني. كما وعينت اللبنانية منى نمر مستشارة في معهد الأبحاث العلمي الوطني الخ...

ولعلّ أبرز ما قدمته كندا للمسلمين على صعيد العالم أجمع هو قانون مكافحة الإسلاموفوبيا M-103.

رؤية مستقبلية

وفقاً لتوقعات إحصائيات كندا للعام 2036:

- سيشكّل المهاجرون ما بين 24.5% و30% من مجموع عدد السكّان في كندا.

- سيبلغ معدّل السكّان الذين لا يعتبرون اللغتين الفرنسية والانكليزيّة لغتهم الأمّ ما بين 26.1 و%30 .
- سيبلغ معدّل الأشخاص الذين ينتمون إلى الأقليّات الظاهرة ما بين %34.7 و %39.9 من السكّان. أمّا "الأقليّات الظاهرة" الذين سيشهدون النموّ الأسرع في أعدادهم فهم العرب، الفيليبينيّون وسكّان آسيا الغربيّة.
- سيثكّل السكّان غير المسيحيّين ما بين 13 و%16، وسيسجل المسلمون، الهندوس والسيخ ازدياداً سريعاً في أعدادهم.
- ستبقى كندا رائدة في مجال الهجرة العالميّة.

Bibliographie

- Antonius R. (2008): L'islam au Québec : les complexités d'un processus de racisation. [id.erudit.org/iderudit/1002505ar](https://doi.org/10.7202/1002505ar) <https://doi.org/10.7202/1002505ar>
- Antonius R. (2010): Le Journal de Montréal et les frontières symboliques avec les musulmans, in Entre médias et médiations : mises en scène du rapport à l'altérité, dir. Gohard-Radenkovic A. et et D. Acklin Muji, Paris, L'Harmattan, 2010.
- Banque Mondiale (2016)
- Centre d'Histoire de Montréal (2016-2017). Dossier Mémoires d'immigration.
- <https://ville.montreal.qc.ca/memoiresdesmontrealais/les-communautaires-moyen-orientales-montrealaises>
- Economist Intelligence Unit (2014). Healthcare Outcomes Index.
- www.medigo.com/blog/about-us/mieux-depenser-pour-mieux-soigner/
- Gouvernement du Québec (2014). Portrait statistique de la population d'origine ethnique libanaise au Québec en 2011.
- <http://www.quebecinterculturel.gouv.qc.ca/publications/fr/diversite-ethnoculturelle/com-libanaise-2011.pdf>.
- Green N. (2002). Repenser les migrations, Paris, PUF.
- Journal Métro (2016) : Les canadiens surévaluent la population musulmane, indique un sondage.

- <http://journalmetro.com/actualites/national/1064881/les-canadiens-surevaluent-la-population-musulmane-indique-un-sondage/>.
- La Gazette des femmes (2014). Virginité à recoudre.
- www.gazettedesfemmes.ca/10229/virginite-a-recoudre/
- Ministère de la justice Canada (2008). Rapport sur la pratique des mariages forcés au Canada : entrevues avec des intervenant(e)s de première ligne. Une recherche exploratoire menée à Montréal et à Toronto en 2008.
- https://www.justice.gc.ca/fra/pr-rp/jp-cj/vf-fv/mf-fm/mf_fra.pdf
- Mouvement Républicain du Québec. La loi sur le multiculturalisme canadien (2019).
- www.mouvement-quebec.com/pages/lois-et-constitutions/loi-sur-le-multiculturalisme-canadien-l-r-c-1985-ch-24-4e-suppl.html
- National Council Of Canadian Muslims (2016). ODIHR Hate Crime Report.
- <https://www.nccm.ca/wp-content/uploads/2017/07/2016-Hate-Crime-Report-National-Council-of-Canadian-Muslims.pdf>
- Radio Canada internationale : les différentes vagues d'immigration arabe.
- <http://www.rcinet.ca/canada-arabes/2015/03/25/les-differentes-vagues-dimmigration-arabe/>
- Rosental, P-A (1990). Maintien/rupture : un nouveau couple pour l'analyse des migrations, Annales. Économies, Sociétés, Civilisations, volume 45, n° 6, pp. 1403-143. www.persee.fr/doc/ahess_0395-2649_1990_num_45_6_278916.
- Sécurité publique Canada (2019). Lutte contre le terrorisme.
- www.securitepublique.gc.ca/cnt/ntnl-scrt/cntr-trrrsm/lstd-ntts/crrnt-lstd-ntts-fr.aspx#2027.
- Statistiques Canada (2007-2011-2016)
- Statistiques Canada (2017). Immigration et diversité: projections de la population du Canada et de ses régions, 2011 à 2036. Catalogue No 91-551-X.
- Tawil N. (2018). Les défis de la jeunesse chiite immigrée à Ottawa. Travaux et Jours, N°93, Automne 2018, Ed. USJ, Liban.



Torla, Huesca. Spain

المنهجيات الكمية والكيفية في العلوم الإنسانية والاجتماعية

محمد شياً

ما هو البحث المنهجي؟

البحث منهجياً وعلمياً research يعني أن نبحث ثم نبحث مرة ثانية، أو من جديد، على نحو أعمق وأفضل. هذا هو الفرق بين يفتش search ويبحث re-search.

كل طرائق البحث مقبولة، بل وعلمية، حين تكون (1) منهجية أي: موضوعية، منظمة، منسقة، نزيهة، مستقلة عن إرادة الباحث ورغباته، و(2) حين يمكن التحقق من نتائجها، على نحو مباشر أو غير مباشر، إما منطقياً (كما في العلوم الرياضية) أو وضعياً (كما في العلوم التجريبية والكثير من العلوم الاجتماعية).

إن نتائج البحث المنهجي تكون "علمية"، بمعزل عن تأكيدها للفرضيات التي بدأنا بها البحث، أو دحضها لها. لا فرق. علمية النتائج شيء، وصدقيتها شيء آخر. هي علمية إذا كانت الخطوات التي اتبعناها منهجية وموضوعية، أما صدقيتها (وربما صحتها أيضاً) فشيء آخر كلياً. المعيار الحاسم هنا هي خطوة "التحقق من النتائج" التي كنا بلغناها بنتيجة البحث. هي وحدها ما يؤكد الفرضية التي بدأ البحث بها أو كانت الغاية منه، أو يدحضها. أما النتيجة التي يمكن التحقق منها، أي غير القابلة للتحقق الموضوعي، أو للتكذيب على وجه الدقة، فهي ليست نتائج علمية، أو جزءاً من العلم. وقد أفاض الفيلسوف النمساوي كارل بوبر في شرح هذا الشرط وفق المبدأ الذي اشتقه وأسماه "قابلية التكذيب": falsifiability.

لماذا نبحث، منهجياً وعلمياً؟

الهدف من هذه المقالة هو مساعدة المعنيين بالأبحاث، أي الذين يمارسون البحث العلمي فعلاً، كي يمسكوا بناصية المنهج العلمي، وأن يميّزوا، وهذا أمر جديد، البحث الكيفي من البحث الكمي، فيتاح لهم فهم، وتصميم، وأدارة، أي بحث كيفي، في أي حقل من حقول العلوم الانسانية والاجتماعية بعامة: في التربية، في

علم الأخلاق، وعلم النفس الاجتماعي، في البحوث الدينية، في السوسيولوجيا (وبخاصة في الاثنوغرافيا، والأنثروبولوجيا، والعمل الاجتماعي، إلخ)، والعمل من ثمة على واحد أو أكثر، معاً، من الباراديمات البحثية المناسبة.

المنهج العلمي ومقدماته الفلسفية:

لا فرار من المنهج في العلم، كل علم، من دون منهج ومنهجية عمل، هي فوضى، خبط عشواء قد تنجح مرة مصادفة، أو بفعل تكرار طويل وجهود ضخمة، ولكن في الغالب هي لا تنجح. وأحسن توصيف لغياب المنهج هو ما قاله ديكرت قبل 400 سنة في كتابه المختصر "مقالة في المنهج": مثل الذي يفكر من دون منهج مثل الذي يدور طوال النهار يمّي النفس بالعثور على شيء سقط من عابر سبيل وهو يعتقد أنه يعمل. كذلك، للمنهج مقدمات نظرية وفلسفية، يستحسن العودة إليها قبل الانتقال إلى التطبيق، وبمقدار ما ندرك من المقدمات والأسس تلك نُمسك على نحو أفضل بناصية المنهج العلمي. إذ علينا معرفة الأسس الفلسفية التي يقوم عليها المنهج في العلوم (أكانت وضعية-Positivistic أم إنسانية واجتماعية)، مع التذكير أن المنهجيات العامة هي فرع من فروع الفلسفة، وهي تتحول منهجيات خاصة في مجال هذا العلم أو ذاك.

أولى المقدمات أو الأسس الفلسفية، هي أننا في المناهج الاستقرائية-Inductive Methods (والتجريبية جزء منها) نتجه من الجزئي إلى الكلي (من حيث المبدأ) بعكس المناهج الاستنباطية Deductive Methods من الكلي إلى الكلي أو من الكلي إلى الجزئي.

ثاني المقدمات، أنه إذا وضعنا جانباً المناهج المنطقية والصورية المستخدمة في العلوم الرياضية وفروعها، فإن كل علم (العلوم التجريبية والاختبارية بالدرجة الأولى والعلوم الإنسانية والاجتماعية بالدرجة الثانية) ملزم أن يبدأ من مادة أو موضوع يمكن ملاحظته، مباشرة أو بالواسطة، ولذلك يمكن قياسه وتكميمه على نحو دقيق تقريباً (كما في العلوم الوضعية) أو على نحو موضوعي شبه دقيق (كما في العلوم الإنسانية والاجتماعية).

ثالث المقدمات، أن التطور المنهجي الجديد الذي بدأ مع النصف الثاني للقرن العشرين، وابتعد عن التجريب والاختبار كمسلمة أولية، (وهو جوهر المنهج

الكيفي) بات يبدأ المعطى النظري، الفرضيات أو التيوريمات theorems، ومنها يعود إلى الوقائع ليختبر صدقيتها أو كذبها.

رابع المقدمات، أن المقاربة العلمية باتت تجري للمادة أو الموضوع على أساس براغماتيكي وليس تجريبياً بحتاً كما كان الأمر في السابق. البراغماتية تعني هنا استخدام كل ما يؤدي الغرض، أي كل ما يفيد في الوصول إلى نتائج ذات قبول وصدقية عالية - وليست مطلقة بالضرورة - دونما أي اعتبار مسبق يسمح باستعمال الأداة أو التقنية هذه أو يمنع استخدام تلك.

خامس المقدمات، ولعلها يجب أن تكون في الخاتمة، وهي أن لا منهج يستخدم براديم منهجي واحد دون سواه. لا ضرورة لافتراض التناقض بين المناهج، (وتحديداً بين المنهج الكمي والمنهج الكيفي)، أو كما يقول علماء المنهجيات "حرب البراديمات". المناهج في الواقع تكمل بعضها البعض.

والمقدمة الفلسفية السادسة والأخيرة، هنا، هي دخول العامل الأخلاقي حديثاً كمكوّن إضافي للمنهج العلمي، أي عدم جواز التضحية بالعامل الأخلاقي تحت أية ذريعة.

هذا هو المعنى الحقيقي لاعتراض فايرباند من قبله وراصل وآخرين، ومؤداه عدم الاعتقاد أن المنهج أداة سحرية تستطيع اجتراح العجائب لجهة النتائج والاستنتاجات. هي ليست أكثر من بوصلة نحو الاتجاه الصحيح؛ أما كامل الطريق فعلى مسؤولية السالك، أي الباحث، وما يمتلكه من ذكاء، ومن خبرات حقلية سابقة؛ شرطان ضروريان لكل باحث ناجح.

في العلم لا فرار من المنهج إذاً، وكل عمل يسعى لبلوغ نتيجة ما من دون منهج أو منهجية هو مضيعة للوقت والجهد والطاقات الفردية، وإذا تمكن من تحقيق شيء ما فاستثناء وليس قاعدة. حتى فايرباند الفيلسوف ما بعد الحداثوي حين كتب "Against Method"، فهو لا يلغي المنهج، بل حاول أن يخفف، وهو محق، من فكرة تقديس المنهج، واعتباره كافياً بحد ذاته لإنتاج بحث والوصول إلى نتائج. وهو رأي برتراند راصل أيضاً. وهو تحفظ صحيح. المنهج ليس وصفاً 'كتاب طبخ' Cook Book، أو 'روشتة طبيب'، تشتريها وانتهى الأمر -

أكثر من ذلك، يجب التشديد على أن النتيجة التي قد يتوصل إليها العمل البحثي (وبخاصة في مجال اكتشاف أمر جديد أو علاقة جديدة) ليست بالضرورة خلاصة

ميكانيكية تلي التطبيق الدقيق لشروط المنهج والممارسة المنهجية: إن أكثر من نصف العمل البحثي المنهجي الصحيح لا يوصل إلى النتيجة المنتظرة. كيف يتم بلوغ النتيجة (أو الكشف) إذا؟ لا أحد لديه الجواب الشافي. فخطوة الاكتشاف التي يجب أن تعقب اتباع الخطوات المنتهية الصحيحة هي ذاتية في الغالب، إذ قد تكون متاحة لباحث وغير متاحة لباحث آخر. وتلعب الخبرة العملية الميدانية الدور الحاسم في هذا المجال (وأحياناً تلعب المصادفة والحظ الجيد بعض الدور).

وإلى شرط الاستخلاص أو الاستنتاج العلمي، يضاف شرط أخير بالأهمية نفسها، وهو شرط التحقق الصحيح من النتيجة أو النتائج التي بلغناها بواسطة البحث المنهجي. وهناك أساليب عدة للتحقق الصحيح من النتائج التي نبلغها (وقد بينتها كلها في كتابي أعلاه حول المناهج). ولكني أشير هنا إلى واحدة منها بالغة الأهمية وهو منهج "قابلية التّكذيب" Falsification الذي اقترحه الفيلسوف النمساوي كارل بوبر أواسط القرن الماضي.

لكن الاستدراك الصحيح أعلاه، يجب الانتباه جيداً، لا يقلل أبداً من أهمية المنهج، ومن عدم القدرة على بناء أية نتيجة علمية من دون منهج بحث علمي. المنهج دائماً، ولكن دون مبالغات. وعليه، طالما لا فرار من المنهج والعمل المنهجي، فلنعمل بالتالي على إتقان شروطه العامة، وعلى تكييف شروطه الخاصة وفق حقل البحث، أي الموضوع، والذي يفرض المنهج والأدوات والتقنيات التي تناسب وطبيعته.

كيف نبحت؟ تصميم البحث المنهجي:

- إذا أخذنا بترسيمة دركهايم، وآخرين، يتقدم البحث المنهجي، باختصار، كما يلي:
- تحديد المشكلة: ملاحظة ظاهرة ما تثير فكرة معينة (ولها غير مصدر وسبب)،
- التفكير في تفسير محتمل
- إخضاع التفسير لاستكشاف أولي، وذلك لمزيد من المراقبة والمراجعة، إذا تبين أنه منطقي وقابل للبحث، يتحول إلى فرضية يرسم البحث،
- وضع خطة لجمع المعطيات من خلال الأدوات والتقنيات المناسبة،
- جمع المعطيات وحفظها بطريقة منهجية ذات صدقية،
- تحليل المعطيات المجمعة بطرائق عدة،
- التحقق من الفرضية أو التفسير المقترح على محك المعطيات، ونتائجها،
- استخلاص النتائج: تأكيد الفرضية أو دحضها

- التحقق من صدقية النتيجة، بإجراء ملاحظات وتجارب إضافية، سلبية غالباً، فإذا صمدت، تتحول إلى قانون.
- كتابة تقرير بالنتائج.
- (مع الانتباه أن لكل خطوة شروطها الداخلية، وهو ما سنتوقف عنده في نوعي المنهجيات، الكمي والكيفي).

المنهجيات الكميّة: Quantitative Methodologies

المنهجيات الكميّة هي تلك التي يُقترح تطبيقها في الحقول والموضوعات التي تتمتع بخصائص ثلاث: قابلية الملاحظة، سببية واضحة، وموضوعية عالية - ولا نقول تامة. الخصائص تلك هي ما يميّز موضوعات أو مواد العلوم التجريبية (على أن نضع جانباً العلوم الرياضية والمنطقية). وتبعاً لذلك يجري إطلاق إسم المناهج التجريبية (أو الإمبريقية) على تلك التي يُقترح أو يُمكن تطبيقها على مادة أو موضوعات العلوم تلك.

أولى المساهمات التاريخية في تصميم منهج تجريبي وضعي غير ذاتي هو ما قام فرنسيس بايكون في ثلاثينات القرن السابع عشر حين وضع قواعد علمية ملموسة لكيفية ملاحظة أو مراقبة ظاهرة ما على نحو موضوعي وعلمي، وقد وضع جداول لحضور الظاهرة، لغيابها، أو لحضورها في درجات، إلى شروط أخرى وضعت الأساس للمنهج الكمي التجريبي الحديث.

بعد مساهمة بايكون، تأتي مساهمة جون ستيوارت مل. وقد اقترح خمسة مناهج في أية مقارنة علمية كمية سببية لعلاقة ظاهرة بظاهرة أخرى: منهج الاتفاق، منهج الافتراق، منهج الاتفاق والافتراق معاً، منهج البواقي، ومنهج التغيرات المترافقة (أي سلسلتان من العلل والمعلولات).

أما تحويل مناهج البحث في العلوم الاجتماعية إلى مناهج علمية ذات نتائج موضوعية فهو بعض ما ابتكره أوغست كونت في أربعينيات القرن التاسع عشر، حين زعم - متأثراً بنجاحات العلوم الطبيعية ونتائجها شبه الدقيقة - أنه بالإمكان مقارنة الظاهرة الاجتماعية على نحو علمي كمي. وأهم من تابع الخط العلمي الكمي هذا هو كلود برنارد عند نهاية القرن التاسع عشر ومطلع العشرين.

تستخدم مناهج البحث الكمي في العلوم الطبيعية والاجتماعية وعلى نحو أقل في العلوم الانسانية (التاريخ، الفلسفة، الأخلاق، الدينيات، الفنون، إلخ).

أما تعريف منهج البحث الكمي فيجري باعتباره "البحث التجريبي المنهجي Systematic Empirical Research لظاهرة يمكن ملاحظتها على نحو ما-observabile، وتكميمها بواسطة أدوات إحصائية أو رياضية، أو بواسطة تقنيات الكمبيوتر".

هو أسلوب بحث موضوعي لدراسة معطى وضعي positivistic، لظاهرة طبيعية أو اجتماعية، يمكن ملاحظتها ومراقبتها وترجمة المراقبة تلك على نحو رقمي أو موضوعي إلى أقصى حد ممكن. بعد مراقبة الظاهرة في كل حالاتها المتاحة (وفق قواعد بايكون)، وجمع الحد الأقصى من المعطيات المتعلقة بها مع مراعاة أختلاف المكان والزمان والشروط المحيطة وحتى أختلاف الشخص الباحث،

يجري تصنيف المعطيات وتحليلها وفق أنماط أو موديلات إحصائية، أو رياضية، ويغدو بالإمكان تقديم تفسير أو فرضية تتصل بما نحاول الوصول إليه في ما خص الظاهرة موضوع البحث.

ثم نخضع التفسير المقترح أو الفرضية التي جرت صياغتها لكل أنواع الاختبار الممكنة، مع احتمال تأكيدها أو دحضها، وقبل أن تتحول إلى تعميم أو نظرية. إن عملية التحقق تلك هي عملية نفي أو دحض متعمد بهدف استنفاد كل ما يمكن أن ينال من صدقية النتيجة التي بلغناها. فإذا صمدت النتيجة أمام كل الاختبارات والتحديات التي تعرّضت لها، فبالإمكان اعتبارها مقبولة acceptable بل صادقة طالما لم تظهر معطيات أو نظريات جديدة تدحض صدقيتها أي مكذّبة لها. وعليه فكل النظريات في العلوم الطبيعية والاجتماعية هي إجابات مؤقتة بانتظار أن تأتي إجابة جديدة فتحلّ محلها. وهو معنى نسبية النتائج والتعميمات والنظريات في العلوم الإنسانية والاجتماعية.

على مستوى أدوات المنهج الكمي، القياس measurement هو الأداة الرئيسية التي تستخدمها مناهج البحث الكمية في ملاحظة وتكميم ظاهرة طبيعية أو اجتماعية ما، ولسبب بسيط وهو أن الظاهرة الوضعية (الطبيعية أو الاجتماعية) تسمح بذلك empirical phenomenon. وتبعاً لذلك بالإمكان صياغة تعبير كمي (رياضي، إحصائي، نسب، تعاقبي، متواليات، ...) يصف العلاقة بين ومتغير آخر، أو

بين متغير ومتغير آخر داخل الظاهرة نفسها. هذه العلاقات الخارجية في أشكالها المختلفة هي المعطيات الكمية Quantitative data التي يجب أن يجمعها الباحث، أو ما نسميها بخطوة جمع المعطيات، ليقوم بتحليلها لاحقاً.

وفي هذا الباب نقول أخيراً إن الكمي لا يستنبط الأفكار: هو فقط يؤكد أو يدحض فكرة ما (حصلنا عليها من مصادر مختلفة).

المنهجيات الكيفية: Qualitative Methodologies (أو النوعية كما نقول أحياناً)

ما أود التركيز عليه في هذه المقالة هو المناهج والمنهجيات الكيفية، لا الكمية.

أما السبب فلأن الدراسات التي تتناول هذا الباب من المنهجيات ليست وفيرة، مع أنها أقرب إلى المادة التي تتشكل منها العلوم الإنسانية وبعض العلوم الاجتماعية. إذ لكل علم، أو حقل اختصاص، مادته الخاصة. وطبيعة مادة العلم هي التي تحدد على نحو ما طبيعة المنهج والأدوات التي تلائم هذه المادة ومواصفاتها. إذ كيف نستخدم التجربة في حقل لا يمكن إخضاعه بسهولة للتجربة والاختبار. أو كيف نستخدم القياس أو الكم في موضوعات لا يمكن قياسها أو تكميمها. الأسباب غير الظاهرة لفعل اجتماعي أو مثلاً، قوة التقاليد والقيم كدافعين لسلوك فرد أو جماعة. هذه الصعوبات هي التي دفعت العلماء إلى طلب منهجيات مختلفة عما تعوّدناه تقليدياً، أو ما أطلق عليها: المنهجيات الكيفية المتميّزة عن المنهجيات الكمية. والفارق واضح، في الثانية الكم (أو الرقم) هو الأساس، أما في الأولى فالنوعية أو الكيفية هي الأساس.

البحث الكيفي في التعريف البسيط هو أي استخدام حسن التصميم لأدوات وتقنيات بحث (غير كمية أو رقمية) في مقارنة ظاهرة أو موضوع اجتماعي أو إنساني.

المناهج الكيفية مجال بحثي جديد تقريباً، انطلق ببطء في النصف الثاني من القرن العشرين، ثم تسارع تطوره في العقود الثلاثة الأخيرة، فبات له أدبياته، ومجلاته العلمية، ومؤتمراته، واختصاصيوه كذلك. وأدواته لم تستقر بعد، وهناك باستمرار كلام على أدوات وتقنيات جديدة تستخدم في المناهج الكيفية.

أما الحقول التي تستخدم المناهج الكيفية (كلياً أو جزئياً) فكثيرة ومنها بعض مجالات علم النفس (التحليل النفسي خصوصاً)، الانثربولوجيا، الاثنولوجيا،

العمل الاجتماعي، الدينيات، علم الأخلاق، الفنون، وكل حقل لا يمكن قياس أو تكميم ظواهره وموضوعاته ونتائجها بالتالي.

أنواع المناهج الكيفية كثيرة، متشعبة، وأحياناً غير محددة بدقة، وهي تزداد تشعباً، نظراً للوزن الشخصي الذي يلعبه الفرد الذي يمارس البحث الكيفي. ولكن على وجه الإجمال فإن التصميم الأولي للبحث الكيفي يتقدم عموماً وفق الترتيب التالي:

- مراجعة أدبيات المشكلة موضوع البحث
- تعيين الإطار النظري للبحث
- تحديد فرضيات البحث، بعد جولة استكشافية أولى pilot survey
- اختيار خطة البحث، وتحديد تقنيات جمع المعطيات بحسب المادة والموضوع والحالة.
- تحليل المعطيات المجمعة.
- مقاطعة النتائج على الفرضيات، وبلوغ بعض النتائج (مؤكدة أو مكذبة للفرضية).
- التحقق منها بالمزيد من التقاطع والترابط correlations والمقارنة والاختبارات المتنوعة.
- كتابة تقرير متقن (مع التنبيه لأية حساسيات أخلاقية كأن تجمع معطيات قسراً...).

أنواع المقاربات البحثية الكيفية الأكثر استخداماً في جمع المعطيات

من بين أنواع مقاربات وأدوات جمع المعطيات المتعددة، ومنها:

- الملاحظة بالمشاركة.
- المقابلة غير المصممة مسبقاً.
- تحليل الرموز والسميائيات بشكل عام.
- قراءة السيرة (لفرد أو جماعة).
- تحليل الخطاب، والنصوص والآثار المكتوبة أو الفنية.
- تحليل عناصر الثقافة الشفهية، إلخ...

تبدو تقنية 'دراسة الحالة' الأكثر استخداماً في العلوم الاجتماعية والتربوية.

وفي كل الحالات، وبخاصة في المنهج الكيفي، فإن من أولى وظائف الباحث وأياً يكن المنهج الذي سيستخدمه الاطلاع ما أمكن على أدبيات الموضوع، وتحديد معرفة الأبحاث السابقة حوله (لأن الأبحاث في الغالب عملية تواصل وتراكم)، والتركيز على الموضوع محط اهتمامه واختيار وحدة التحليل المناسبة مع المشكلة أو الظاهرة موضوع البحث. ثم جعل كل ذلك في إطار مسبق يمهد للبحث: إطار نظري يتضمن تحديداً واضحاً للمفاهيم.

كذلك من الضروري العمل على توفير أفضل صياغة للمشكلة ولفرضيات البحث. فالصياغة المنطقية الواضحة تساعد في اختيار خطة البحث المناسبة وفي اتخاذ القرارات المتعلقة بانتقاء العينة sample selection، وفي جمع المعطيات، وتحليلها، وهي الخطوات العملائية التي لا غنى عنها في إنجاز البحث. على وجه العموم، وبالإضافة من كل التقدم التقني الحاصل، هناك ثلاث تقنيات رئيسية في جمع المعطيات والمعلومات في أي منهج بحث كفي:

1. الملاحظة، والتي تتحول إلى مراقبة حين تصبح قصدية. والملاحظة تتدرج من مجرد ملاحظة عفوية عارضة إلى ملاحظة قصدية، حيث يكون الباحث مجهزاً بأدوات ضرورية للملاحظة وتسجيلها، من دفتر الملاحظات note book، إلى الوسائل التقنية الحديثة حين يكون ذلك ممكناً. وقد يكون تسجيل الملاحظة المباشرة ممكناً، بوجود مسافة ما، أو لاحقة، أن تكون بالمشاركة والانغماس في العملية البحثية - كما في البحوث الأنثروبولوجية والسيكولوجية.

2. المقابلة، وهي على أنواع كما هو معروف، ويمكن تصميمها في ضوء المشكلة موضوع البحث.

3. الوثائق. هي مصدر رئيسي للمعطيات في المنهج الكيفي. قد تكون مادية، يمكن ملاحظتها وتسجيلها، مكتوبة، أو شفاهية أحياناً، بقايا، أو لقي، أو بيانات وسجلات من كل نوع.

إلى الأدوات الثلاث أعلاه، نضيف:

لأن المطلوب في كل المقاربات جمع معطيات ذات صدقية تفي بالغرض من البحث (لجهة الوصف الموضوعي للظاهرة) بغية الوصول إلى نتائج ذات صدقية، يمكن الوثوق بها، والبناء عليها،

ولأن الموضوعات والمشكلات هي غالباً متشابكة، متداخلة، وعلى غير ما تظهر للوهلة الأولى، وبخاصة في البحوث النفسية والتربوية والسوسيولوجية والإنسانية.

تبدو تقنية دراسة الحالة case study الأكثر قدرة على تفكيك خيوط الظاهرة موضوع البحث في العلوم الاجتماعية والنفسية والتربوية. هي الأداة الأصلية المشتركة في كل مقارنة لموضوعات الميادين تلك، والباقي تنويع أو إضافة للأصل.

دراسة الحالة هي الأداة المثالية في لائحة طويلة من الأبحاث التي قد تتناول شخصاً، مؤسسة، جماعة صغيرة، مشروعاً، وحدة اجتماعية ما، برنامج ما، عملية قيد الإنجاز، أو تعثرت، أو مطلوب تقييمها. دراسة الحالة قديمة في الأصل وطبقت باستمرار منذ أرسطو، ثم بطريقة متقنة وواعية مع فرويد في معالجاته وتحليله النفسي. وهي لا تزال قيد الاستخدام وعلى نطاق واسع في العلوم النفسية التحليلية والتربوية.

في الغالب، دراسة الحالة لا تكتشف أمراً جديداً غير معروف كلياً من قبل. هي تؤكد أو تدحض فرضية مقترحة وصلت إلينا (أو من سوانا): حول حدث، واقعة، شروط محيطية، والعلاقات بينها. هي أداة رئيسية بيد عالم النفس أو عالم الاجتماع، على وجه الخصوص، في كل بحث كفي لتفسير سيرة، واقعة، بهدف فهم أفضل، ومعقّق، لظاهرة اجتماعية أو إنسانية معقدة في الغالب، وللإضاءة على سؤال يتعلق بها (لجهة سياقها، عناصرها، علاقاتها، وكل ما اتصل بـ 'كيف، و' لماذا'.

أداتها الأساسية: تحليل نصوص أو آثار محددة (أدبية، مادية، شفوية...)

كيف نطبّق تقنية دراسة الحالة؟ How we manage case study research?

يعتمد الجواب على نوع الحالة موضوع الدراسة. وهنا يمكن الحديث على نوعين من دراسة الحالة، الماكرو macro case study والمايكرو micro case study. الأقرب للبحث العلمي المنهجي هو طبعاً النوع الثاني. إذا كان موضوع البحث دراسة وعي المجتمع اللبناني لأهمية علم النفس التربوي وقابلية اعتماده في المناهج التربوية الثانوية وليس الجامعية فقط، فهذا بحث ماكرو. أما إذا كان موضوع البحث وصف وتفسير حالة محدد (مشكلات شخص، أو جماعة صغيرة)، فهذا بحث مايكرو. كمثال للنوع الأول، يمكن مراجعة بحث نشرته سنة 1995 حول قوة عامل اللغة الأجنبية في امتحان مادة علم النفس العام في البكالوريا اللبنانية في تحديد نسب النجاح والرسوب في الشهادة ككل على مستوى لبنان (أخذاً بعين الاعتبار المقاربة المقارنة بين المحافظات).

إذا ركزنا على مشكلة وفرضية من النوع الأول، ("علم النفس التربوي في المناهج اللبنانية، الواقع والتحديات" مثلاً)، يتقدم البحث، بعدما حددنا المشكلة والفرضية، من مراجعة واقع الحالة، أو أدبيات المشكلة المتوفرة على أوسع

نطاق ممكن، فوضع الإطار النظري لها (ماذا تعني، مفاهيمها، ..)، ثم القيام بجولة استكشافية على واقع الحالة، ثم تطبيق دراسة الحالة.

نتناول في الجولة الاستكشافية: الناس المعنيين، الأدوات والتقنيات، والخدمات أو الكفاءات المستهدفة.

في جمع المعطيات: نعتمد الأدبيات والوثائق والبيانات المتوفرة، نقوم بمسح لواقع الحالة وتحديدًا لحالات القصور والغياب.

بعد الوثائق مقابلات مع المعنيين إما لشرح ما هو موجود أو لتفسير أسباب غياب المادة أو الكفاءة المستهدفة.

وبعد ذلك تحليل المعطيات المجمعة وتفسيرها، أي إعطاء معنى أو سياق للمعطيات الجزئية. في تحليل المعطيات تظهر أهمية عامل جمع المعطيات وطريقة حفظها وتبويبها والإفادة منها. في التحليل نبدأ بالتصنيف، sorting، ثم مقاطعة المعطيات أو حكاها إما:

- من الداخل in examination (تحليل الحالة، تفكيك مكوناتها، تعيين العلاقات بين المكونات).

- أو من الخارج، cross examination، (مقارنة المكونات بمكونات من خارج الحالة موضوع البحث، أو مقارنة الحالة نفسها بحالة أخرى، لجهة الأدبيات، والنتائج).

نتناول دراسة الحالة هنا تقييم الوضع القائم لجهة المشكلة والفرضية، على نحو منهجي وتجريبي. والمسح الأولي مهم جداً لمعرفة قابلية الدراسة لأن تستكمل، ولإيضاح الفرضيات والأسئلة، والتدقيق فيها.

ويجري تحليل النتائج لاكتشاف العوامل المعيقة لتحقيق الفرضية: مثلاً، غياب الوعي الكافي، ثقافة تقليدية متناقلة، مصالِح أو مكاسب معينة، عدم وجود أنماط بسيطة واضحة لما هو مطلوب، وسواها. وهنا تكمن من جديد أهمية تقنية دراسة الحالة، إذ تستطيع بوسائل عدة تفكيك الخيوط المعقدة للمشكلة التي نقاربها، والتي لا تظهر في الدراسة أو المقاربة الكمية. يجري هنا تصميم أنماط أسئلة (في الاستبيان أو المقابلة). ما هي العوائق مثلاً بين الطلاب أنفسهم لجهة عدم وعيهم لأهمية المادة؟ العلاقة بين عدم الوعي والاستعداد لقبول التغيير؟ العلاقة بين مكونات الطلاب الثقافية ومواقفهم من التغيير؟ وما

النتيجة التي تستخلص من المعطيات المجمّعة لجهة عامل الطلاب. وهكذا في العوامل الأخرى: وعي الأساتذة وقدرتهم على تدريس المادة، وعي لجان وضع المناهج وكفاءتهم لتصميم هكذا مادة، قدرة لجان التقييم على ممارسة المادة ثم تقييم هذه الممارسة، مستوى تدريب مدرسي المادة، أصحاب القرار الأخير في الموضوع، وربما غيرها من العوامل كذلك.

هذه الأسئلة التفصيلية هي أجزاء مكونة من باراديمات أو أنماط تفسيرية تترابط معاً في منهج تحليلي وتفسيري للمعطيات المجمّعة أو ما يطلق عليه إسم منهج التحليل الموضوعاتي Thematic Analysis، ويعني به علماء المنهجيات: أداة تحليل المعطيات الكيفية من خلال الإحالة إلى أنماط أو باراديمات. وبحسب كل علماء المنهجيات، لا غنى لباحث منهجي كفي عن إتقان هذا المنهج، الذي يغدو مهارة تفيد في كل أنواع التحليل. هو أكثر من مجرد تجميع أو تلخيص للمعطيات، هو إعادة تنظيم أو سسّمة لها ليسهل إعطاؤها معنى وفهمها، في ذاتها وفي سياق أوسع، أي بالعلاقة مع سواها.

■ وبعد ما الخلاصة؟

السؤال التقليدي أمام الباحث: ماذا أستخدم للبحث الذي أمامي؟ المنهج الكمي أم الكيفي؟

السؤال في الأصل غير مناسب. نحن لا نختار، ولا نفرض على المشكلة موضوع البحث منهجاً لا يلائمها أو لا يتناسب مع خصائصها. باختصار، نحن نستخدم المنهج، أو المناهج، أو أجزاء منها، مناسبة لمقاربة المشكلة، وتحديداً لجمع المعطيات. وفي الغالب الأعم نحن لا نستخدم منهجاً واحداً، بل المنهجين معاً: الكمي والكيفي. لا تناقض بينهما. ربما نستخدم على نحو تبادلي أو متعاقب المراقبة العفوية والقصدية، أو حتى بالمشاركة حين يكون ذلك ضرورياً، معاً، وكذلك المسح بالعين أو بالعد إذا أمكن، المقابلة المقننة أو المفتوحة معاً، والمقاربة بواسطة دراسة الحالة حين يكون ذلك ضرورياً، وكل التقنيات الأخرى الضرورية والمتاحة لجمع المعطيات وتحليلها. والمهم في كل ذلك: - المنهجية العلمية الواقعية في تصميم البحث، (أو ما نسميه في المنهجيات، المقاربة البراغماتية، أي البعيدة عن فرض آراء مسبقة على طريقة البحث) وصياغة الفرضيات - وهي لن تكون في البدء واضحة جداً، بل تتوضح أكثر مع تقدم البحث.

- استخدام أكثر من تقنية في جمع المعطيات، وتحليلها.
- المرونة الكافية للانتقال حين يكون ذلك ضروريا من نمط لآخر.
- تحليل متكامل للمعطيات، من خلال أكثر من مقارنة.
- توشي المنطق في استخلاص النتائج، و'القسوة' في التحقق منها.
- الصدقية والنزاهة في كل خطوة.
- أن لا يتضمن التقرير النهائي أكثر مما انتهينا إليه فعلاً، حتى لو كان بسيطاً جداً.
- وأخيراً، يجب أن تكون هناك مسافة بين الباحث والحالة موضوع بحثه: استقلالية الحالة شرط لبلوغ نتائج ذات صدقية.

مراجع

محمد شيا (2009)، "مناهج التفكير وقواعد البحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية"، الصادر عن المنشورات الجامعية، بيروت.

”تقنية تحليل المضمون: قراءة المحتوى كميًا وكيفياً“*

فاطمة عبود

Content analysis should begin where
traditional modes of research end
(Lasswell)

ملخص

إن تعيين الدلالات واستخراجها وتحليلها في المواد الاتصالية الموجودة في الكتب والأعمال الأدبية وفي الخطابات والصحف والمقابلات... إنما يعتمد على تقنية تحليل المضمون. لذا، فإن هذه التقنية باتت تستخدم في مجالات عدة: فهي على سبيل المثال لا الحصر تُوظف في الدراسات الاجتماعية لتحليل وفهم الإتجاهات حول أحداث ووقائع معينة، وفي المجال الإقتصادي للإستدلال على سلوك المستهلكين من خلال تحليل المادة الإعلانية وتستخدم في المجال السياسي لدراسة أثر الخطاب السياسي على الجمهور، كذلك في المجال النفسي-العيادي لتحليل بنى الشخصية وملامحها، وفي المجال التربوي لدراسة القيم المنقولة عبر المناهج المدرسية... من هذا المنطلق لا بد من تسليط الضوء على المبادئ الأساسية لهذه التقنية وكيفية توظيفها في البحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية بشتى مجالاتها.

الكلمات المفاتيح: (التحليل الكمي - التحليل النوعي - التقنيات في العلوم الاجتماعية - تحليل المحتوى الاتصالي)

(Analyse quantitative - Analyse qualitative - Techniques en sciences sociales - Analyse du contenu communicatif)

أولاً: البداية والتوجهات الحالية

منذ بداية القرن العشرين، ولمدة أربعين سنة تقريباً، بدأت تقنية تحليل المضمون انطلاقتها في الولايات المتحدة الأميركية. وكانت المادة التي يتم تحليلها آنذاك عبارة عن محتوى الصحف. وبين عامي 1940 و1950 أولت كليات العلوم السياسية في أميركا أهمية كبيرة لهذه التقنية بحيث شملت آليات التقصي على المحاور التالية:

* Extrait de : Bardin, L. (2009). L'analyse de contenu. (2ème tirage). Paris: PUF.

- البحث عن العناصر الداعمة للعدو.
 - التحليل المعجمي (Analyse lexicale) للكلمات المفتاح التي تنتمي للسياسة وللبروباغاندا (propagande) النازية.

بعد تلك الحقبة، اختلف الميدان التطبيقي لتقنية تحليل المضمون وبدأ يشبه النقد الأدبي شيئاً فشيئاً وكان من نماذجه التحليل الإحصائي الذي قام به White R.K للقيم والمفاهيم كالصداقة والجنس والقيم الحضارية والشخصيات ... الموجودة في رواية السيرة الذاتية Black Boy ، وكذلك التحليل الذي قام به Lettres de Jenny J Baldwin بحيث استخدم Allport تلك النماذج لاحقاً ونشرها في دراساته حول الشخصية.

إلا أنه، وعلى المستوى المنهجي، تميزت نهاية المرحلة الماضية بإرساء القواعد لهذه التقنية بحيث عرّفها برلسون Berelson بأنها: " تقنية من تقنيات البحث تقوم على الوصف الموضوعي، المنظم والكمي لمحتوى مادة تواصلية " (Bardin, L., 2009, p.21).

وبين خمسينيات وستينات القرن الماضي عرفت تقنية تحليل المضمون امتداداً تطبيقياً بحيث أخذت تشمل مجالات متنوعة وتم استدخال المعايير الجديدة فيها. وعلى المستوى المنهجي بدأت اعتبارات جديدة بالظهور، بحيث بدأ النزاع بين المقاربات الكمية والمقاربات النوعية وقد تم التمييز بينها كما يلي:

- في التحليل النوعي/ الوصفي (Analyse qualitative / descriptive) ما يؤخذ بعين الاعتبار هو وجود أو غياب (La présence ou l'absence) خاصية معينة، أو عبارة معينة في النص الذي يتم تحليله.

- في التحليل الكمي (Analyse quantitative) : ما يؤخذ بعين الاعتبار هو تكرار ظهور (La fréquence d'apparition) بعض العناصر في المضمون الذي يتم تحليله.

وبين عامي 1960 و1975 تأثرت تقنية تحليل المحتوى بمستجدات العصر بحيث بدأ استخدام الكمبيوتر بالإنتشار، ما أتاح للمعالجة المعلوماتية أن تستوعب

وبسرعة فائقة كماً من معلومات يصعب تحليلها يدوياً وقد أتاح هذا التطور استنباط وتطبيق معادلات إحصائية لم تكن معروفة سابقاً، طُبقت في ميادين مختلفة وفي مجالات واسعة أبرزها:

- دراسة التغير الإجتماعي.
- العلاقات الدولية في مجال العلوم السياسية.
- تحليل محتوى المقابلات العيادية في علم النفس العيادي.
- تحليل مضمون رسائل الأفراد المقدمين على الانتحار (Candidats au suicide) وكذلك محتوى الكتابات التي تعبر عن إدراك الهوية الذاتية لدى الطلاب وذلك في مجال علم النفس الإجتماعي.

ومنذ منتصف السبعينات وحتى الزمن الحاضر، تضاعفت تطبيقات تقنية تحليل المضمون بحيث باتت تعتمد على تكنولوجيا المعلوماتية في تطويرها المنهجي. وكذلك فقد شهدت تطوراً وتوسعاً ملحوظاً في المجالات التي شملتها، فباتت تُعنى بالقياس المعجمي (lexicométrie)، بالمحتوى اللغوي (énonciation linguistique) وتحليل الحوارات (Analyse des discours) والمصادر الوثائقية (Banques de données).

ثانياً: التحليل الكمي والتحليل النوعي للمضمون:

تعتمد دراسات تحليل المحتوى أو المضمون على بيانات أو مواد تواصلية موجودة في الكتابات والأعمال الأدبية، في الخطابات والصحف والمقابلات أو في غيرها من مصادر المعلومات.

ويشمل تحليل المعطيات وفقاً لتقنية تحليل المضمون شقين، فقد يكون وفقاً للتحليل الرقمي أو الكمي أو الإحصائي كما يمكن أن يكون تحليلاً كيفياً نوعياً. إذاً، فهناك اتجاهان:

1. الإلتجاه الأول: التحليل النوعي:

يعتمد على المقاربة النوعية / الكيفية فلا يلجأ إلى أي نوع من أنواع القياس الكمي. إذ يهتم بالدرجة الأولى بإبراز الدلالات الظاهرة والمستترة مستخرجاً الأفكار الرئيسية ومميزاً بينها وبين الأفكار الثانوية ليتم التركيز على موقعها في بنية النص ودلالاتها بغض النظر عن تكرارها. و"هذا النوع من المقاربة يحتاج إلى

خبرة بحثية وتحليلية، لكنها مقارنة تشكو في كل الأحوال من الذاتية. ذلك لأن تمييز ما هو جوهري وما هو عرضي، ما هو رئيسي وما هو فرعي يظل خاضعاً لأفكار الباحث ومرجعياته الثقافية وآرائه المسبقة. هذه المقاربة تفتقد إلى المعيار الموضوعي بين قراءات الباحثين المتعددة للنص أو الوثيقة الواحدة، وبالتالي فإن هذه المقاربة لا تصلح للعمل الجماعي" (عماد، 2002، ص.110).

فعلى سبيل المثال لا الحصر، إن تحليل مضمون النقاشات المتلفزة قد يتم تبعاً لعدة معايير نوعية، وبحسب ما نشره غوثيه (Gauthier, 1995) في مقال له حول تحليل محتوى الحوارات السياسية المتلفزة (Analyse du contenu des débats politiques télévisés) فإن الباحث قد يلجأ إلى التحليل اللغوي (analyse linguistique) بالتركيز على العبارات المستخدمة، أو إلى التحليل المحوري (analyse thématique) من خلال محاولة التعرف إلى مغزى الأسئلة لتوضيح الصورة حول الموضوعات التي تتم مناقشتها. وربما يلجأ باحث آخر إلى تحليل خطابي (analyse rhétorique) فيتناول طرق التواصل الكلامي المباشر والعرض والتحرير. ومن الباحثين من يعتمد التحليل الاستراتيجي (analyse stratégique) فيبحث في المنافع المبتغاة من كل أطراف الحوار. لذا نرى أن هذه الأوجه المتعددة لتحليلات مضمون واحد تظهر مدى صعوبة التقيد بالموضوعية كمعيار علمي ضمن أطر محددة، من خلال القراءات المتباينة للمحتوى المطروح.

1. الإتجاه الثاني: التحليل الكمي:

يعتمد المقاربة الكمية والإحصائية لتحليل المحتوى من خلال "التكميم". فتكميم النص أو المحتوى الإتصالي يقتضي اختيار وحدة للتكميم (وحدة القياس أو وحدة التسجيل)، كذلك فئات للتحليل.

■ أ. وحدة التكميم / التسجيل (unité d'enregistrement) :

هي الجزء من المضمون المعتمد في عملية التعداد أو قياس التكرارات. فلو كنا ندرس مضمون صحيفة وقمنا بتعداد تكرار المقالات المخصصة للسياسة والرياضة والفنون والمجتمع... فإن المقال هنا هو وحدة التكميم. وقد تكون الكلمة الواحدة هي وحدة التكميم أحياناً (مثلاً: في دراسة هتافات الجماهير في مناسبات معينة، قد يتم رصد الكلمات الرئيسية التي تُردد ومن ثم تصنيفها: رموز

ثورية/حزبية ورموز قومية/ وطنية...) وقد يلجأ بعض الباحثين إلى وحدات تكميم مادية أخرى (عدد الأسطر، عدد الصفحات، عدد الوثائق...).

■ ب. فئات التحليل (catégories d'analyse) :

عليها تتوقف طبيعة ودقة النتائج المستخلصة. وهي تعني تحديد التصنيفات التي سيتوزع المضمون تبعاً لها بعد تقطيعه إلى وحدات تكميمية. مثلاً إذا كانت وحدة التكميم هي المقال، ففئات التحليل قد تكون (أخبار محلية، فن، رياضة، أخبار ثقافية...). ويعتمد اختيار فئات التحليل على الفرضيات التي ننطلق منها وبالتالي على الأسئلة التي نطرحها عن المضمون المدروس لذا يجب أن يكون اختيارها واضحاً، محدداً، حصرياً واستنفادياً.

من هنا نخلص إلى أنه على الباحث أن يدرك فروق استخدامات كل مقارنة منهما من خلال درايته بالجوانب المنهجية والتطبيقية لها، حتى يتمكن من توظيف إحدهما أو كليهما في بحثه توظيفاً ناجحاً ومرتبئاً بالبحث وإشكاليته في إطارها الموضوعي العام.

وفي ما يلي عرض مفصل للمنهجية والخطوات المستخدمة في التحليل الكمي للمضمون.

ثالثاً: الخطوات العامة:

1. مرحلة ما قبل التحليل (La préanalyse): هي المرحلة التنظيمية الأساسية: هدفها وضع الأفكار الأساسية في سياق منظم للحصول على مخطط دقيق لمسار الخطوات اللاحقة. تتلخص أهدافها بما يلي:

- اختيار المحتوى للتحليل.
- صياغة الفرضيات والأهداف.
- تحديد المؤشرات.

ولا تتم هذه الخطوات بتتابع زمني ملزم، فاختيار المحتوى مثلاً يرتبط بالهدف، قد يتم قبله أو بعده، كذلك فاختيار المؤشرات يتم بناءً على الفرضيات...

وتتضمن مرحلة ما قبل التحليل الخطوات التالية:

■ أ. القراءة العائمة (La lecture flottante):

وهي القراءة الأولية التي تحمل إلى القارئ بعض الإنطباعات والتوجهات بحيث تعتبر الخطوة الأولى نحو بناء الفرضيات.

■ ب. اختيار المحتوى (مادة التحليل): (Le choix des documents)

قد يكون محدداً مسبقاً (مثلاً: بعض مقاطع الصحف المرتبطة بترويج منتج معين). وقد يُحدد بناءً للهدف الموضوع (إذا كان الهدف مثلاً تتبّع القيم في المؤسسات التعليمية نقوم عندئذٍ بتحليل خطابات توزيع الجوائز في المدارس...).

وبعد تحديد مادة التحليل بصورة عامة، علينا اختيار المدونات (Le corpus) التي تشمل العينة من المحتوى التي سوف نخضعها للتحليل. ويخضع هذا الاختيار لعدد من الشروط أبرزها:

- الشمولية Règle de l'exhaustivité: عند اختيار مادة المحتوى علينا التقيد بقاعدة الشمولية بحيث لا نهمل هذا العنصر أو ذاك لسبب غير مبرر (الصعوبة - الإنطباع بالأهمية...). وتكتمل هذه القاعدة باتباع قاعدة اللاانتقائية - La non-sélectivité.

- التمثيل Règle de la représentativité: أي اختيار عينة ممثلة (Echantillon représentatif) لمجتمع الإنطلاق (مادة التحليل التي انطلقنا منها) بحيث يخلونا ذلك تعميم النتائج التي سنحصل عليها، فلكي نقوم باختيار العينة ذات الصفة الممثلة علينا أن نتيّن خصائص العناصر المتوافرة في المحتوى (المحتوى المتجانس يتيح لنا اختيار عينة صغيرة بعكس الحالة في المحتوى غير المتجانس).

وقد يتم اختيار العينة بالصدفة (au hazard) أو بالكوّتا (نظام الحصص) (Les quotas) أي بإعادة تكرار النسب بين المجتمع الأصلي والعينة بحسب الخصائص التي تم تعيينها.

- التشابه أو التجانس Règle de l'homogénéité: أي أن يتميز عناصر المحتوى

الذي تم اختياره للتحليل بالتجانس وأن تكون الخصائص المشتركة بين هذه العناصر أوفر من الخصائص الفردية لكل منها.

- التطابق Règle de la pertinence: وتتمثل هذه القاعدة بكون المحتوى الذي تم اختياره ملائماً لأن يكون مصدر معلومات متناسباً مع الهدف الموضوع منذ البدء.

ملاحظة:

رغم أن اختيار عينة التحليل هو خطوة أساسية في تقنية تحليل المضمون، إلا أن شروط إجراء هذه الخطوة تفقد أهميتها في بعض الأحيان. كما هو الحال عندما يختار الباحث تحليل محتوى مقابلة، أو محتوى كتاب أو أي مستند ومصدر معلومات أحادي ومفرد. (Singulier, Unique).

■ ج. صياغة الفرضيات والأهداف (formulation des hypothèses et des objectifs):

الفرضية هي تيقن أولي (affirmation provisoire) نقترحه للفحص من أجل تأكيده أو نفيه. هي تخمين مصدره الحدس (Intuition). أن نصيغ فرضية يعني أن نتساءل: هل هو صحيح أن...? (Est-il vrai que...?)

تجدد الإشارة إلى أنه ليس من الضروري صياغة لائحة من الفرضيات الموجهة قبل المباشرة بتحليل المحتوى. فبعض التحليلات تُطبق على "غير هدى" (à l'aveuglette) دون أفكار أو فرضيات مسبقة. وهكذا نترك للمادة المدروسة أن تنطق وتتكلم (On laisse parler le matériel). إلا أنه، وفي معظم الأحيان فإن صياغة الفرضيات توجه العمل التحليلي وتحدّد أبعاد وتوجهات هذه التقنية.

د- تحديد المؤشرات (Le repérage des indices et l'élaboration d'indicateurs):

إذا انطلقنا من محتوى معين على اعتبار أنه يحمل بعض المؤشرات، فعلياً البدء باستخلاص وتنظيم هذه المؤشرات تنظيماً منهجياً. فلو اعتبرنا مثلاً أن احتواء النص على علامات وإشارات مرتبطة بمحور معين وأن هذا المحور مرتبط بالهدف الذي حدده الباحث، فإن تكرار هذه العلامات والإشارات (التي قد تكون كلمات مثلاً) يعتبر المؤشر الذي نبحث عنه في تحليلنا.

مثال:

أثناء المقابلة العيادية في مجال العلاج النفسي، إذا اعتبرنا أن القلق يظهر من خلال اضطرابات الكلام. فإن العلامات والإشارات التي نبحث عنها هي (التنهدات، الجمل المتقطعة، تكرار العبارات...) وأن تكرار هذه العلامات هو المؤشر الذي نأخذه بعين الاعتبار في تحليل مضمون المقابلة العيادية بهدف استكشاف وجود القلق.

هـ. التحضير النهائي للمحتوى المدروس (Préparation définitive du matériel):

قبل البدء بالتحليل النهائي على الباحث تحضير المحتوى المجموع (المقابلات المسجلة يجب تفريدها، تنظيم المقالات المستقطعة من الصحف، تدوين إجابات المقابلات على بطاقات...) وهذا ما يسهل المعالجة والتحليل.

وفي حال استخدام برامج المعلوماتية Logiciel informatique، على الباحث القيام في هذه المرحلة بتحضير النصوص وترميزها بما يتناسب مع تعليمات البرنامج المستخدم.

2. مرحلة استكشاف المحتوى ومعالجته L'exploitation du materiel:

إن معالجة محتوى معين لا تتم من دون تشفيره أو ترميزه. ويتجلى الترميز بتحويل المعطيات الخام الموجودة في النص أو المحتوى للتوصل إلى تمثيل ذي معنى، كفيل بإيضاح بعض الخصائص والمؤشرات الموجودة فيه. واستكشاف المحتوى يتم من خلال الخطوات التالية:

1.2- إختيار وحدات التسجيل: Unités d'enregistrement

وذلك من خلال طرح السؤال التالي: ما هي العناصر أو الوحدات التي سنأخذها بعين الاعتبار والتي يجب أن تكون متوافقة مع أهداف التحليل الموضوعية أساساً؟

على أن وحدة التسجيل هي عبارة عن قطعة Segment من المحتوى ككل، تم اعتبارها وحدة أساسية للقياس. وتختلف وحدات التسجيل من حيث الطبيعة والحجم. وأكثر وحدات التسجيل استخداماً هي التالية:

أ. الكلمة (Le mot):

وقد تكون من فئات متعدّدة: أسماء، صفات، أفعال، حروف أو ضمائر...

ب. المبحث (Le thème):

بحيث يتم تقسيم المحتوى إلى مجموعة الأفكار المكونة، أي تعابير (عبارات) حاملة للمعاني والدلالات المنفصلة. وعندما نقوم بتحليل المحتوى بالإعتماد على المباحث كوحدات قياس نقوم بتعيين "نواة المعنى" في كل وحدة (noyaux de sens) بحيث أن تكرر ظهور أو غياب كل منها يحمل دلالة مربوطة بالهدف التحليلي الذي تم اختياره. ويُستخدم المبحث كوحدة تسجيل في دراسة الآراء والاتجاهات والقيم والمعتقدات...

ج. الموضوع أو المرجع (L'objet ou referent)

وهي الأفكار القطبية أو المحورية (thèmes pivots) التي يتركز حولها المضمون/المحتوى. مثلاً: أثناء إجراء تحقيق بواسطة المقابلات حول المساكن، قد يكون المرجع هو عدد غرف المنزل، وفي مقياس أوسجود (Osgood) للاتجاهات، المرجع هو موضوع الاتجاه.

د. الشخصية (Le personnage):

قد تكون وحدة التسجيل هي الأشخاص الفاعلين أو المذكورين في المحتوى الذي يتم تحليله، وغالباً ما يتم تسجيلهم بالارتباط (en fonction) مع وظائفهم أو ممتلكاتهم أو الخصائص المُسندة إليهم (كالدور، المكانة العائلية، العمر...). فغالباً ما تكون هذه الوحدة مُدمجة (combinée) مع وحدات أخرى، فيكون استخلاصها من النص مرتبطاً بالتساؤلات التالية: من؟ متى؟ ما هو دوره؟...

هـ. الحدث (L'événement):

قد تكون "الأحداث" هي وحدات التسجيل المتوفرة. في هذه الحالة تقسم الأفلام، الروايات، الأساطير... إلى وحدات أفعال أو أحداث (unités d'actions).

و. المستند (Le document):

قد يستخدم الباحث المستند بكلمه كوحدة تسجيل في عملية تحليل المحتوى،

ومن أمثلة هذه الوحدات (فيلم، مقالة، كتاب، برنامج تلفزيوني...) بحيث يعتمد مثلاً على تكرار ظهوره في عمليات التحليل السريعة.

2.2- تحديد قواعد الترتيم: (Les règles d'énumération)

لا بد من التمييز بين وحدات التسجيل وقواعد الترتيم. لنفترض أننا، في نص معين، قمنا بتحديد وحدات التسجيل التالية (a,d,a,e,a,b) ، يمكننا بناء لهذه الوحدات اعتماد قواعد ترتيب عدة وأبرزها:

أ. وجود/ غياب الوحدة (La présence/ l'absence):

كما أن وجود وحدة التسجيل قد يكون معبراً، فإن غيابها قد يحمل معانٍ ودلالات عدة أيضاً، ففي مثالنا السابق الوحدات (c) و(f) غائبة ولذلك دلالة معبرة. لأن غياب عنصر أو وحدة من محتوى معين قد يعني الصدّ (blocage) أو يعني الكبت (refoulement) في المقابلات العيادية وقد يدلُّ على رغبة مضمرة في حوار علني.

ب. التكرار (La fréquence):

وهي طريقة القياس الأكثر اعتماداً في تقنية تحليل المضمون. تنطلق من مسلّمة أن أهمية وحدة التسجيل تزداد كلما ازداد تكرار وجودها. في مثالنا السابق يمكن قياس تكرار كل وحدة كالتالي:

$$(a = 3); (b = 1); (c = 0); (d = 1); (e = 1); (f = 0)$$

بحسب هذه الطريقة فإن تكرار ظهور كل عنصر يساوي من ناحية الأهمية تكرار ظهور أي عنصر آخر.

ج. التكرار المُثقل (La fréquence pondérée):

وتستخدم هذه الطريقة عندما نعتبر أن ظهور عنصر أو وحدة معينة هو ذو أهمية تفوق ظهور وحدة أخرى. في هذه الحالة نلجأ إلى استخدام نظام التثقيل (Système de pondération). لنفترض في مثالنا السابق أننا انطلقنا من افتراض أن ظهور الوحدات (d) و(b) هو ذو أهمية مزدوجة بالنسبة إلى الوحدات الباقية، في هذه الحالة ننسب لكل وحدة، عند الترميز، المعامل (Les coefficients) كالتالي:

$$(a = 1); (b = 2); (c = 1); (d = 2); (e = 1); (f = 1)$$

فنحصل على نتائج مغايرة لتلك التي حصلنا عليها في حالة التكرارات غير المثقلة.

$$(a = 3 \times 1 = 3); (b = 1 \times 2 = 2); (c = 0 \times 1 = 0) \\ (d = 1 \times 2 = 2); (e = 1 \times 1 = 1); (f = 0 \times 1 = 0)$$

د. الشدة/القوة (L'intensité)

يقوم الباحث بنسب درجة قوة للوحدة بحسب موقعها أحياناً (في موقع التأكيد/النفي (affirmation/ négation))، أو لوقوعها في مورد ضيق (على الهوامش) أو عادي (في متن النص). وقد تختلف درجة الشدة للوحدة بحسب مرات ظهورها. ففي مثالنا السابق يمكننا أن نعتبر أن لكل وحدة 3 درجات شدة أو قوة كالتالي:

$$...(a1; a2; a3) - (b1; b2; b3)$$

وبناءً لذلك نعطي لكل وحدة الدرجات التالية:
 $...(a1 = 1) (a2 = 2) (a3 = 3)$

لنعتبر أنه في نص معين قد وردت الوحدات التالية:
 $a1; d3; a3; e1; a3; b1$

فيصبح القياس كالتالي:
 $a = 1 + 3 + 3 = 7, b = 1, c = 0, d = 3, e = 1, f = 0$

وتستخدم هذه الطريقة بصورة خاصة في تحليل القيم الايديولوجية والاتجاهات والميول.

ه. الاتجاه (La direction):

يقوم الباحث وفق هذه الطريقة بتحديد أقطاب الإتجاه المختلفة. فقد تكون (مؤيد - معارض وبينها محايد)، أو (جميل - قبيح) (كبير - صغير) ... في هذه الحالة ننسب إلى كل وحدة عُينت في النص مؤشراً نوعياً (indice qualitatif) (إيجابي +، سلبي -، محايد 0)، مثلاً:

(b); (a+); (e-); (a+); (d0); (+a+). فتصبح نتائج القياس كالتالي:

$a=+3; b=+1; d=0; e=-1$
وهكذا يمكن أن نوزع هذه الوحدات على مقياس مزدوج الإتجاهات (échelle bidirectionnelle).

و. الترتيب (L'ordre):

إن لتراتب ظهور وحدات التسجيل أهمية كبيرة ويمكن أن تعتبر مؤشراً ذا دلالة. فلو لاحظنا مثلاً أن (a) تسبق (d) دائماً فقد يعود ذلك لكون العنصر (a) يحظى بأهمية تفوق العنصر (d) في ذهن الكاتب.

ز. التلاقي المشترك (La co-occurrence):

أي التزامن في وجود وحدتي تسجيل أو أكثر في نص معين. هنا ينطلق الباحث في فكرة البحث عن التلاقي بين العناصر أو الوحدات من مسلّمة أن تلاقي وحدتين في النص يعني ارتباطهما أو تلاقيهما في ذهن الكاتب أو المتكلم. ولهذا التلاقي عدّة أوجه:

- الإتحاد (Association): أي ظهور العنصر (a) مع العنصر (b).
- التعادل (Equivalence): ليس في تكرار الظهور إنما في مضمونه. أي أن (a) و (b) يظهران في مضامين متشابهة بعكس العناصر والوحدات الأخرى.
- التضاد أو الإقصاء (Opposition ou exclusion): مثلاً ملاحظة أن العنصر (a) لا يظهر أبداً بمحاذاة العنصر (c) أو في مضمون مشابه.

ولمسافة التلاقي أيضاً دلالاتها، فإن ورود العنصر (a) مباشرة بعد العنصر (b) لا يحمل الدلالة ذاتها عندما تفصل بينهما عدة عناصر أخرى.

تجدد الإشارة أخيراً إلى أن اختيار قاعدة تقييم معينة يعتمد على فرضيات الباحث، فبين وجود/ غياب الوحدة، أو البحث عن تكرارها البسيط أو المثلث أو تحليل شدتها واتجاهها وترتيب ظهورها أو حتى تلاقيها مع وحدات أخرى، يختار الباحث ما يتوافق مع فرضياته وتساؤلاته وأهداف دراسته وتحليله.

رابعاً: أقطاب التحليل في تقنية تحليل المضمون:

على من وعلى ماذا يتركز تحليل المضمون؟ ما هي العناصر الذي نستدل عليها من خلاله؟

نظرياً، يركز تحليل المضمون على العناصر المكوّنة لآلية الإتصال الكلاسيكية: الرسالة، أداة الإتصال، المرسل والمرسل إليه.

1. المرسل (L'émetteur):

قد يكون فرداً أو مجموعة أفراد، في هذه الحالة، ينطلق الباحث من فرضية أن الرسالة تعبّر عن أو تمثّل المرسل. كما هو الحال في تحليل مضمون كلام "الصابر" في جلسات العلاج النفسي فهي تضيء على ملامح شخصيته، تاريخه الفردي، أعراضه وتقدم حالته. كذلك فإننا نجد هذا النموذج في تحليل قصائد وكتابات الأدباء والشعراء مثل Baudelaire، والتي على سبيل المثال تظهر آماله وقلقه وإحباطاته....

2. المرسل إليه (Le récepteur):

قد يكون أيضاً فرداً أو مجموعة أفراد أو حتى قد يكون جمهوراً (indivisible). هنا يتم التركيز على من تتجه إليهم الرسالة (المضمون) بهدف التأثير. من هذا المنطلق فإن تحليل المضمون قد يزودنا بمعلومات حول المتلقي أو الجمهور المرسل إليه.

ومن أمثلة ذلك تحليل مضمون الرسائل الإعلانية، كون هذه الرسائل بمضمونها تعاین "هدفاً"، محاولة التأثير فيه، فهي بطريقة غير مباشرة تزودنا بمعلومات عن المستهلكين.

3. الرسالة (Le message):

تمر تقنية تحليل المضمون، مهما كان مرتكزها، بتحليل محتوى الرسالة بذاتها، لأنها نقطة الانطلاق والمادة التي يستحيل التحليل من دونها. يتلخص العمل بأن يقوم الباحث باستخراج الدلالات والحقائق الكامنة التي يزودنا بها محتوى الرسالة. مثلاً: ما هي الأحداث التي تناولها "الصابر" في الجلسة العلاجية؟ ما هو موضوع هذه المادة الإعلانية؟ كيف تتوالى المحاور في هذه الرواية؟ إن هذه الدلالات غالباً ما ترتبط بأخرى كامنة يحاول المحلل الكشف عنها (رموز، قيم، معتقدات...). فعلى سبيل المثال: ما هي الحقائق اللاواعية والمكبوتة التي يمكن الاستدلال عليها من كلام "الصابر" في الجلسة العلاجية؟ ما هي القيم التي تنقلها هذه المادة الإعلانية؟..

4. القناة، الوسيلة، أداة الإتصال (Le médium, le canal):

أي الأداة التقنية التي تنقل الرسالة. ويتم التركيز على تحليلها في الدراسات التجريبية أكثر من غيرها.

مثلاً: كيف تُستقبل المعلومات، وكيف وتُفهم من قبل الأطفال بحسب نقلها بواسطة التلفزيون أو بواسطة المعلّمة؟ كيف يتم تلقي مضمون رسالة من القارئ وتفسيره إذا تمّ إيصال هذه بواسطة الهاتف أو بصورة شفوية مباشرة؟

ختاماً لا بد من الإشارة إلى أن تحليل المضمون هو من أدق التقنيات في مجال العلوم الإجتماعية، خاصة وأن تطبيقه يجب أن يكون مقروناً بالحياد والموضوعية في التحليل بغية الوصول إلى نتائج ومعطيات تصب في خدمة البحث العلمي؛ فهي التقنية التي تهدف إلى "معرفة الحياة الاجتماعية من خلال البعد الرمزي للسلوك الإنساني" (Sabourin, P., 2009, p.416).

المراجع

عماد، ع.غ. (2002). البحث الاجتماعي: منهجيته مراحلته تقنياته. طرابلس: جروس برس، الطبعة الأولى.

Bardin, L. (2009). L'analyse de contenu. Paris : PUF.

Gauthier, G. (1995). L'analyse du contenu des débats politiques télévisés. Hermès, 17-18, 355-370. doi : 10.4267/2042/15229.

Sabourin, P. (2009). L'analyse de contenu. In B. Gauthier (dir), Recherche sociale de la problématique à la collecte des données. (pp.415-444). Canada : Presses de l'université de Québec.

الرسم التمثيلي لشجرة العائلة. كتابة الأصل الكاشفة لتعابر الاجيال

Le génogramme, une écriture de l'origine révélant la transmission transgénérationnelle

هدى داغر

ملخص

إن الاتجاه في علم النفس وعلم النفس الاجتماعي الذي يعطي البُعد التعابري بين الأجيال transgénérationnel دوراً في فهم الروابط اللاواعية بين الاجيال ومغزى الأعراض، يعتمد إحدى التقنيات المهمة المسماة "الرسم التمثيلي لشجرة العائلة" Le génogramme، وهي أداة قياس جيلية يمكن من خلالها سبر ما تم نقله عبر الاجيال من اسرار وصددمات وندوب بقيت في اللامقال على مدى ثلاثة أجيال على الأقل، واستخراج ما بقي خارج الوعي عند أفرادها وانعكس من خلال اعراض نفسية أو سلوكية أو من خلال تكرار أحداث مؤلمة بقي الرابط بينها ضائعاً. ان فهم البُعد التعابري للاعراض ولاحداث الحياة من خلال هذه التقنية يساعد المرء في وقف حلقة التكرار اللاواعي واستعادة حرته، وبذلك يتمكن من ان يعيش حياته هو وليس تلك التي لاسلافه.

كلمات- مفاتيح: (الرسم التمثيلي لشجرة العائلة - تعابر الاجيال - اللامقال - الروابط اللاواعية) (Le génogramme - Le transgénérationnel - Le non-dit - Les liens inconscients).

توطئة

في مداخلة سابقة تحت عنوان "البعد التعابري بين الأجيال للإضطرابات النفسية- دراسة الرسم التمثيلي لشجرة العائلة" ضمن مؤتمر "الأمومة والجسد في تعابر الأجيال: قدر محتم وخيارات منقولة" لمركز الابحاث في معهد العلوم الاجتماعية، سلطنا الضوء على الإنتقال التعابري بين الأجيال La transmission transgénérationnelle لأنماط العلاقات والأحداث والصددمات والإضطرابات النفسية، كما تم التشديد، من خلال دراسة حالة، على أهمية تقنية الرسم التمثيلي لشجرة العائلة le génogramme كإحدى الأدوات التي تُستعمل لقياس العلاقات بين الأجيال في عائلة واحدة، والتي تساهم في وصل الحاضر بالماضي لتزويد الاختصاصي النفسي بمفاتيح مهمة لتحديد طبيعة العوائق التي تمنع تطور الشخص ولمساعدته في التحرر من قيود ولاءات الماضي غير المجدية.

في هذه الورقة البحثية ، حول "تقنيات البحث في علم النفس وعلم النفس الاجتماعي"، وجدنا من المفيد التعمق في عرض تقنية الرسم التمثيلي لشجرة العائلة كأداة قيّمة تستخدم في العلاج النفسي، كما في البحث العلمي في نطاق علم النفس وعلم النفس الاجتماعي والانتروبولوجيا.

سوف نحاول إذاً القاء الضوء على ماهية تقنية الرسم التمثيلي لشجرة العائلة، نشأة هذه التقنية، نطاق تطبيقها وفائدتها، كما سنعرض كيفية بناء شجرة العائلة، وفي الختام سنقوم بدراسة تطبيقية لحالة تم فيها استخدام هذه التقنية في العلاج النفسي.

مقدمة

"حياة كل منا هي رواية، أنا، أنتم، نحن نعيش أسرى شبكة عنكبوتيه غير مرئية نحن فيها أيضاً عمال ماهرين" (Ancelin Schützenberger A., 1999). هذه عبارة لآن أنسلان سشتزنبرغ Anne Ancelin Schützenberger، معالجة نفسية روسية عاشت في فرنسا وعملت على نطاق واسع في التاريخ العائلي وتقنية الرسم التمثيلي لشجرة العائلة.

هناك أيضاً مثل أفريقي يقول:

"إذا كنت لا تعرف إلى أين أنت ذاهب ، فأنظر من أين أنت آتٍ". جميعنا أتينا من مكان ما، من عائلة ما، من أصول ما. وكما ينقل الأهل إلى أولادهم الإرث الذي تسلموه من آبائهم، الإرث المادي والثقافي والاجتماعي والديني، كذلك ينقلون إليهم الأسرار غير المقالة (Les non-dits) والصدمات (Les traumatismes) التي بقيت خارج الذاكرة وانتقلت عبرهم من لاوعي الأجيال السابقة إلى لاوعي الأولاد.

يؤكد نهج تعابر الأجيال l'approche transgénérationnel، أن ما شهدته تاريخنا العائلي ينعكس على تاريخنا الخاص. من هنا أهمية العودة إلى شجرة عائلتنا على عدة أجيال عندما نجد انفسنا في مواجهة عوائق وعقبات تتكرر ولا نفهم مصدرها، للبحث عما تم عيشه أو إساءة عيشه ce qui a été mal vécu من أجل تحويل transmetre.

ما بقي من أسرار غير مقالة وصددمات لا تخصصنا والوصول إلى عيش حياتنا نحن وليس حياة اسلافنا. (Ch., 2010 Ulivucci)

خلال سنوات طويلة في مهنة العلاج النفسي تبين لي أن التاريخ العائلي لطالبي العلاج هو نقطة مهمة في العلاج. والسؤال الذي يواجهنا دوماً كمعالجين نفسيين هو: إلى أي حد يكون ما يمر به الشخص من مصاعب ملكاً له ولتاريخه الشخصي أو هو عائد إلى تاريخ أشخاص آخرين؟ وفي كل مرة يتبين لنا أنه توجد روابط قوية جداً بين الصعوبات التي يواجهها شخص ما والطريقة التي تنقل بها الاحداث والروابط في عائلته عبر الأجيال.

تقول Anne Ancelin Schützenberger في كتابها الشهير: (1999) *Aïe, mes aïeux*: "عندما يكون هناك تكرار، فهذا يعني أن هناك في البداية حدثاً مؤلماً جداً تم طمسه بحيث لا يمكن بعد الوصول إليه وكأن هناك منعاً من الوصول إليه. وهذا المنع اللاواعي للوصول إلى هذا الحدث يمكن ان يرتبط بالعار الذي يتصل به أو بواقع منع الشخص من التعبير عن الغضب والخيبة من جراء هذا الحدث. إن الندوب العاطفية التي تبقى في اللاوعي العائلي تتسبب بنوع من عبودية التكرار."

من جهتهما، يؤكد Nicolas ABRAHAM et Maria TOROK في كتابهما الشهير حول تعابر الاجيال (2009) *L'écorce et le noyau*: "ان الرسالة العابرة للأجيال تنتقل بشكل سلوك غير لفظي، بشكل مقتطفات من محادثات تبقى مكبوتة في اللاوعي يتم التعبير عنها بتكرار سلوك غير سوي أو باعراض جسدية، أو بالشعور بواجب اصلاح وضع عائلي قد يكون غير معروف من الشخص الذي يقوم به... هذه الرسائل العابرة للأجيال تكون لاواعية وتأخذ شكل سراديب Crypts من شأنها أن تعود في أي وقت إلى النشاط في ظروف عاطفية قوية كفاية لإعادة الظرف الذي تم كبته في اللاوعي إلى النشاط."

وتؤكد المحللة النفسية الفرنسية (1971) *Françoise Dolto* المتخصصة في التحليل النفسي للأولاد "ان الأطفال يرثون مشاكل إبانهم التي لم تحل بعد ، فضلا عن ديونهم اللاواعية تجاه الأجيال السابقة."

إن الاتجاه في علم النفس الذي يعطي البُعد التعابري بين الأجيال transgénérationnel دوراً في فهم الاعراض المرضية التي يعاني منها الفرد وحلها يعتمد إحدى التقنيات المهمة المسماة بالـ *généogramme* أو الرسم التمثيلي لشجرة العائلة، وهي أداة قياس جيلية يمكن من خلالها سبر ما تم نقله عبر الاجيال من اسرار وصددمات وندوب على مدى ثلاثة أجيال على الأقل، واستخراج ما بقي خارج الوعي عند أفرادها وانعكس من خلال اعراض نفسية أو سلوكية أو نفس-جسدية أو من خلال تكرار أحداث مؤلمة بقي الرابط بينها ضائعاً.

بناء خريطة الأسرة التاريخية والعلائقية

تشتق كلمة *généogramme* من الكلمة اليونانية *genos* التي تعني "ولادة أو أصل" وكلمة *gramma* التي تعني "يكتب"، وبذلك يكون معنى الـ *généogramme* "كتابة الأصل" (Denis B., 2007).

وهذه التقنية تستخدم في العلاج النفسي لرسم شجره العائلة وتسجيل المعلومات عن افرادها وعلاقتاتهم على مدى ثلاثة أجيال على الأقل.

إن الصورة المجسمة لشجرة العائلة كما يرسمها الشخص تترجم المعلومات العائلية بطريقة تقدم لمحة عن "الأنماط" الاسرية المعقدة التي تسمح للمعالج بوضع خريطة لهيكلية هذه الأسرة، ويربط الحاضر مع الاحداث والاعباء العاطفية والخرافات العائلية *les mythes familiaux*، وكل ما طبع التاريخ العائلي وتم نقله بين الأجيال. وتشكل هذه الأنماط الاسرية مصدراً غنياً للفرضيات المتعلقة بكيفية ارتباط المشكلة التي يعاني منها الشخص والتي يرغب في حلها ببيئة عائلية معينة في الحاضر وكذلك عابرة للأجيال. (Daure I., 2013)

إن الرسم التمثيلي لشجرة العائلة يسمح أيضاً بتحديد البنى النفسية المرضية الموروثة من الاسلاف. هذه البنى تهيمن على المتحدرين منهم وتعيق قدرتهم على عيش حياتهم بشكل كامل، وتحاصرهم في أنماط حياة لا يملكون السيطرة عليها.

إن عملية تتبع ما يتم نقله عبر الاجيال يسمح بتحديد فشل نقل بعض الصدمات مثل الحداد المستحيل، صدمات الحرب، سفاح القربى، إفلاس مالي وغيرها، وما نتج عنها مثل الامراض النفس-جسدية، الاضطرابات النفسية، الانتحار، الاعاقات العاطفية والاجتماعية، والصعوبات المدرسية، إلخ

الرسم التمثيلي لشجرة العائلة هو إداة تقنية تهدف إلى بناء خريطة الأسرة من الناحيتين التاريخية والعلائقية، وإعطائها شكلاً يمثل مكان كل من أفرادها في نظام الأسرة، ويساعد في فهم معنى العلاقات التي تربطهم ومغزى الأعراض Les symptômes التي يعاني منها أي منهم الآن، كما وفهم أبعاد العلاقات والأدوار والأعراض المنقولة من الأجيال السابقة. (Compagnon Ph., 2016).

نشأة تقنية الرسم التمثيلي لشجرة العائلة

من الناحية التاريخية، غالباً ما يتم ربط تقنية الرسم التمثيلي لشجرة العائلة بنظرية Murray Bowen مؤسس النهج العائلي النظامي L'approche familiale systémique (1978) الذي كان من أوائل من دافع عن هذه التقنية كوسيلة لفهم تكوين العائلة بصفاتها نظام système وأعطاه أهمية عالية في بناء الفرضيات المتعلقة بالنظام العائلي.

غير أن هناك من يؤكد أن الرسم التمثيلي لشجرة العائلة رأى النور نتيجة الملاحظات الأولية التي أثارها قبل ذلك جاكوب مورينو (مؤسس البسيكودراما) وفريق عمله حول الصلات العائلية المعقدة. كما استخدمت هذه التقنية أيضاً من قبل الرواد في العلاج العائلي في مدرسة بالو التو في الولايات المتحدة. (Ancelin Schützenberger A., 1999).

الغاية من استخدام تقنية الرسم التمثيلي لشجرة العائلة

إن الرسم التمثيلي لشجرة العائلة كتقنية في العلاج النفسي يساهم في إعادة وصل الحاضر المعاش بالتجارب العاطفية للأجيال السابقة واقتفاء الأثر التي تركته في الخيال العائلي الحالي .

ويمكن لتقنية الرسم التمثيلي لشجرة العائلة ان تكون مفيدة في تحليل عدة مجالات داخل النظام الأسري مثل:

- الروابط التي تصل الافراد بعضهم ببعض افقياً وعمودياً. (صلة لا علاقات)
- الأمراض الجسدية والنفسية
- الصراعات داخل الأسرة
- الصدمات العابرة للأجيال

ويتم من خلال هذه التقنية تسليط الضوء على الأحداث المتكررة ، الأمراض ، الحوادث، الصراعات، الاختلافات، البرمجة اللاواعية التي هي مصدر العقبات التي تعترض تحقيق الذات. (Reynaud P., 2009)

وتفسير interpretation الرسم التمثيلي لشجرة العائلة يتيح لنا تحديد عوامل الخطر المرضية سواء كانت جسدية أم نفسية أم نفس-اجتماعية. في الرسم التمثيلي لشجرة العائلة يمكن أن نسلط الضوء على الأسماء les prénoms سيما إذا لاحظنا أنها تتكرر. وقد نسأل عن سبب اختيار هذا الإسم للشخص (أحياناً يعطى لولد إسم أحد الاقرباء المتوفين كما لو أنه تم إنجاب هذا الولد بقصد أحياء الشخص المتوفي من خلاله، وأحياناً يتبين لنا أن الإسم في مثل هذه الحالة يكون وراء الاضطراب النفسي للولد لأنه يجعله بدل عن ضائع وكأن لا كيان خاص به ويتم تحميله مهمة عيش حياة شخص آخر.

كما يمكن أن ننتبه إلى التواريخ التذكارية les dates anniversaires وكثيراً ما يتبين أن تاريخاً ما يتكرر من جيل إلى آخر ويحمل معنىً ويؤثر في الخيارات اللاواعية للشخص (Reynaud P., 2009).

مثلاً : إحدى الفتيات كانت تتحدث في الجلسات العلاجية عن صلتها بجدها لأنها تقول أنها تشعر بمسؤولية تجاهها منذ كانت صغيرة وكأنها هي أم لجدها، وفي إحدى المرات أخبرتني بأنها اكتشفت أن أم جدها ماتت ميتة صادمة حين كان عمر جدها سنتين والاكتشاف الأهم هو أن تاريخ وفاة أم الجدة هو نفسه تاريخ ولادتها هي، أي الحفيدة، وبمعرفتها لهذه الواقعة وجدت تفسيراً لهذا الشعور الذي نُقل من دون علمها إلى لاوعياها والذي جعلها تحس بمشاعر امومة تجاه جدها.

ويساعد الرسم التمثيلي لشجرة العائلة ايضاً في فهم كيف يكون سلوك منعزل لاحد افراد الأسرة موصولاً كلياً بالمجموعة العائلية وتفاعلاتها، الامر الذي يؤكد ان أي عارض symptôme يظهر عند أحد أفراد العائلة هو جزء لا يتجزأ من الخلل العائلي. وعليه، فإن إدراك الشخص للدور الذي يلعبه في المنظومة العائلية يفتح أمامه افقاً لفهم ما يعاني منه.

ويتيح الرسم التمثيلي لشجرة العائلة للشخص أن يرى ذاته من زاوية أخرى، وأن يضع إطاراً مختلفاً لسلوكه المشحون عاطفياً بحيث يفهم كيف يمكن لاستجابات العائلة أن تكون مسبباً أو معززاً للعارض الذي يعاني منه. كما يتيح للشخص رؤية الروابط التي بقيت حتى الآن مجهولة أو لاواعية بين المشكلة التي يعاني منها ومختلف التفاعلات التي غالباً ما تتكرر في الأسرة بصورة نمطية من جيل إلى آخر.

كذلك تمكّننا هذه التقنية من اكتشاف مختلف الديناميات المتكررة والمنقولة عبر الاجيال وبالتالي رؤية كيف يمكن لعائلة ان تعيد صنع الانماط السلوكية ذاتها من جيل إلى جيل.

والمهم عندما ندع الشخص يرسم شجرة عائلته أن نراقب كيف يقوم بذلك وكيف يرى الاشخاص وكيف يرسم الروابط التي تجمعهم معاً وتجمعه هو بافراد عائلته الحاضرة وباسلافه وكيف يرى ادوارهم.

وكثيراً ما تكون ثقوب الذاكرة les trous de mémoire معبرة كثيراً وكاشفة لما يكمن في اللاوعي تماماً مثل الصمت في العلاج النفسي الذي تكون له دلالاته والتي تقول الكثير حول ما تم طمسه في الذاكرة الجماعية للاسرة.

(Ancelin Schützenberger A., 1999). مثلاً قد ينسى الشخص كتابة اسم احد اسلافه ويتبين بعد ذلك ان لهذا الأخير دوراً مهماً في حياته وفي المشكلة التي يعاني منها.

ويقدم لنا الرسم التمثيلي لشجرة العائلة أيضاً مفاتيح مهمة للتعرف على طبيعة المآذق les impasses وفهمها ومساعدة الشخص على التفاعل معها وعلى إعادة ترتيب حياته وعلاقاته. ويساعد أحياناً في كشف النقاب عن أحداث مؤلمة في العائلة لا يتم الحديث عنها أبداً مثل إنتحار أحد الأقارب، إنحرافات سلوكية، إدمانات، سفاح القرى، أولاد غير شرعيين، أمراض، جرائم . لذلك من المفيد طرح الأسئلة أثناء تمرير هذه التقنية بصورة ذكية للوصول إلى لب المشكلة. (Mc Goldrick M. et Gerson R., 1990).

استعمال الرسم التمثيلي لشجرة العائلة في الإطار المدرسي

إن الصعوبات التعليمية والسلوك غير المضبوط للولاد في المدرسة غالباً ما تكون ظواهر متكررة في العائلة. في اغلب الاحيان، اذا تعمقنا قليلاً، نجد ان هذه الاخفاقات هي نتيجة لعمليات متأصلة في المعتقدات العائلية. وفي حالات اخرى، لا يمكن فهمها إلا في ضوء احداث غالباً ما تم ذكرها للولد بطريقة عرضية وناقصة. وأحياناً يجد بعض الالولاد صعوبة في تحديد مكانهم الرمزي في العائلة الذي يختفي خلف اسرار لها عواقب على بناء شخصيتهم بحيث تجعلها مثقلة بالكبت على الصعيد العلائقي والتواصلي والفكري. (Guichard D., 2006)

كيفية بناء الرسم التمثيلي لشجرة العائلة

لا توجد طريقة نموذجية فضلى لرسم شجرة العائلة، فيمكن للمعالج النفسي أن يتبع الطريقة التي تخدم توجهه العلاجي والحالة التي يعالجها، ويمكن استخدامها في العلاج النفسي التحليلي للوصول إلى الرغبات الكامنة وراء ما يعاني منه المعالج. (Mc Goldrick M. et Gerson R., 1990).

وغالبا ما يتم الطلب إلى المعالج أن يرسم شجرة عائلته بعد أن يكون قد بنى علاقة ثقة مع المعالج، وأحياناً يكون ذلك في الجلسة الثانية أو الثالثة وذلك بحسب الحالة. ومن المهم أخذ موافقة الشخص على تمرير هذه التقنية له وتحديد الهدف منها وفائدتها، على أن يقوم بذلك في جو من الثقة والمهنية، ونوعية جيدة من الاسئلة ومن الاصغاء من قبل المعالج. ويقتضي أن يعطى الشخص حرية التعبير عن مشاعره وبكلماته الخاصة من دون الحكم عليه.

قد يستغرق رسم شجرة العائلة جلسة كاملة وأحياناً عدة جلسات. وفي بعض الحالات عندما يكون العلاج وفقاً للنهج العائلي Approche familial أو عندما يكون المعالج ولداً أو مراهقاً قد نطلب من الوالدين رسم شجرة عائلتهما إذ يمكنهما ملء الثغرات في المعلومات ما يجعل استعمال هذه التقنية أكثر فائدة.

نطلب من الشخص أن يرسم شجرة عائلته على ثلاثة اجيال على الاقل من الجانبين أي لجهة عائلة الاب ولجهة عائلة الام بالطريقة التي يراها هو ويمكنه البدء من حيث يشاء وندون الملاحظات حول ذلك (مثلاً) . وبعد ان ينتهي نطلب منه أن يحدثنا عن كل شخص ذكره في الرسم.

ويمكن أن يكون أول سؤال نطرحه بعد انتهاء الرسم: "هل يمكن ان تعطيني الصفات الرئيسية لكل من الاشخاص الذين ذكرتهم في شجرة العائلة؟" وعندما لا يعرف شيئاً عن صفات شخص ما نقول له أن يتخيل ما يمكن أن تكون.

وبعد ذلك يمكن تطوير المعلومات تدريجياً من الاقل اهمية إلى الاكثر اهمية من خلال طرح أسئلة مفتوحة.

قد نبدأ بالسؤال عن الاسماء التي تتكرر لنتقل إلى المعلومات التي تتعلق الروابط التي توجد بين أعضاء العائلة وديناميات هذه الروابط. ثم يمكن ان ننتقل إلى المعلومات الاكثر حساسية مثل الصحة الجسدية والنفسية، الصدمات، الصراعات، التواريخ الهامة كمتلازمة عيد الميلاد، واي تغييرات مفصلية مثل الانفصال، الطلاق، التبني، الهجرة، الانتقال، تغيير العمل. ونتنبه جيداً للثقوب التي تقول الكثير عن الاسرار العائلية اللاواعية.

ونستعمل احياناً الاسئلة المغلقة لمزيد من الدقة. ومن المفيد أيضاً استخدام الاسئلة غير المباشرة أو غيرها من استراتيجيات الاتصال.

واستناداً إلى ما يقوله الشخص نطرح مسألة ايجاد الروابط المحتملة بين الأحداث والوقائع والتواريخ والحالات.

دراسة حالة

كتطبيق عملي لما سبق ذكره حول تقنية الرسم التمثيلي لشجرة العائلة، سنقدم حالة تم فيها استعمال هذه التقنية في العلاج النفسي وتمكن العلاج من خلالها أن يتقدم كثيراً.

إنها شايان. وشايان هو إسم مستعار حفاظاً على السرية. لم أختره أنا بل اختارته هي حين طلبت الإذن منها أن أعرض حالتها)، التي بدأت علاجها النفسي في عمر 16 حيث كانت تعاني من حالة كآبة واضطراب في المزاج وحالة فقدان الشهية المرضي Anorexie mentale.

هي إبنة وحيدة لوالديها، وأخبرتني أن أمها حملت عدة مرات قبلها غير أنها كانت تفقد الجنين في كل مرة، ولم تستطع إنجاب أولاد غيرها.

كانت شايان طفلة مدللة في عائلة الأب والأم. في طفولتها كانت فتاة جميلة.

ذكية ومحبوبة، ولكنها كانت تعاني من نقص في التركيز في المدرسة. وبما أنها كانت تعاني من حالة فقدان الشهية المرضي حين التقيتها، سألتها عن الجسد الذي ترغب في أن تمتلكه، فأررتني صورة في هاتفها المحمول لفتاة بجسد هو أقرب إلى هيكل عظمي لشخص ميت وقالت : حلمي أن اصبح بهذا الجسم. من خلال هذه الصورة انكشفت لي علاقة شايان بنزوات الموت، ولكن هذا لم يكن إلا البداية.

أخبرتني شايان فيما بعد أنها عندما كانت في سن السادسة شاهدت بالصدفة فيلم رعب على التلفزيون، تقول أنها لم تشعر حينها بالخوف بل أثير فضولها لرؤية العنف، الدم والموت، وأصبحت منذ ذلك الحين تشاهد يومياً أفلام رعب ولا تشاهد غيرها عندما تكون لوحدها، وأحياناً تقضي الليل في غرفتها تشاهد هذه الأفلام. وتقول : شيء ما أجهله كان يشدني إلى طلب المزيد من مشاهد الموت، وبقيت أفعل ذلك حتى سن ال 12.

في عمر ال 12 بدأت شايان تغرق في الكآبة وبدأت تتوقف عن تناول الطعام ودخلت حلقة فقدان الشهية المرضي والإيذاء الذات auto-mutilation عن طريق تشطيب جسدها بشفرة حادة.

أخبرتني أيضاً أنها من عمر الثامنة ولسنوات عديدة كانت تصلي كل ليلة إلى الله وكانت تطلب منه في الصلاة طلباً واحداً لا غير: "دعني اموت". وكانت أيضاً تتوجه بالكلام إلى أختها الأجنة الذين لم يكتب لهم الخروج احياء من رحم أمها : "لماذا تركتوني وحدي في هذه الدنيا وذهبتم كلكم بدوني".

في عمر ال 12 وبالتزامن مع غرقها في الكآبة بدأت شايان تشاهد أحياناً في عتمة الليل في غرفتها شبح امرأة بلباس ابيض وشعر طويل ومن دون ملامح واقفة قرب التلفزيون قبالة سريرها. كانت تحدد بهذا الشبح وأحياناً تقترب منه للتأكد من وجوده، وأحياناً أخرى تغمض عينيها كي لا تراه.

قالت لي: كنت في ذلك الوقت أفعل أي شيء يجعلني في أقرب مسافة من الموت، ولكن على أن لا أموت.

كما قالت: أنا شخص عاطفي ولكن أحياناً شيء في داخلي أجهله يحولني إلى إنسانة من دون مشاعر كالميت.

ما قالته جعلني أفكر في أن المشاعر التي تسيطر عليها تبدو وكأنها ليست ملكها وهي تجعلها دائماً في تماس مع الموت.

ووجدت أن تقنية الرسم التمثيلي لشجرة العائلة لا بد أن تساعد في فهم أكبر لما يحدث مع هذه الفتاة المراهقة.

طلبت منها أن ترسم شجرة عائلتها وبما أن معلوماتها كانت قليلة جداً عن الأحداث التي وسمت عائلتها عبر الأجيال استأذنتها في أن نطلب من والديها الحضور في إحدى الجلسات ليرسم كل منهما شجرة عائلته طبعاً بعد أن أخذت موافقتهم.

وقد أردت في توجيه أسئلتني بعد انتهاء رسم كل منهما لشجرة عائلته بحضور شايان التنبه إلى ما يقال حول موضوع علاقة هذه العائلة بالموت.

ومن خلال أجوبتهما انكشفت اسرار مهمة تتعلق بالموت في العائلة لم يخبرها أحد لشايان ولكن يبدو أنها كانت قد مُررت إلى لاوليها وسكنت سراديب روحها وسيطرت على حياتها. وكأنها كانت تعلم ولا تعلم ما حدث.

في شجرة عائلة الاب تبين التالي:

- جد شايان لأبيها كان ولداً وحيداً لأهله غير أن أمه كانت قد أنجبت فتاة قبله عاشت أقل من سنتين ثم ماتت ولم تتمكن الأم من أن تنجب بعده أولاداً آخرين.
- الجدة كانت صغيرة عائلتها المؤلفة من ستة أولاد، وإثنان من الأولاد وهما توأمان توفيا بعمر صغير.
- خال الأب أيضاً أنجبت له زوجته فتاة توفيت عندما كان عمرها شهرين.
- جدة شايان أجهضت مباشرة قبل الحمل بأبيها الذي أصيب في عمر الشهرين بحمى كادت تؤدي بحياته.

وفي عمر ال12 سنة وكانت حينها الحرب في لبنان في أوجها كان يهرب من البيت ليذهب إلى المتاريس على خطوط التماس ليكون في أقرب نقطة من الموت وعاش مراهقة صعبة جعلته في أحيان كثيرة على قاب قوسين من الموت.

في شجرة عائلة الأم تبين التالي:

- جد الأم لأبيها فقد عائلته بالموت أثناء الحرب العالمية الأولى حين كان طفلاً وعاش يتيمًا في أحد الأديرة.
- عمّة الام فقدت ابنتها في سن صغيرة.
- الجدة فقدت ثلاثة أخوة كانوا بعمر الشباب. وهذه الجدة كانت قد انجبت صبياً حين كان عمر ابنتها أي أم شايان حوالي الخمس سنوات وكان مريضاً ومات بعمر السنة. وتذكر أم شايان أن أمها كانت تقول لها ولأختها:

"كفا عن البكاء والنق وإلا فسيموت أخوكما". ومات الأخ ودفن في مقبرة قريبة من مدرسة أم شايان التي تقول أنها كانت كل يوم تمر قرب مقبرة أخيها وتفكر ما إذا كان قد مات لأنها وأختها كانتا تعذبان أمها.

وتقول أيضاً أنها وهي تكبر كانت دائماً تسمع أن أمها كانت تحمل ولكنها في كل مرة كانت تجهض الجنين لأنها لم تعد تريد أولاداً.

- أما أم شايان فقد تبين أنها حملت 7 مرات قبل شايان وكانت تفقد جنينها في كل مرة وكأن رحمها أصبح مقبرة جماعية لاولادها، ومن هذه المقبرة ولدت شايان حية ولكن تسكنها نزوات الموت.

كما يتبين من الرسم التمثيلي لشجرة عائلة شايان لجهة الأب والأم، كان الموت المبكر لأولاد وشباب ولأجنة في رحم أمهاتهم فعل متكرر عابر للأجيال.

سمعت شايان هذه الأسرار التي لم تكن قد أُخبرت بها من قبل. فأهلها، كما الكثير من الأهل، يحتفظون بالأسرار، كي لا تخدش براءة أولادهم وكي لا يتأثروا بها. وعرفت شايان حينها أن نزوات الموت التي سكنتها كالشباح هي لاشخاص غيرها ماتوا قبل الأوان وانتقلت صدمة موتهم إليها من دون علمها.

مكّن الرسم التمثيلي لشجرة عائلتها شايان من أن ترى عائلتها على حقيقتها وأن تعبر عن مشاعر مدفونة داخلها. وأصبح بإمكانها اليوم أن تجد رابطاً بينها وبين ماضي عائلتها. كما رأت أنها كانت تلعب دور العارض symptôme لوضع العائلة المسكون بالأسرار. وأصبح الوالدان أيضاً قادرين على ربط ما عاشاه وما تعيشه ابنتهما، وأصبحا يعيان كم كان هناك من اللامقال في علاقتهما بابنتهما.

معاً اكتشفنا الأحداث المؤلمة المدفونة، أماكن الظلال، الثقوب والاستراتيجيات التي تبنتها العائلة في الماضي. وأصبح للمشاعر التي تعيشها شايان اسم وجذور. لقد وجدت معنى لحزنها ، فبدأت الكتابة بالانكفاء.

في الاسبوع الماضي، وبعد سنتين من رسم شجرة عائلتها، قالت لي شايان : "هناك نظرية علمية تقول: أن البقاء هو للأصلح. مات إخوتي السبعة في رحم أمي أما أنا فبقيت حية. إذا أنا بقيت لأنني الأصلح. أنا استحق الحياة".

عاشت تسعة أشهر في رحم كان نعشاً لإخوتها السبعة، وكانت قوة الحياة في داخلها عظيمة فخرجت من ذلك الرحم/ المقبرة حية. نزوات الموت التي سكنت سرايب جسدها وروحها كشبح لم تقوَ على قوة الحياة التي فيها.

وبعد أن انكشفت الأسرار، وضعت شايان رمزياً وردة على قبر إخوتها وكل من مات قبل الأوان ميتات صادمة في عائلتها في الأجيال المتعابرة، ومشت نحو الحياة.

"تعرفون الحق والحق يحرركم" كلمات ذات مغزى للسيد المسيح.

عرفت شايان الحقيقة عن أموات عائلتها وسر موتهم الصادم والموجع الذي نُقل إليها من دون علمها في تعابر الأجيال وهذه الحقيقة حررتها. والسؤال الذي يطرح هنا: لو أخبرها والداها بكل هذه الاسرار منذ صغرها، هل كانت نزوات الموت لتكون بهذه القوة في حياتها؟

تجيب عن هذا السؤال Françoise Dolto التي تدعو الاهل إلى إخبار أولادهم الصغار بكل الاسرار التي يحملونها، وقد لاحظت في عملها كمحللة نفسية للولاد أنه عندما يخبر الطفل بهذه الأسرار لن يحتاج بعد الآن إلى تفعيلها في حياته، وعلى الأقل سيحد ذلك من تأثيرها المحتمل. وتقول: "الطفل دائماً لديه الحدس حول قصته. وإذا قيلت له الحقيقة ، فان هذه الحقيقة ستبنيه". (Françoise Dolto, 1985).

خاتمة

في النهاية، نوّد التأكيد على أن تقنية الرسم التمثيلي لشجرة العائلة تساهم في إعادة بناء تاريخ العائلة في داخل الإنسان، أنها طريقة لبناء حقيقته. إن إعادة قراءة تاريخ العائلة يساعدنا كمعالجين نفسيين وكباحثين في فهم كيف نشأ

العارض le symptôme وظروف ظهوره ودوره كحاجٍ للنظام العائلي وكحافظ وليّ للأسرار العابرة للأجيال.

إن معرفة الاطار التعابري والتاريخي والعلائقي للعائلة وفهمه يساعد المرء في استعادة حريته، وبذلك يتمكن من أن يعيش حياته هو وليس تلك التي لأهله أو لأسلافه، وبالتالي يوقف حلقة التكرار ويصبح سيد حياته.

لا نقول أن الرسم التمثيلي لشجرة العائلة بإمكانه أن يمحي الاختلالات الفردية والعائلية بعضًا سحرية، ولكن يمكنه أن يكون بداية لعمل سوف يتتابع في ما بعد، هو يفتح الباب لإحتمالات مشجعة.

المراجع

Abraham, N., & Torok, M. (1990). L'écorce et le noyau. Paris : Flammarion.

Ancelin-Schutzenberger, A. (1999). Aïe, mes aïeux!. Desclée de Brouwer.

Bowen, M. (1978). Family therapy in clinical practice. New York: Jason Aronson.

Bowlby, J.(1969), Attachment and loss, Vol. 1: Attachment. New York: Basic Books. Bowlby, 1, 1973.

Compagnone, P. (2010). Le génogramme: et si on le remettait à l'endroit.... Le Journal des psychologues, (8), 18-22.

Daure, I. (2013). Récit et recherche auprès de familles multiculturelles : de la narration à la transmission. Les Cahiers Internationaux de Psychologie Sociale, numéro 99-100(3), 327-336. doi:10.3917/cips.099.0325.

Benoit, D. (2007). Pour une application en IE des principes d'action de la "thérapie brève systémique"(ou "thérapie stratégique"). Market Management, 7(4), 135-159.

Françoise, D. (1971). Le cas Dominique. Paris, Seuil.

Françoise, D. O. L. T. O. (1985). La cause des enfants. Paris, Robert Laffont.

Guichard, D. (2006). Le psychologue scolaire et la famille. Retz.

McGoldrick, M., Gerson, R., Ackermans, A., & Van Cutsem, C. (1990). Génogrammes et entretien familial. Paris: ESF.

Reynaud, P. (2009). Le génogramme au service de l'histoire familiale dans le travail éducatif. Journal du droit des jeunes, (10), 20-25.

Christine, U. (2010). Psychogénéalogie des lieux de vie, Ces lieux qui nous habitent ; Petite bibliothèque Payot.

Méthodologie de la recherche en psychanalyse

Aline Husseini

Résumé

Freud a souvent présenté la psychanalyse comme une science et la question suscite actuellement des débats. Dans quelle mesure la pratique clinique provient de la théorie ? qu'est-ce qui distingue la psychanalyse des autres domaines de la science sociale ? Combien la pratique analytique se soutient-elle de la posture que prend l'analyste par rapport à son acte et d'un désir qui se remet en question ? Tels sont les points à élaborer dans mon article.

Mots clés : (praxis psychanalytique- la théorie - La pratique – Vignette – Inférence – Éthique - Style de psychanalyste).

التطبيق العملي للتحليل النفسي- النظرية - التطبيق - المقالة القصيرة - الاستدلال - اخلاقيات المهنة - اسلوب المحلل النفسي)

Introduction

Freud a souvent présenté la psychanalyse comme une science, et la question suscite actuellement des débats plus que vifs, avec comme conséquence, une définition plus précise de ce que l'on entend par praxis psychanalytique, qui s'oppose à la connaissance et à la théorie et que pour Lacan, la psychanalyse relève de cette praxis, sans quoi elle ne serait que l'exercice d'un pouvoir.

Entre la pratique et la théorie psychanalytique

Tandis que la pratique clinique est une méthode thérapeutique qui repose sur un ensemble de règles techniques. Or il est évident que l'ensemble des connaissances qui constituent la théorie psychanalytique, si elles proviennent en partie de la partie clinique, relèvent clairement de la théorie. Cette interaction entre pratique et théorique se retrouve dans l'ensemble du domaine des sciences sociales. Cette relation entre les deux n'est pas spécifique de la psychanalyse ; toute pratique nécessite une théorie qui lui serve de cadre rationnel de référence, par exemple en travaillant sur les conflits conjugaux, on peut penser à un autre exemple sur la triangulation œdipienne, et ou à la relation avec la mère, avec le père ou autres problématiques de troubles alimentaires, qui s'expliquent par cette relation malsaine avec la mère, et ou un refus de la féminité, une punition de soi, des pulsions de mort et ou autres.

Prenons l'exemple de la frigidité féminine ; elle peut être expliquée par une homosexualité ou une peur vis-à-vis de l'homme.

J'ai reçu dans mon cabinet en analyse, une femme X qui avait séduit plus d'un amant sans jamais atteindre l'orgasme. Ses associations libres dans le cadre de la cure analytique l'amènèrent à penser que par cette frigidité particulière, elle restait fidèle à l'amour de son père et obéissante au désir à ce père. Sans doute il était aussi important pour elle de conserver par là son désir insatisfait.

(Alors chaque analysant a un discours provenant de son inconscient qui explique d'une façon différente une même problématique).

Il faut comprendre l'information de l'énoncé, ce qui est dit – le rapport signifiant – signifié – l'analyste doit prendre en compte l'inférence de la pensée inconsciente. Dès qu'il y a lapsus, acte manqué, changement de tonalité, utilisation de figure de style, la ponctuation (les guillemets, les parenthèses, les virgules, les points d'extension, d'exclamation, le parallélisme, les métaphores, ...).

Le psychanalyste doit repérer les irrégularités de la syntaxe et du vocabulaire. Ces irrégularités proviennent de la difficulté qu'éprouve l'orateur à élaborer une formulation correcte en concordance avec son état psychique du fait du jeu des représentations conflictuelles. La caractéristique de la psychanalyse est de susciter l'activité des connexions épistémique conflictuelles d'actions habituelles et intensifier les conflits d'intention. Donc ce mécanisme d'élaboration d'un énoncé clair et précis se détériore et laisse passer des états fluctuants et désordonnés. Ensuite il faut comprendre l'intention de communication, ce que l'orateur essaie de dire. D'une part, les intentions conscientes, celle que donne le patient, recouvrent les intentions inconscientes et d'autre part comment l'analyste peut relier entre ses propres inférences.

Dans le dialogue psychanalytique, ce qui le distingue dans autres modes de communication, l'analyste ne présume pas ce que dit le patient, mais il est pertinent à ce qu'il a l'intention

consciente ou inconsciente de dire. Donc les mots ne suffisent jamais à la communication psychanalytique, on ne peut pas considérer l'acte de parole comme un fait, sa signification est la résultante d'une complexité d'inférence, et que la compréhension est déjà une interprétation.

Les progrès accomplis dans le domaine de la connaissance des pratiques se rapprochent plus des grandes découvertes que la preuve scientifique. Les cas présentés depuis les premières observations des études sur l'hystérie, en sont les témoignages. Les psychanalystes explorent part de l'âme tout comme les grands navigateurs partaient vers de nouveaux mondes. Cette comparaison n'est pas une simple métaphore. Il applique la même méthodologie = description des faits nouveaux, une présentation de la méthode d'observation, et une reproduction des observations et développement du savoir. En biologie et en psychologie expérimentale, la méthodologie est différente : on construit une hypothèse que l'on vérifie, on peut considérer que l'évolution de la forme des rapports cliniques, monographiques, vignettes et compte rendu complets de séance ou d'épisodes de séance, ont suivi les changements de divers modes exploratoires de la pratique psychanalytique.

Voilà pourquoi les psychanalystes n'ont pas à se soucier de l'objectivité scientifique dans leurs rapports de cas, pas plus qu'ils n'ont à se sentir honteux de ce que les cas qu'ils présentent montrent les inférences qui leur ont permis de mettre au jour les significations du discours de leurs patients. Ils ne doivent pas changer leur style et leur

manière, parce que c'est précisément par leur manière qu'ils parviennent à rendre compte d'une démonstration clinique (Pommier, G., 2016). La question du statut scientifique de la psychanalyse n'est donc toujours pas résolue et il est probablement illusoire de chercher à la résoudre. La présentation de cas clinique reste un instrument utile dans la mesure où l'on garde à l'esprit le principe que ce n'est pas le contenu réel du psychisme du patient qui constitue le fait.

Les trois formes de présentation dans la cure psychanalytique

Le fait est ce qui est construit par l'interaction entre les deux psychismes, il existe trois formes différentes de présentation : la première est la monographie clinique, qui est une vue d'ensemble assez longue et complète, d'un cas individuel prenant en compte les événements de la vie du patient, les symptômes et les événements latents découverts pendant la cure ; la deuxième est la vignette clinique, c'est-à-dire un extrait bref d'une cure ; la troisième forme est le compte rendu aussi complet que possible du déroulement d'une ou plusieurs séances, y compris ce qui a été dit, voire pensé par l'analyste.

La vignette clinique n'a pas pour but de démontrer une théorie à partir des faits « objectifs » mais plutôt celui de rendre sensible un certain regard clinique et de montrer par exemple comment développer ce regard. Les vignettes sont apparues très tôt dans les écrits psychanalytiques, comme le cas d'Emma pour Freud.

Dans une vignette, on doit respecter en principe d'économie; l'auteur doit réduire au minimum le nombre d'information: minimum de détails donnant un maximum de vie à la description.

Je reprendrai une rapide vignette clinique pour expliquer : une patiente m'a dit lors d'un second : « Reine, ma fille de 16 ans, est rentrée à la maison avec le bulletin de notes, s'effondre en pleurs et me demande de lui casser son cellulaire ».

A partir de l'énoncé de la patiente, les inférences nécessaires étaient :

- Il existe une adolescente qui s'appelle Reine.
- Elle ne travaille pas bien en classe.
- Un conflit avec la mère existe.

On pouvait certainement construire d'autres inférences sur cette même phrase :

- Elle dit qu'elle était sévère avec sa fille.
- Elle la menaçait.
- Elle veut que je la libère de sa culpabilité.

On voit comment l'analyste déploie automatiquement un réseau d'inférence en fonction du contenu de l'énoncé et du moment où il est prononcé, ce qui permet l'émergence d'une signification sous forme de propositions. Ce comportement s'exprime par la parole sous une forme qui, en l'occurrence, est métaphorique. Si on veut observer les normes en psychanalyse, il existe une complexité d'une approche de l'homme qui est à la fois scientifique, thérapeutique et éthique ; une responsabilité singulière du praticien, le fait que d'une certaine façon le mieux qu'on puisse attendre de celui-ci, c'est qu'il fasse preuve d'un certain savoir. Mais en l'absence

d'une norme généralisable qui séparerait clairement ce qui est psychanalyse de ce qui ne l'est pas, cette question est renvoyée à chaque analyste à reprendre la question de ce en quoi sa pratique est analytique (Pirlot, G., 2016).

Certainement être analyste : on doit respecter certaines règles que l'opinion commune connaît déjà comme l'abstention de nos propres désirs sur les patients, la non réponse à leurs demandes dans la mesure où celui-ci brouillerait l'expression de leur désir inconscient, le silence bienveillant, la régularité des séances, la confidentialité... Cela n'est qu'un ensemble de précaution mais ne donne aucune information sur le style d'une cure. Chaque analyste trouve son style peu à peu. C'est remarquable lors des supervisions ou des contrôles, où il s'agit d'entendre le texte d'un patient rapporté par un analyste, d'en lire les ressources inconscientes, de saisir l'à-propos des interventions de cet analyste, dans ce qui va se dégager de pertinence originale dans l'intervalle des séances (Vanier, A., Putois, O., Golse, B., 2016).

Lacan et l'enseignement psychanalytique

C'est ce qui faisait, disait Lacan, avec son humour et ses provocations coutumières, que les analystes débutants commençaient à faire n'importe quoi et c'était de cela même qu'il fallait partir. Il disait dans le séminaire le Sinthôme en 1975 : « Il arrive que je me pare le luxe de contrôler – on appelle ça – un certain nombre de gens, qui se sont autorisés eux-mêmes, selon ma formelle, à être analystes. Il y a deux étapes : il y a une étape où ils sont comme le rhinocéros, ils font peu à peu n'importe quoi et je les approuve toujours. Ils ont

toujours raisons ». Il s'agira ensuite, dit Lacan, dans une seconde étape, de jouer, selon les mots de l'analysant, de l'équivoque qui fait l'épaisseur du langage et radicalise la question du sens. « Car c'est uniquement par l'équivoque que l'interprétation opère, il faut qu'il y ait quelque chose dans le signifiant qui résonne », dit Lacan.

Comment entendre ce n'importe quoi de cette première étape ? Cela signifie qu'on ne peut pas partir de quelque consigne d'abstention, mais qu'on part au contraire de ce qu'un analyste engage de réel dans la parole, avec ce que cela implique de tâtonnements, d'engagement de son désir d'analyste. Cela répond, remarquons-le, au « dites quoi » énoncé par le psychanalyste à son patient. Cela reprend ce dont il a été question plus haut, la tentative de définir le désir de l'analyste de façon positive, à partir de ce qui pourra faire sens dans le langage. Cependant cette pure différence entre signifiants n'est pas ici un énoncé linguistique, donnant lieu à des combinaisons diverses ou justifiant toute une variété de commentaires, cette pure différence brute sur le réel du passage par un autre, le psychanalyste qui, tout en étant semblable, pour le patient, ne se met pas à cette place-là, mais tient lieu et temps d'une altérité dissymétrique, sans l'appui de la ressemblance (Lacan, J., 1964).

L'analyste se met au lieu de ce que Lacan appelle l'Autre. Ce lieu et ce temps où se met le psychanalyste sont sans doute les garants de l'efficacité symbolique nécessaire à la fiction de la vérité, de ses effets réels d'inscription, subjective. L'altérité proposée par le dispositif psychanalytique n'est donc

pas celle d'une personne à l'autre, ou bien d'une personne transcendance divine. Le psychanalyste sait que la cure va parcourir des espaces et des temps de transformations qui vont de la place de l'Autre à celle d'un objet qui sera périodiquement rejeté à l'occasion et au profit d'une séquence de signifiants qui trouveront chez son patient la chance de leurs sens.

Donc chaque psychanalyste a son style, et ce style appartient à l'art, et il est pertinent en ce qui concerne la psychanalyse. Ce n'est pas quelque chose que l'on définit au départ, mais qui se trouve, et, surtout qui se pense peu à peu en incluant la contingence de ce qui surgit, comme événement, comme parole, comme acte. Alors nous avons préféré parler de style plutôt que de technique. La technique analytique se résume-t-elle à une question de style ?

Pour sa part, Freud n'a cessé d'exposer des problèmes de technique, depuis ses études sur l'hystérie (1895). Ce n'est pas qu'il utilise ce terme de façon exclusive mais il ne l'évite aucunement. Dans ses conseils au médecin sur le traitement psychanalytique (1912), il nous dit « cette technique est la seule qui me convienne personnellement. Peut-être qu'un autre médecin, d'un tempérament tout à fait différent du mien, peut-il amené à adopter à l'égard de malades et de la tâche à réaliser, une attitude différente. » (Freud, S., 1920) Après la mort de Freud, il est vite apparu que seule la technique pouvait faire communauté chez des analystes que tout séparait, aussi bien quant à l'individu qu'ils se faisaient des buts de la cure, qu'à propos de concepts fondamentaux : inconscient, transfert, résistance etc.

Rappelons que l'exclusion de Lacan d'IPA a été motivée par sa pratique des séances brèves et non pas par des désaccords théoriques. Il est inévitable sans doute que l'analyste débutant prenne modèle sur son propre analyste, voire découvre à sa surprise, dans son style, un trait d'identification à cet analyste. Mais cela ne devrait être que marginal car l'analyste dans son interaction affective, quoi qu'il veut, ne peut s'autoriser faire de lui-même.

Léa et l'attente (étude de cas)

Je veux présenter un cas parlant de stérilité : Léa, 30 ans, venait en analyse pour problème de stérilité, ça fait 4 ans mariée. Elle a fait un avortement avant son mariage, pas de problèmes biologiques.

Léa insiste, lors de ses séances, que c'est son corps qui refuse d'être mère, que les causes sont psychosomatiques, ce sont ses paroles. Lors d'une séance, elle manifeste sa peur d'être mère, de ne pas être à la hauteur, un sentiment qui l'accompagnait depuis sa petite enfance projeté par une mère qui la dévalorise et un père qui ne la remarque pas, qui ne le regarde pas. Léa parlait de cette peur d'avoir un enfant et lui faire subir de sa part à cet effet ces peurs et ces blessures de l'enfance qu'elle a, elle-même, subit étant toujours triste, seule, délaissée, humiliée, comparée par ses deux sœurs, surtout de la part de sa mère et ses tantes maternelles.

Lors d'une séance où elle racontait son expérience traumatisante d'avortement, elle me disait : Je suis sûre que ce n'est pas biologique, j'ai pu passer le test, je peux enfanter mais les circonstances ou quelques choses d'autre ne le permettent pas. Elle continue à décrire le sentiment qu'elle a vis-à-vis de l'embryon qui lui fait rappeler sa mère. Léa, par la grossesse, comme si elle incorpore la mère dans son ventre, elle avait des émotions intenses de haine envers cette dernière, alors elle avortait l'enfant comme si elle veut détruire la mère incorporée. Cet avortement est accompagné de beaucoup de culpabilité et d'autopunition. Mais elle insistait toujours, lors des séances, que ce n'est pas ça seulement, son corps veut dire d'autres choses. Et comme disait Freud l'inconscient n'a pas de temps, elle découvre un secret de famille endeuillé depuis presque 100 ans, réparti sur 4 générations. Alors en parlant de l'arbre généalogique, elle me raconte d'une façon humoristique (certainement très angoissante) que ses arrières grands-parents sont mariés : mariage d'inceste : ce sont frère et sœur. Voilà qu'un noyau incestueux qui va propager une autre génération et psychose. Sa grand-mère maternelle sortait sans la rue, hallucinait, criait..., elle était diagnostiquée schizophrène mais elle n'était pas hospitalisée. La troisième génération est formée de sa mère, ces 5 tantes non mariées, dont une a abusé Léa sexuellement à l'âge de 7 ans.

Voilà que ces enkystements se sont transmis pour arriver à la génération de Léa et cette dernière décide par le biais de son corps, par la stérilité de jouer un moyen de contraception et arrêter cette filiation pathologique provenant d'inceste.

Léa continue sa recherche dans l'inconscient, lors d'une séance, elle me racontant un rêve : son mari (qu'elle aime beaucoup et a une très bonne relation avec lui) a été en prison, l'a délaissée et elle allait pour le voir, accompagnée de sa mère et ses tantes. Elle perd le chemin qui l'amène à la chambre où se trouve son mari, et elle remarque que sa mère l'abandonne pour aller quelque part avec les tantes : « Je l'attendais, je l'attendais des heures pour que ma mère revienne mais elle n'est pas revenue ».

Léa commençait à parler de ce rejet provenant de la mère, l'abandon successif... la peur de la perte de son mari, qui représente pour elle une sécurité... Et elle commence à parler de ce signifiant maître : l'Attente ; je suis toujours dans cette attente , j'ai pas cessé dès ma petite enfance d'attendre » : c'est la mère que Léa attend, c'est l'amour, l'attention, l'acceptation de la mère qu'elle attend, mais sa mère aussi était la messagère de l'attente : Léa, étant petite, non désirée car elle était la troisième fille, attendait un pénis ; puis elle détestait sa féminité et elle attendait ses seins, ses règles, puis elle attendait le prince charmant comme la belle au bois dormant, elle attend le mariage, et voilà chaque mois elle attend l'ovulation, elle attend un enfant. Elle attend, son corps attend mais refuse cet enfant. Elle n'en finit pas d'attendre, et comme ces attentes sont pour la plupart liées à des expressions non maîtrisables de pertes réelles de partie d'elle-même ou de ses objets qu'elle ne peut symboliser.

Pourquoi la stérilité ? Pas de théories scientifiques... mais ce qui est sûr Léa continue à chercher dans son discours d'analysante

ses secrets fouillés, ses hontes et ses peurs endeuillées et ses dettes de famille fantomatisées.

Voilà, si le métier d'analyste s'apprend dans une certaine mesure, il ne se transmet qu'au sens précis où le désir qui l'anime, lui, ne s'apprend pas mais qu'il peut être contagieux.

Lacan a été plus radical au terme de son enseignement quand il affirmait que la psychanalyse n'était pas transmissible et qu'il fallait que chaque analyse la réinvente. Je le pense tant que l'invention de chacun, avec son style propre, sera soutenue par ce triple désir thérapeutique, scientifique, éthique, qui fut celui de Freud.

Bibliographie :

Freud, S., (1920). "Au-delà du principe de plaisir", in Essais de Psychanalyse. Paris, Payot, 1967

Lacan J (1964), Les quatre concepts fondamentaux de la psychanalyse, Texte établi par J-A. Miller, Paris, Seuil (coll.Point), 1973

Pirlot, G., (2016). La psychosomatique entre psychanalyse et biologie

Pommier, G., (2016). Comment les neurosciences démontrent la psychanalyse, Paris , Champ Flammarion.

Vanier, A., Putois, O., Golse, B., (2016). Épistémologie et Méthodologie en psychanalyse et en psychiatrie, Paris, eres

L'entretien semi-directif : entre la prédétermination du questionnaire et la liberté de l'entretien non - directif

Anne-Marie Ghossaini

Résumé

Ce document traite essentiellement les différents types d'entretien : le questionnaire, l'entretien non-directif, l'entretien semi-directif afin de mieux montrer les particularités de ce dernier.

Mots clés : L'entretien semi-directif, Le questionnaire, L'entretien non-directif, Le guide d'entretien

Introduction

L'individu est un chercheur de sens. Il a besoin d'analyser l'environnement dans lequel il vit afin de s'y adapter de son mieux. Cette quête de sens se retrouve dans la vie quotidienne, à travers la « connaissance spontanée » qui fait partie du « sens commun ». Elle permet à l'individu de décrire le milieu dans lequel il évolue et l'aide à s'y baigner.

Cette « connaissance spontanée » est sans cadre scientifique précis. Elle explique les phénomènes par une seule cause, tout en recourant à la catégorisation de l'autre, au jugement, aux représentation sociales...

Il va sans dire, que la « connaissance scientifique » va à l'encontre de la « connaissance spontanée » du sens commun, puisqu'elle est issue « de méthodes et procédés visant à garantir que leur portée est plus générale que celui du contexte de leur production. » (Weil-Barais, Cupa, 1999, p.13)

Ces différents procédés peuvent être divisées en trois principales approches méthodologiques :

- L'approche quantitative basée sur l'utilisation de données numériques.
- L'approche qualitative basée sur l'utilisation de données non numériques.
- L'approche mixte basée sur l'utilisation de données numériques et de données non-numériques.

Les données dites quantitatives sont collectées par le chercheur au moyen d'un questionnaire. Par contre les données dites qualitatives sont, le plus souvent, collectées par les chercheurs au moyen d'un entretien (entretien non-directif et entretien semi-directif).

L'entretien - comparé au questionnaire – permet d'obtenir des données narratives qui permettent aux chercheurs d'examiner plus en profondeur le point de vue des gens, et d'explorer la construction du sens. L'entretien est une technique reliée aux méthodes de recherches qualitatives visant à étudier les trajectoires individuelles et l'interaction de l'individu avec l'autre et avec le contexte.

■ Les trois types d'entretiens : Le questionnaire, l'entretien non-directif, l'entretien semi-directif

Les recherches en sciences sociales se basent sur trois types d'entretiens, le questionnaire, l'entretien non-directif, l'entretien semi-directif selon les besoins du chercheur.

Dans ce qui suit, nous élaborerons ces différents types d'entretien, afin de mieux montrer la spécificité de l'entretien semi-directif.

1. Le questionnaire :

Le questionnaire, encore appelé interview directif, « est utile pour obtenir des informations factuelles » (Broc, 2017, p.148). Il se caractérise principalement par le recours à des questions fermées, directes et prédéterminées. Ces questions peuvent être dichotomiques, à choix multiples ... et nécessite un nombre limité de réponses immédiates.

a) Exemple de questions dichotomiques : (Ibid. p.149)

- Avez-vous rencontré la psychologue du service ?
 - o Oui
 - o Non
- Le don de moelle osseuse ne nécessite pas d'être hospitalisé.
 - o Vrai
 - o Faux

b) Exemple de questions à choix multiples : (Ibid.p.149)

- Votre régime d'assurance maladie :
 - o Général
 - o Spécial
 - o Indépendant/libéral
 - o Fonction publique

1-1. La particularité du questionnaire :

Le questionnaire ne permet pas beaucoup de flexibilité. L'enquêteur doit aborder les questions les unes après les autres, selon la structure adoptée par le questionnaire, lire les questions ainsi que les réponses à cocher telles qu'elles sont écrites noir sur blanc, et par la suite cocher l'énoncé choisi par le participant.

L'enquêteur n'a pas besoin d'être très expérimenté pour arriver à mener l'enquête.

1-2. L'administration du questionnaire :

Le questionnaire peut être administré par l'interviewer suite à une prise de rendez-vous ou de « manière opportuniste à la rencontre des participants » (Ibid. p.151) devant un supermarché par exemple, ou encore par téléphone. Comme il peut être diffusé par mail, ou à travers « des logiciels d'enquête et de création de formulaires en ligne, tels que (...) Google Forms » (Ibid. p.151).

2. L'entretien non directif:

« L'entretien [qualitatif] a pour visée de faire s'exprimer un individu pour recueillir des informations à propos d'un thème particulier (p. ex., le mode de vie de ce dernier, ses motivations, son ressenti et son vécu par rapport à un événement, une situation expérimentale, etc.) ». (Broc, 2017, p.139)

Contrairement à l'entretien directif, le déroulement et la structuration de l'entretien non directif va dépendre de la démarche personnelle de l'interviewer. D'où l'importance que le chercheur soit expérimenté. Il pourra centrer l'entretien sur les sujets prioritaires et nécessaires à la recherche.

L'entretien non directif est idéal pour sonder des informations complexes et subjectives. Il en ressort des informations détaillées, impossible à obtenir via une méthode quantitative, quelle qu'elle soit.

c) Exemple d'un entretien non structuré :

- o Alors parlez-moi de vous...

2-1. La particularité de l'entretien non directif :

Ce type d'entretien se caractérise par une grande flexibilité et pour l'interviewer et pour les personnes interrogées. Il n'y a pas de planification, et d'organisation du déroulement des questions. L'interviewer serait plutôt enclin à laisser à l'interviewé la liberté d'élaborer selon son choix les diverses questions de l'entretien.

2-2. La conduite de l'entretien non directif :

L'entretien non-directif ne peut être réalisé qu'à travers l'interaction de face à face entre l'interviewer et l'interviewé. Il faut laisser le répondant s'exprimer librement sans l'interrompre, sinon l'inciter à continuer à travers des relances.

Le lieu doit être calme, l'interviewé pour parler librement doit se sentir à l'aise.

3. L'entretien semi – directif :

L'entretien semi- directif est une technique qualitative de recueil de données qui permet l'analyse de l'univers mental conscient et/ou inconscient de l'individu. Il se situe quelque part entre le questionnaire à structure prédéfinie d'avance, et l'entretien non directif qui est totalement libre sans structure.

3-1. La particularité de l'entretien semi-directif :

L'entretien semi-directif permet de conjuguer, dans ce qu'on appelle « le guide d'entretien », la structure du questionnaire à travers des questions prédéterminées en forme d'une liste de sujets possibles, et la flexibilité des échanges de l'entretien non-directif qui laisse place à l'inattendu.

Mais contrairement au questionnaire, l'entretien semi-directif n'enferme pas le discours de l'interviewé dans le cadre fermé des questions prédéfinies. Comme il joue un rôle central dans l'orientation du propos de l'interviewé vers les différents thèmes qui devraient être intégrés dans le fil discursif de l'interviewé afin de contourner les thèmes dont on n'a pas besoin pour la recherche.

3-2. Le recours à l'entretien semi-directif :

On a recours à l'entretien semi-directif comme technique dans une recherche qualitative à caractère exploratoire. Comme il peut être utilisé comme une technique d'approfondissement de données spécifiques relevées à partir d'un

entretien libre. Ou encore comme un complément d'une étude quantitative (statistique) qui apporte une richesse dans les informations recueillies grâce aux questions ouvertes du guide d'entretien.

3-3. Le guide d'entretien :

3-3-1 Définition et rôle :

Le guide d'entretien est un memento, un guide des sujets qui seront abordés lors de l'entretien. Le rôle principal de ce guide est justement de structurer quelque peu l'interview.

3-3-2 Le choix des thèmes :

Le choix des thèmes du guide d'entretien, dépend :

- De la question de recherche
- Des problématiques spécifiques reliées à la théorie
- De la revue de la littérature qui sont des lectures sur l'objet de recherche.

3-3-3 Conception du plan du guide d'entretien :

Un guide d'entretien sera regroupé en plusieurs sujets possibles mais prédéterminés, chacun comportant quelques questions plutôt ouvertes qui permettent à l'interviewé de répondre d'une façon « assez » libre, parce que centre sur des thèmes spécifiques selon les besoins de l'étude.

En pratique, le guide d'entretien comporte :

- Une introduction qui est un rappel de l'étude et de son déroulement
- Des questions fermées dont le but est les informations

descriptives concernant le profil social de l'interviewé. C'est une sorte de carte d'identité qui nous renseigne sur l'âge, le niveau d'éducatif, le niveau économique... de l'interviewé

- Les thématiques choisies pour être abordées avec l'interviewé sont rédigées sous forme de questions ouvertes et contiennent des sous thématiques. Notons qu'il est utile de placer les différentes thématiques dans un ordre logique, relié à l'étude, et cela, même si pendant l'entrevue on va suivre la logique de l'interviewé.

d) Exemple d'un guide d'entretien (Ghossain, 2005, p.159)
Guide d'entretien concernant le sujet : Impact de la violence domestique sur la femme

Premier axe :

- Détermination du temps, du lieu et de la durée de l'entretien.
- Détermination du choix du cas.
- Détermination des personnes qui nous ont conduit à ce cas.
- Carte d'identité : - année du mariage, nombre d'enfants, les raisons du mariage : (amour, mariage arrangé)
 - âge, niveau éducatif et professionnel de la femme.
 - âge, niveau éducatif et professionnel de l'homme.

L'homme violent est : un ancien enfant battu, un drogué, un alcoolique, a un problème psychique, perd son contrôle, stressé au travail, provient d'un milieu défavorisé, sa relation avec ses parents...

■ Deuxième axe :

- Les causes qui mènent à la violence : les derniers excès de violence en détail.

- Les types de violences qu'elle subit. Jusqu'où peut-elle supporter le cycle de la violence ?

■ Troisième axe :

- La réaction de la femme face à la violence : se tait, le provoque, quitte la maison (puis revient), n'accepte plus de faire une relation sexuelle avec son mari. Fais-t-on entrer une tierce personne dans le conflit : les parents, le prêtre, le cheikh, les avocats, les assistantes sociales...

- Le rôle des proches dans le genre de solution retrouvée : la femme doit obéir à son mari, l'homme ne doit pas battre quelqu'un de plus faible que lui, c'est à l'homme de comprendre la femme car il est plus intelligent.

- La réaction de l'homme face à la violence : il regrette, il pleure, promet de ne plus recommencer, fait vivre sa femme une nouvelle lune de miel, en étant attentionné aux désirs de sa femme, en lui apportant un cadeau.

- Quand est-ce que l'homme redevient violent ?

- Comment voit-elle l'homme après son acte de violence ?

3-4. La conduite de l'entretien semi-directif à la manière d'une conversation :

La conduite de l'entretien doit se réaliser sous la forme d'une conversation. D'ailleurs, l'une des compétences les plus difficiles consiste justement, à passer d'un sujet ou d'une question à une autre, tout en ayant l'apparence d'une conversation normale et tout en couvrant tout le contenu du

guide d'entretien. (Turner, [https://www.quirkos.com /.../ guide-entretien semi-structuré qualitat ...](https://www.quirkos.com/.../guide-entretien-semi-structure-qualitat...))

Ceci fait du guide d'entretien une sorte d'aide-mémoire permettant à l'interviewer d'être sûr d'avoir passé en revue toutes les questions élaborées dans le guide même si l'ordre n'a pas été suivi.

En Pratique dans les entretiens semi-directif, il est très rare que vous posiez une question, obteniez une réponse, puis que vous passiez au sujet suivant. Tout d'abord, vous devrez fournir une structure au participant afin qu'il ne soit pas tenu (ou encouragé) de réciter toute l'histoire de sa vie. Mais à un autre niveau, vous voudrez généralement approfondir vos connaissances sur des problèmes ou conditions spécifiques. C'est là que l'approche flexible entre en jeu. (Turner, [https://www.quirkos.com /.../ guide-entretien semi-structuré qualitat ...](https://www.quirkos.com/.../guide-entretien-semi-structure-qualitat...))

3-5 L'entretien semi-directif une conversation pas comme les autres :

L'entretien semi-directif n'est pas une conversation de la vie quotidienne. En effet, cette dernière n'a pas un objectif explicitement mentionné, comme dans l'entretien semi-directif. De plus, dans la conversation de la vie quotidienne on évite de se répéter en parlant à l'autre, on a recours à des réponses assez brèves que la politesse le permet sinon on sera considéré comme quelqu'un qui parle trop par exemple. Or, à travers l'entretien conversation, la répétition de certaines réponses par le répondant nous permet de vérifier

la fiabilité des données et peut révéler de nouvelles informations.

3-6. Les biais lors de la conduite de l'entretien :

L'entrevue est une conversation qui selon Bourdieu (1993) a pour objectif la connaissance scientifique. Mais cette relation sociale particulière dans le cadre de l'entrevue « n'est jamais neutre et peut influencer les résultats de la recherche » (Soares, 2000, p.42). Il existe des distorsions qu'il faudrait rendre visible afin de pouvoir les atténuer.

3-6-1 Les facteurs reliés à la situation de l'entretien :

Plusieurs facteurs peuvent interférer dans les résultats de la recherche. Des facteurs reliés à la situation de l'entretien. Malgré la flexibilité qui caractérise ce dernier, il y a, comme le souligne Bourdieu (1993) un caractère intrusif et un peu arbitraire du côté de l'interviewer. L'interviewer, n'est pas seulement celui qui assigne les objectifs à suivre lors de la conduite de l'entretien, mais il est celui qui possède aussi le capital culturel ce qui le rend dominant. Parfois en cherchant à bien mener le travail sur le terrain, en recherchant la « Vérité scientifique » l'interview devient une sorte d'interrogatoire. Ce qui ne favorise pas « la mise en confiance du participant [et] qui [ne] s'exprime plus aisément et de façon plus profonde sans craindre le jugement d'autrui." (Broc, 2017, p.140).

3-6-2 Les facteurs reliés aux rapports des groupes d'appartenances de l'interviewer et de l'interviewé :

Il y a aussi les biais dûs à la différence de classe, de race, d'ethnie, de culture, de sexe entre l'interviewer et l'interviewé et qui mènent à la reproduction des relations de domination telle qu'elle se trouve dans la société globale.

Prenons l'exemple du biais du genre, Cockburn (1983, cité par Soares (2000)) a remarqué que dans le cadre d'une interview d'homme à homme, l'interviewé homme pourra faire passer des sous-entendus à caractère sexuel par exemple. Autre enjeu de distorsion, la solidarité qui pourrait se créer entre eux, la solidarité avec le groupe d'appartenance « Homme ». Par contre, dans le cadre d'une interview de femme à homme, Cockburn (Ibid.) souligne que c'est « le spectacle des excuses » qui pourrait prendre le dessus lorsque l'homme va utiliser des « gros mots ». C'est l'impact du sexisme bienveillant qui caractérise la relation entre le groupe homme et le groupe femme dans la société patriarcale.

3-7 Les différentes stratégies de dépassement des biais de l'entrevue :

Selon Broc (2017, p.141) « le chercheur doit faire preuve des qualités humaines (p. ex, écoute, acceptation inconditionnelle, attitude non jugeante. (...)) l'empathie. »

De plus, selon Turner (Turner, <https://www.quirkos.com/.../guide-entretien-semi-structure-qualitat-...>), il faudra que les questions principales du guide aient une signification pour le

participant afin qu'il puisse s'engager dans le processus de l'entretien. Qu'elles soient assez informelles et ne comporter aucun jargon (à moins que cette personne ne soit un expert dans ce domaine du jargon). Comme elles doivent être ouvertes de manière qu'il soit difficile de répondre par un oui ou par un non afin de pouvoir passer du discours du répondant vers son monde.

En conclusion nous aimerions souligner que parmi les diverses formes de collecte d'informations, le psycho-sociologue accorde une importance particulière à l'entretien semi-directif, et cela parce qu'il choisit au préalable les thèmes qu'il va élaborer avec le répondant. Ce qui va cadrer la parole du répondant tout en lui laissant la liberté de s'exprimer sur les thèmes disposés dans le guide d'entretien. Mais « Il faut que [l'interviewer] sache que le savoir premier, n'est pas dans sa tête mais dans la tête (...) [des l'interviewés] et qu'il y a une rationalité de leur comportement. » (Soares, 2000, p.42-43)

Références :

- Alshenqeeti H., (2014), Interviewing as a data collection method: a critical review, sciedu press
- Bertaux, D. (1998). Les récits de vie, Paris : Nathan.
- Bourdieu P. (1993), Comprendre, dans P. Bourdieu (dir.), La misère du monde, Paris, Seuil (p.903-939).
- Cornaton, M. (2001). Le lien social Etudes de Psychologie et de Psychopathologie Sociales. Limonest : L'interdisciplinaire Système(s).
- Broc G.,(2017), Méthodologie pour psychologues, Paris: deboeck
- Dias de Figueiredo A, (2010) A concise introduction to qualitative methods in information science & Technologies, department of informatics engineering, University of Coimbra. <http://fr.slideshare.net/doha07/quantitative-qualitative-research>

- Ghossain A. M., (2005), l'impact de la violence conjugale sur l'identité personnelle de la femme libanaise, mémoire de D.E.A., Institut des Sciences Sociales, Liban
- Interrogation – <https://lawshelf.com/courseware/entry/interrogation>
- Kaufmann, J-C. (1996). L'entretien compréhensif. Paris : Nathan
- Kumar R., (2012), Research methodology, London : SAGE Publications
- Ndong S.O., (2015), La dualité étude-travail chez les étudiants, Master1, Université de Poitiers
- Soares, A. (2000). Entrer dans la danse. Dans Welzer-Lang, D. (dir.), Nouvelles approches des hommes et du masculin. Toulouse, France : Presses Universitaires du Mirail (p.39-50)
- Stuckey HL (2013), Three types of interviews : qualitative research methods in social health. J.Soc Health Diabetes
- Turner, (2016), Developing an interview guide for semi-structured interviews <https://www.quirkos.com/.../semi-structured-interview-guide-qualitat...>
- Weil-Barais, Cupa, (1999), 100 fiches pour connaître la psychologie, Bréal
- Williams L., (2018), Ultimate interview, London, Kogan page
- Willis and Prescott, (2015), semi-structured interviews for educational research, University of Liverpool, <https://fr.slideshare.net/.../semistructuredinterviews-educational...>

النماذج العلائقية في الأغاني العربية تقنية تحليل المضمون تطبيقياً

السيدة سعاد علم الدين
تحت إشراف د. رجاء مكي

ملخص

إن علم النفس الاجتماعي بحاجة إلى البعد التحليلي لفهم الظواهر اللاواعية في الحقل الاجتماعي، من توترات داخلية وأليات دفاعية، وصراع على السلطة والظواهر المصاحبة لها... من هنا نرى الأغنية اللبنانية ما هي سوى رموز بحاجة إلى تفكيك وتحليل لنصل إلى المعاني المضمرة وما تحمله في طياتها من علاقات وتفاعلات وديناميات، خاصة لو كان النموذج هو "الحبيبين" وعلاقة "أنا / آخر".

الكلمات المفتاحية: (تحليل المضمون - العلاقة والتعلق - اللاوعي الجمعي)

(L'analyse de contenu – La relation et l'attachement – L'inconscient collectif)

مقدمة

لم تكن الأغنية منذ ولادتها وحتى اليوم سوى وسيلة من وسائل التعبير إلا أنها المحببة إلى السمع إما لعذوبة موسيقاها وإما لوصول الكلمة إلى الأعماق وإما محبة بمؤديها وكل هذا يساعد الأغنية في وصولها إلى الجمهور الذي يسمع ما يريد أن يقول، وكأن الأغنية هي بصوته وبكلماته وبموسيقاه، فالأغنية لطالما كانت تعبيراً عن لوعة وفراق وحب وعناق وعشق وصرخة وألم.

فالأغنية تتبع من الإنسان لتصب في إنسان آخر، إذ أنها مجموعة مشاعر تبحث عمّن هو بحاجة إليها؛ لهذا فهي تتبع من ثقافة مجتمع ما، يعيش فيه هذا الإنسان المتأثر بهذه الثقافة الأم، ثقافة مجتمعه، وتعكس روح الجماعة الإنسانية وحسّها ومزاجها والبيئة التي تعيش في كنفها وهكذا تستطيع أن تتحكم، بتأثيرها، في المتلقي.

الأغنية أداة تواصل بين الحبيبين

إن التواصل بدأ مع بداية التكوين المجتمعي ولن ينتهي إلا بانتهائه، ولولا وجود

ذات وآخر لما كانت الأغنية. من هنا يمكننا اعتبار الأغنية أداة من أدوات التواصل.

كما ذكرت مدرسة بالو التو Palo Alto - كاليفورنيا- " Il est impossible de ne pas communiquer " ذلك في عنوان لمقدمة صفحتها الالكترونية، أي أنه "لا يمكننا أن لا نتواصل"، وبأن الاتصال يحتوي على مضمون يُحمل من خلال علاقة، وهذه المدرسة تؤكد على أن الاتصال سيرورة اجتماعية وأن العلاقات بين الاشخاص هي التي توضح وتبين نشاط الحياة الاجتماعية.

لإنتاج أي أغنية تحتوي على هذا الكل المركب من المواقف والرموز والدلالات والمعاني والإشارات، لابد أن تكون موجهة إلى مكانٍ ما من مكانٍ ما، إلى شخصٍ ما من شخصٍ ما، ولولا هذه التركيبة لما كان هناك مغنٍ ولا مستمع ولا مضمون.

إذاً الأغنية ما هي سوى رموز بحاجة إلى تفكيك وتحليل فكيف لو كان النموذج المنوي العمل عليه هو "الحبيبين"؟. نرى من خلال علاقتهما "أنا - آخر" خاصة من خلال التعبير الغنائي، "حب وكره" (Klein, 2001) يعتمد المد والجذر على طول الخط، بحر هادئ أحياناً وموج غاضب أحياناً أخرى.. وهكذا؛ بهدف أن نصل من خلال هذه الأغاني إلى أعماق الحبيبين وكيفية رؤيتهما للذات الأخرى (زيغور، 1987) وكيفية التعبير عنها (Freud, 1920) عبر كلمات وألحان وغناء...

تقنية تحليل المضمون تطبيقياً

هذا العمل هو نتيجة لدراسة تمت عام 2016 لنيل شهادة دبلوم دراسات معمقة في علم النفس الاجتماعي، حيث تم تطبيق تقنية تحليل المضمون، على عينة من خمس عشرة أغنية لبنانية: خمس مغنيات وعشرة مغنيين؛ احتلت المراتب الأولى من حيث الاستماع والتنزيل والارسال والتداول عبر وسائل الاتصال والتواصل الاجتماعي وخاصة عبر تنزيلها إما Youtube أو عبر 4Shared و listenarabic لعام 2010.

ولهذا وقع اختيارنا، في هذا اليوم المنهجي الطويل، على ثلاث أغانٍ ممثلة للعينة ومقسمة إلى ثلاث فئات بحسب الجنس، وهي على الشكل التالي:

<p>3. رامي عباس: افرح فيكي انا جاي الليلة افرح فيكي، غنية جبي راح غنيكي وقدملك حالي وقلبي الغالي وشو عبالي، انا حبيبك انا بدي افرح يا ناس، بدي بعنيها دوب بدي بسحر الاحساس، ارسم ع الشمس قلوب انشالله اتوفق فيكي انشالله عمري اعطيكي وبالله باسمي بسميكي، انا جاي قدم كل سنيني، انا بدي اكر من تحبيني بدي بايديكي وبعنيكي موت عليكي ارجع اخلق انا</p>	<p>2. جوزيف عطية: تعب الشوق سلم يا حب علي اللي غاب عني وراح قلو ما نسيت حبو نهار لا ما نسيت قلو هالقلب بعدو صار كلو جراح مهما قسي أنا ما قدرت يوم نسيت قلو العمر من بعدو شو بينفعي لو ضلو بعيد اندهلو ما يسمعي رجع شي يوم ويرحمني من هالعذاب صار لو كثير مسهرني.. تعب الشوق يشقلو.. تعب القلب يندهلو، قلبي ما حب من قبلو لاعندي حنين لعيونه، وعمري لمين من دونه ان مرقو سنين، ما بخونه لو خان كل العشاق، وعدي الو مهما بقي عني بعيد، يبقى معي رفيق الروح مهما غاب، قلبي معو حتى ان ترك قلبي وحيد ناظر انا رجوعو الي يمحي العذاب</p>	<p>1. اليسا: عبالي حبيبي عبالي حبيبي.. أغمرك ما اتركك.. اسرقتك ما رجعتك.. احبسك ما طلعتك.. من قلبي ولا يوم.. اخطفلك نظراتك..ضحكاتك حركاتك.. علقن بغرفتي.. نيمن عا فرشتي.. احلمن بغفوتي.. تحلى بعيني النوم.. ليلة الإلبسلك الابيض.. وصير ملكك والدي تشهد.. وجيب منك انت طفلك انت مثلك انت..عيش حدك عمري واكثر.. وحي يكر كل ما نكبر وشيب لما تشيب عمري يغيب لما تغيب..عبالي تكملني.. واسمك تحملني..بقليك تحبيني.. من الدنيا تحميني..وتمحي من سنيني، كل لحظة عشتها بليك.. وعبالي تجرحني لحتى تصالحي.. بلمسة ضوونه بغمرة مجنونة، وما غمض عيوني الا وأنا وياك..</p>
---	---	--

جدول رقم 1: أغاني العينة وكلماتها

ومن هنا تم تطبيق تقنية تحليل المضمون على هذه الأغاني من خلال إعادة تحليلها موسيقياً وكلامياً:

الفكرة- الكلمة- مؤشر- دلالة ومن ثم تأويلها لنصل إلى كيفية العلاقة بين الحبيبين؛ وذلك من خلال عناوين رئيسية تحمل في طياتها نظريات ومفاهيم تم العمل عليها وهي على الشكل التالي:

1. الموسيقى في الأغاني

تعتبر الأغاني اللبنانية المعاصرة نوعاً ما، أغاني قصيرة، ليس فيها تكرارات كثيرة كما كانت في الماضي، سريعة في الألفاظ والتعابير وفي الموسيقى أيضاً، كما تحمل في طياتها الثقافة والهوية اللبنانية.

وبما أن الموسيقى هي جزء لا يتجزأ من الأغنية اللبنانية، وتحمل مضموناً ثقافياً كما الكلمات، لهذا كان تحليلها كالتالي:

عينة الأغاني						
اسم المغني	اسم الاغنية	نوع الاغنية	نوع الموسيقى	نوع المقام	نوع الإيقاع	الالة الأكثر استخداما
اليسا	عبالي حبيبي			نهوند / مينور	غربي	بيانو، كمنجا، أورغ كهربائي
جوزيف عطية	تعب الشوق			كورد / مينور	غربي	اكورديون، كمنجا، أورغ كهربائي
رامي عياش	افرح فيكي	صاحبه	مغني	كورد / مينور	شرقي مقسوم مركب بايقاع عربي	مزمار، كمنجا، أورغ كهربائي

جدول رقم 2: تحليل مضمون الأغاني بحسب موسيقاها

نرى من خلال هذا الجدول بأن الموسيقى هي عبارة عن مزيج وخليط في لحن الأغنية اللبنانية وفي خيار تركيبتها، وفي اختيار ألحان هجينة أو مقتبسة من أغاني أجنبية، وبما أن الموسيقى والألحان هي خاصة بالفرد ينشأ عليها منذ أن كان في رحم أمه، فهل اعتاد على صورة أم حاضرة غائبة؟ (Ainsworth, 2014) إننا لم نجد موسيقى أو إيقاعاً عربياً بحثاً، أو أن ثقافة المجتمع اللبناني تقبل أكثر من باقي الثقافات العربية على هذه الخلطة وهذا المزيج؟ (طرابيشي، 2000) كالدف مع البيانو، المزمار والربابة مع الموسيقى الغربية..

2. الحب والتعلق في الأغاني

العلاقة مع الآخر والتعلق به مرتبطان ارتباطاً كبيراً بطفولة الفرد، وللأم أهمية كبيرة في تبلور علاقاته المستقبلية مع الآخر، ولهذا سوف نرصد علاقة الحب والتعلق ومدى علاقتهما ببعضهما وكيفية وجودهما والتعبير عنهما في الأغاني.

تصنيف الفئات						
الفكرة	المغني واسم الاغنية	التكرار	المؤشرات	المتغير	الدلالة	التأويل
أليسا عبالي حبيبي	جوزيف عطية تعب الشوق	ما اتركك، ما رجعتك، ما طلعك	الحاجة إلى الآخر الحبيب و الخوف من الترك	ب.م.ب.م.ب.م.ب.م.ب.م.ب.م.ب.	الضعف والحاجة للتأمين والأمان والحماية من الآخر يجعله في وضعية اتكالية وحب انصهاري بالآخر الحبيب، وعدم رؤية الذات سوى من خلاله والشعور بالارتهان وعدم القدرة على العيش بعيدا عنه.	الوضعية الاجتماعية الشرقية كنتقسيم جندي تسمح للمرأة في التعبير عن نفسها وتعبئتها وانكاليته وتضعضع تقفها بنفسها وبالفرغ العاطفي الذي تعيشه من خلال قلقها من الهجر. نجد هنا الرجل في هذا الدور الأنثوي في مجتمع شرقي وكان الأدوار تتبدل.
		علقهم، نيمهم على فرشتي				
		ملاكك				
		عيش حدك				
		تكلمني				
		بقلبك تخبيني				
		لمسه حنونه، غمره مجنونه				
		حبو، قلبي ما حب.. من قبلو				
		العمر من بدو شو بينفغني				
		تعب الشوق				
		حنين لعيونه				
		عمرى لمين رفيق الروح				
رامي عياش افرح فيكي	الحب والتعلق	جايي الليلة افرح فيكي	الحاجة إلى الآخر الحبيب و عدم السماح بالترك	ب.م.ب.م.ب.م.ب.م.ب.م.ب.م.ب.	حب وانصهاري بالآخر الحبيب وعدم رؤية الذات سوى من خلال القدرة على التحكم والسيطرة وشعوره بالاضطهاد يجعله مُطالبًا الآخر (المرأة) بالخضوع والارتهان له.	الوضعية الاجتماعية الشرقية تسمح للرجل بالتعبير عن نرجسيته بالتحكم بالمرأة والتسلط عليها وهي من ناحيتها تسير في هذه الدورة التي تكون ضحيتها وتعطي الإذن للرجل للوصول إلى العظامية.
		وغنية حبي راح غنيكي				
		أقدملك حالي وقلبي الغالي				
		انا حبيبك				
		اتوقف فيكي				
		عمرى اعطيك				
		بابسمي سمكي				
		قدم كل سنيني، موت عليكي				
		بدي اكثر من حبيبي				
		بدي بابديكي ويعنيكي				
		تارجع اخلق انا				
		بدي بعينها دوب				

جدول رقم 3: تحليل مضمون الأغاني بحسب مفهوم الحب والتعلق

إنّ من أكثر التصرفات التي "تخفق" الحبيين هي فكرة الارتباط إلى حدّ الذوبان، حيث لا يستطيع الآخر الحصول على فرصة التنفس من هذا الربط القائم على الأنانية والالتصاق، وكأنها وضعية الطفل الذي يخاف من انفصاله عن أمه أو من قصه الجبل السري الذي من المفترض أن يكون الأب قد تمكّن من قصه أو من وجوده الفاصل لعلاقة أم/ طفل. أو من ترك الطفل في حياته الطفولية الأولى إن كان بسبب مرض أو سفر أو موت... وهذا ما أسماه Bowlby بقلق الانفصال (Bhat- tacharya, Balan, Soni and Choudhury 2013). لهذا يتجه إلى التعلق أكثر فأكثر بالحبب التعويضي ما يجعله يخاف على نفسه من الترك والانفصال فيذهب

للتعلق. فهو يعتمد كلياً على الآخر إذ أنه لم يعتد الاتكال على نفسه لهذا يكون الخوف من صدمة الهجر أو الفراق أو الترك كي لا يصاب بأذى.

3. الحب والفراق في الأغاني

إن العلاقة الذوبانية التي تمنح المحب السرور والغبطة، تعطي في الوقت نفسه الألم واللوعة والشعور بالتجاذب والأخذ والرد والمطالبة والكثير من المواقف المتناقضة بين التعلق الشديد والرفض الأشد أي بين الحب الذي لا حدود له وبين الكره الذي لا يعرف أسبابه، يعيش الحيرة والغيرة يفكر في الفراق بعد التعلق وفي حين التعلق ينتابه قلق الهجر؛ وهكذا تبدو العلاقة بين الحبيين في الأغاني.

تصنيف الفئات												
الفكرة	المعنى وإسم الاغنية	التكرار	المؤشرات	المتغير	الدلالة	التأويل						
أليسا عالي حبيبي جوزيف عطية تعب الشوق	كل لحظة عشتها بلاك تجرحني تصالحني عمري يغيب سلم يا حب، غاب وراح ما نسيت حبو، قلبي معو بعدو صار كلو جراح العمر من بعدو لو ضل بعيد اندهلو ما يسمعني يرجع شي يوم ويرحمني صارلو كثير مسهرني العذاب، تعب الشوق عندي حنين، عمري لمين من دونه، مرئو سنين مهما بئي عني بعيد ناطر انا رجوعو رفيق الروح مهما غاب	الحاجة الى الآخر الحبيب و الخوف من الترك	و و و و و و و و و و و و و و و	و و و و و و و و و و و و و و و	الضعف والحاجة لتأمين الأمن والأمان والحماية كتنظيم جندي تسمح للمرأة في من الآخر يجعله في التعبير عن نقصها وتبعيتها وضعية اتكالية وحب انصهاري بالآخر بنفسها وبالفرغ العاطفي الذي الحبيب، وعدم رؤية تعيشه من خلال قلقها من الذات سوى من خلاله الهجر. والشعور بالارتهان وعدم القدرة على العيش بعيداً الأنثوي في مجتمع شرقي وكان الأدوار تتبدل.	الضعف والحاجة لتأمين الأمن والأمان والحماية كتنظيم جندي تسمح للمرأة في من الآخر يجعله في التعبير عن نقصها وتبعيتها وضعية اتكالية وحب انصهاري بالآخر بنفسها وبالفرغ العاطفي الذي الحبيب، وعدم رؤية تعيشه من خلال قلقها من الذات سوى من خلاله الهجر. والشعور بالارتهان وعدم القدرة على العيش بعيداً الأنثوي في مجتمع شرقي وكان الأدوار تتبدل.						
							رامي عياش افرح فيكي	لا يوجد كلمات تدل على الفراق	الحاجة الى الآخر الحبيب و عدم السماح بالترك	و و و و و و و و و و و و و و و	حب أنائي وانصهاري بالآخر الحبيب وعدم رؤية الذات سوى من خلال القدرة على التحكم والسيطرة وشعوره بالإضطهاد يجعله مطالباً الآخر (المرأة) بالخضوع والارتهان له.	الضعف والحاجة لتأمين الأمن والأمان والحماية كتنظيم جندي تسمح للمرأة في من الآخر يجعله في التعبير عن نقصها وتبعيتها وضعية اتكالية وحب انصهاري بالآخر بنفسها وبالفرغ العاطفي الذي الحبيب، وعدم رؤية تعيشه من خلال قلقها من الذات سوى من خلاله الهجر. والشعور بالارتهان وعدم القدرة على العيش بعيداً الأنثوي في مجتمع شرقي وكان الأدوار تتبدل.

جدول رقم 4: تحليل مضمون الأغاني بحسب مفهوم الحب والفراق

إن بعد التعلّق يأتي الفراق ولولا التعلّق لم يحصل الفراق وبينهما تكون العلاقة وكل ما يحدث بينهما علاقة مآزمية وهذا سبب الفراق، وهذا أيضاً ليس وليد لحظة إنما وليد منذ الولادة، فكل علاقة هي بديل لعلاقة وكل حب هو بديل لحب أول (Freud, 1920).

اختلاف التعبير عن الفراق باختلاف نسبة الذكورة والأنوثة في هذه الأغاني إذ أن المرأة تطلب الرجوع، تناشد فتى الأحلام بالعودة رغم ظهور بعض العنفوان لديها وبعض الشعور بالاضطهاد إلا أن شعورها بالذنب يطغى على تعابيرها، وعلى المفردات المستخدمة وهي رغم كل ما تقول فلا تمنع في العودة إن قبل الرجل بذلك.

بينما عند الرجل فكرة الفراق بمحط إرادته وبسيطته على الأمور وفي حال تم التعبير بغير هذا فنجد أن الأغاني تذهب أكثر إلى إعطاء الرجل الدور الأنثوي الذي يستعطي الحب خوفاً من الهجر. فهو بحاجة إلى الأمان.. بحاجة إلى حنان الأم والعودة إليها.

4. الحواس والإيحاءات في الأغاني

تعتمد الأغنية عامة على الحواس والإيحاءات الجنسية بشكل بارز، وعلى الحاجة إلى الجنس الآخر، فالجنس في الثقافة العربية ركن أساسي وأحد أعمدة بناء العلاقات المتبادلة ولا علاقة خارج هذه المهام وربما هذا ما نلاحظه في الأغاني.

تصنيف الفئات		المعنى وإسم الأغنية	التكرار	المؤشرات	المتغير	الدلالة	التأويل
أليسا عبالي حبيبي	اجتماعية الشرقية كتنظيم جندي تسمح للمرأة في التعبير عن نقصها وتبعيتها وانكاليتهما وتضعض نقتهما بنفسها وبالفرغ العاطفي الذي تعيشه من خلال قلقها من الهجر.	أليسا عبالي حبيبي	اعمرك	الحاجة إلى الآخر الحبيب و الخوف من الترك	6 n 6	الضعف والأمان لتأمين الأمن والأمان والحماية من الآخر يجعله في وضعية انكالية وحب انصهاري بالآخر الحبيب، وعدم رؤية الذات سوى من خلاله والشعور بالارتهان وعدم القدرة على العيش بعيداً عنه.	تجد هنا الرجل في هذا الدور الأنثوي في مجتمع شرفي وكان الأدوار تتبدل.
			قلبي				
			نظراتك، ضحكائك، حركاتك				
			نيمهم على فرشتي				
			ليلة البسلك، صير ملكك				
			وحبب منك انت، طفاك انت				
			بقلبك تخبيني				
			لمسه حنونه، غمره مجنونه				
			غمض عيونني				
			سلم، قلو، بدهلو، يشتقلو				
			قلب، شوق، حنين، عيونه				
			الشوق يشتقلو ..				
			جراح				
			القلب يندهلو				
			ما بسمعني، غاب، مسهرني				
قلبي ما حب من قبله							
عمرني لمين، رفيق الروح							
ما بخونه لو خان العشاق							
ناطر رجوعو، قلبي وحيد							
جوزيف عطية تعب الشوق	اجتماعية الشرقية تسمح للرجل بالتعبير عن نرجسيته بالتحكم بالمرأة والتسلط عليها وهي من ناحيتها تسير في هذه الدورة التي تكون ضحيتها وتعطي الإذن للرجل للوصول إلى العظامية.	جوزيف عطية تعب الشوق	الليلة افرح فيكي	الحاجة إلى الآخر الحبيب و عدم السماح بالترك	6 n 6	حب أناني وانصهاري بالآخر الحبيب وعدم رؤية الذات سوى من خلال القدرة على التحكم والسيطرة وشعوره بالاضطهاد يجعله مطالباً الآخر (المرأة) بالخضوع والارتهان له.	
			وغنية حبي غنيكي				
			حالي، قلبي الغالي				
			كل سنيني				
			انا حبيبك، اتوق فيكي				
			عمرني اعطيك				
			باسمي سميكي				
			بدي اكثر من حبيبي				
			بدي بايديكي				
			ويعنيكي موت عليكي				
			تارجع اخلق				
			بدي بعينها دوب				
			بدي بحبر الإحساس				
			ارسم ح الشمس قلوب				
			رامى عياش افرح فيكي				
وغنية حبي غنيكي							
حالي، قلبي الغالي							
كل سنيني							
انا حبيبك، اتوق فيكي							
عمرني اعطيك							
باسمي سميكي							
بدي اكثر من حبيبي							
بدي بايديكي							
ويعنيكي موت عليكي							
تارجع اخلق							
بدي بعينها دوب							
بدي بحبر الإحساس							
ارسم ح الشمس قلوب							

جدول رقم 5: تحليل مضمون الأغاني من خلال الحواس والايحاءات

إنّ الألفاظ والتعابير تدل على الحواس وتعبر عن إيهامات جنسية تدفع بالرجوع إلى تذكّر العلاقة بين الحبيين والتلميح إلى العلاقة الجنسية القائمة أو التي كانت سابقاً وهذه التعابير معظمها تدل على العلاقة الأولى مع الأم. (شوق، صوت، وجه، غمرة، اشتياق، دم...). (Winnicott, 2006) وقلب.. وهو أول ما يسمعه الطفل من أمه دقات القلب وربما هي أول موسيقى يستأنس بها عبرها.

كما نجد أن المرأة من خلال إحياءاتها تطلب الاستقرار المنزلي من خلال البيت، الوفاء، الفستان الأبيض. دائماً عند المرأة تعبير "أنها له" بكل شيء، بينما الرجل يعبر "أنها له" بكل حواسها.. هذا التقسيم المتوافق عليه، لا أحد يختلف عليه مهما كان نوع الأغنية ومهما كان جنس المؤدي وربما كان هذا من جراء العلاقة الجنسية المتوافقين عليها، وكأنه هو يستطيع أن يأتي بغيرها بينما هي إن ذهب فلا غيره أمامها. (انشالله اتوفق فيك).

5. السلطة والسيطرة في الأغاني

عندما خرجت المرأة من عصر (الحكي) إلى زمن الكتابة استخدمت القلم المذكور لتكتب اللغة الذكورية، وهنا هُدد الذكر بالخصاء الاجتماعي، فلم ير الرجل نفسه إلا في موقع الدفاع عن صورته الذكورية بشتى الوسائل، والأغنية كانت إحدى الوسائل التعبيرية الهامة التي حاول عبرها تمرير مخاوفه.

تصنيف الفئات		المتغير	المؤشرات	التكرار	المعنى وإسم الاغنية	الفكرة	
المتغير	الدلالة						
الوضعية الاجتماعية الشرقية الجندرية تسمح للمرأة في التعبير عن نفسها وتعبيرها وانكاليته وتضعف ثقته بنفسها وبالفراخ العاطفي الذي تعيشه من خلال قلقها من الهجر. نجد هنا الرجل في هذا الدور الأنثوي في مجتمع شرقي وكان الأدوار تتبدل.	الضعف والحاجة لتأمين الأمن والحماية من الآخر يجعله في وضعية احتكالية وحب انصهاري بالآخر الحبيب، وعدم رؤية الذات سوى من خلاله والشعور بالارتهان وعدم القدرة على العيش بعيداً عنه.	h	الحاجة إلى الآخر الحبيب	و	أليسا	عالي حبيبي	
							اغمرك ما اتركك
							اسرقك ما رجلك
							احببك ما طلعك
							اخطفك، والذني تشهد
							علقهم، نيمهم، احلمهم
							وصير ملكك، البسلك الابيض
							جيب منك انت،
							طفلك انت مثلك انت
							عيش حدك
ما بخونه							
وما غمض الا انا وياك							
لا ما نسيت							
يرجع شي يوم							
سلم، قلو، صار							
الوضعية الاجتماعية الشرقية تسمح للرجل بالتعبير عن نرجسيته بالتحكم بالمرأة والتسلط عليها وهي من تاجيتها تسير في هذه الدورة التي تكون ضحيتها وتعطي الإذن للرجل للوصول إلى العظامية.	حب أناني وانصهاري بالآخر الحبيب وعدم رؤية الذات سوى من خلال القدرة على التحكم والسيطرة وشعوره بالاضطهاد يجعله مُطالباً الآخر (المرأة) بالخضوع والارتهان له.	h	الحاجة إلى الآخر الحبيب	و	رامي عياش	السلطة والسيطرة	
							انا جابي، انا حبيبي
							راح غنيكي
							يا سمي سميكي
							شو عيالي
							واقدملك، تاراجع
							انشالله
							انا بدي، بدي بايديكي، بدي افرح
							بدي بعينها يوب،
							ارجع اخلق انا
الشمس قلوب							
بدي بحبر الإحساس							

جدول رقم 6: تحليل مضمون الأغاني بحسب مفهوم السلطة والسيطرة

نجد من خلال هذه الأغاني أن المرأة مهما حاولت أو أخذت دوراً سلطوياً مسيطراً، إلا أنها لا تلبث أن تُقَمَّع من الرجل، الذي يستطيع أخذ سلطتها وبملاء إرادتها (حجازي، 2006). لهذا فإن الرجل دائماً هو المسيطر، هو الفارض لقوانين العلاقة وتأطيرها وحسمها وحلها وربطها (حجازي، 2005). هو القانون والمقياس للصح والخطأ وهو ضابط الايقاع، بيده ذمام الأمور، لدى المرأة ولدى الرجل وكأنه شرع متفق عليه.

فاللجوء إلى الله عند الرجل لبسط سلطته أكثر فأكثر "إن شالله اتوفق فيكي". لهذا عندما تذهب السلطة من يد الرجل نجد أنه يلعب دوراً أنثوياً بامتياز، فيصبح وكأنه يخاطب الرجل وهو الأنثى الضعيفة، "تعب الشوق يندهله".

6. الوهم والتمني والترجي في الأغاني

الوهم والتمني والترجي لا يترك أغنية إلا ويتحكم بها، من خلال تكوينها وتقسيماها وأفكارها ومفرداتها. وكأننا أمام أحلام قد رسمها كل منهما -الحبيبان- لبعضهما البعض في خيالهما وعندما وصلا إلى الواقع اصطدما بحائطه الأليم الذي لم يأت بحسب التوقعات.

تصنيف الفئات						
الفكرة	المعنى وإسم الاغنية	التكرار	المؤشرات	المتغير	الدلالة	التأويل
الوهم والتمني والترجي	أليسا عبدالي حبيبي	عبدالي حبيبي	الحاجة إلى الآخر	الحاجة إلى الآخر	ضعف المرأة والحاجة لتأمين الأمن والأمان الشريفة كتنظيم الجندي تسمح للمرأة في التعبير عن نفسها وتعبئتها وانكاليتها وتضعضع نقتها بنفسها وبالفرأغ العاطفي الذي تعيشه من خلال قلقها من الهجر.	
		اغمرك ما اتركك				
		اسرقك ما رجلك				
		احبيك ما طلعك				
		اخطفك نظر اناك				
		ضحكاتك حر كاتك				
		علقهم بغرفتي				
		نيمهم على فرشتي				
		احلمهم بغفوتي				
		ليلة البسلك الأبيض،				
		والدني تشهد، وصير ملكك	و	و	الحبيب، وعدم رؤية خلاله والشعور بالارتهان وعدم القدرة على العيش بعيداً عنه.	
		وجيب منك طفلك، مثلك انت				
		عيش حدك، عمر او اكثر				
		وحبي بكبر، كل ما تكبر				
		وشويب لما تشيب				
		عمري يغيب لما تغيب				
		عبدالي تكمني، واسمك تحملني				
		بقلبك تحبيني، من الدني تحميني				
		وتمحي من سنيني				
		عبدالي تجرحني، لحتي				
تصالحني						
بلمسه حنونه						
بغمزه مجنونه						
وما غمض عيونني، الا انا وياك						

<p>الوضعية الاجتماعية الشرقية كتنظيم الضعف والحاجة لتأمين الأمن والأمان في التعبير عن نقصها وتبعيتها وانكاليتهما وتضعف ثقتهما انكالية وحب نفسها وبالفرغ انصهاري بالآخر العاطفي الذي تعبشه الحبيب، وعدم رؤية من خلال قلقها من الذات سوى من الهجر. خلاله والشعور بالارتهان وعدم القدرة على العيش بعيداً عنه.</p> <p>نجد هنا الرجل في هذا الدور الأثوي في مجتمع شرقي وكان الأدوار انقلبت رأساً على عقب.</p>				سلم يا حب	<p>جوزيف عطية تعب الشوق</p>
				قلو هالقلب	
				قلو ما نسيت	
				مهما قسي	
				قلو العمر	
				من بعدو شو بينفغني	
				اندهلو ما يسمعني	
				يرجع شي يوم	
				تعب الشوق يشتقلو	
				تعب القلب يندهلو	
				عندي حنين	
				عمري لمين	
				ما بخونه لو خان كل العشاق	
				وعدي الو	
				مهما بقي عني بعيد	
يبقى معي					
رفيق الروح					
قلبي معو					
ترك قلبي وحيد					
ناظر انا رجوعو					
ليمحي العذاب					
واقدملك حالي، وشو عبالى	<p>الحاجة إلى الحبيب و</p> <p>عدم السماح بالترك</p>	<p>رامى عياش افرح فيكي</p>			
انشالله اتوفق فيكي					
انشالله عمري اعطيك					
ويلا باسمي سميكي					
قدم كل سنيني، اكثر من حبيبي					
بدي بابيديكي وبعنيكي					
موت عليكي تارجع اخلق انا					
بدي بعينها دوب					
ارسم ع الشمس قلوب					
بدي بحبر الإحساس					
بدي افرح يا ناس					
انا جاي، انا جاي					
راح غنيكي					
احب			<p>أنا في الوضعية الاجتماعية الشرقية تسمح للرجل الحبيب وعدم رؤية الذات سوى من خلال القدرة على التحكم والسيطرة من ناحيتها تسير في هذه الدورة التي تكون وشعوره بالاضطهاد يجعله مُطالباً الآخر (المرأة) بالخضوع للرجل للوصول إلى والارتهان له.</p>		
انصهاري بالآخر					
العاطفي الذي تعبشه					
الحبيب، وعدم رؤية					
من خلال قلقها من					
الذات سوى من الهجر.					
خلاله والشعور					
بالارتهان وعدم					
القدرة على العيش					
بعيداً عنه.					
نجد هنا الرجل في هذا					
الدور الأثوي في					
مجتمع شرقي وكان					
الأدوار انقلبت رأساً					
على عقب.					

جدول رقم 7: تحليل مضمون الأغاني بحسب مفهوم الوهم والتمني والترجي

نجد من خلال التحليل أن الهدف من العلاقة هو عبارة عن أحلام تمّ تحديدها مسبقاً، إما جراء ما عاشه الحبيب في طفولته، أو ما رسمه كهدف ليس له من الواقعية بشيء أو أنه توقع أن الحبيب هو الخلاص لاستعادة ما فاتته من الحياة... إلا أن العلاقة تتصارع مع آخر، أيضاً له أهداف وأحلام وطموحات كان قد رسمها الحبيب عنه. وهكذا يكون الصراع بين مبدأ اللذة ومبدأ الواقع (Freud, 1920).

فالصدمة في أغلبية الأغاني واضحة، وكأننا في الأساس أمام حلم أليم يخافون من الوصول إليه أو التوصل له.. يخافون أن ينقذ في يومٍ من الأيام لهذا يعيشون الحداد مبكراً قبل حصوله فعلياً (Klein, 2004).

فهل نستطيع من وجهة نظر نفس-اجتماعية أن نغيّب عامل الوهم، وهو في أساسه اجتماعي (فرويد، 1998) ليلبور نفسية واهمة؟ هل نستطيع القول أن التصورات والهوامات ترسم الأغنية العربية في مضامينها؟ إذاً هل هذا يعني أن الشخصية العربية شخصية تعيش أساطير الماضي في الحاضر وتبني عليها المستقبل؟ أم أن الزواج نفسه هنا هو حلمٌ مبتغى، يتم رسمه خيالياً كما يتمنى أن يكون عبر الحب والتعلق وعدم الفراق واستخدام الحواس وفرض الوهم وبسط السلطة؟

كلها أسئلة تجيب عنها الأغنية عندما تُغنى بكليتها، لتكون فعلاً أغنية من مجتمع عربي إلى كل عربي.

ماذا نستنتج؟

بعد أن تمت المعالجة التحليلية للجدول من خلال تقنية تحليل المضمون وربطها بالنظريات والمفاهيم، نستطيع التوصل إلى استنتاجات عامة وهي على الشكل التالي:

- يتميز الواقع اللبناني بضياح هويته، وظهر اللبناني وهو يتخبط في محيط وبيئة تفتخر بالفوضى المنظمة، وبذاكرة استمدتها من بيئته وعائلته وذكريات حرب. وكل هذا لا شك يهيئ لبنية مجتمعية ومن ثم فردية، يسيطر عليها ضياح في الصور الثابتة كصورة الأم وصورة الأب كالأرض والسلطة.

- ترسم الاغنية اللبنانية العلاقة بين الحبيين وكأنها علاقة الطفل بأقربه.
- تعتبر العلاقات في الأغاني اللبنانية هروباً من واقع غير مرغوب فيه، إلى ما هو متمنى، وربما الوهم هو الواقع المرغوب فيه. فالرغبة (تفبرك) الوهم والوهم يوآد وهماً.. وهكذا.
- ارتبط مفهوم السادية والمازوشية بكل مراحل العلاقة بين الحبيين في الأغاني اللبنانية.
- لا يزال الجنس يلعب دوراً بارزاً في تقسيم الأماكن والأدوار، مع تعديل بسيط وهو زيادة بعض صفات الذكورة عند الأنثى وزيادة بعض صفات الأنوثة عند الذكر. كما تظهر النرجسية والأنا العظامية في الأغاني التي تعزز دور الذكورة.
- تجلّت ثقافة المجتمع اللبناني في هذه الاغاني، وقد ظهرت عبر الكلمات والالحن والتي تُبني مسار طريق لبناء العلاقات.
- ان الأغنية اللبنانية ثقافة مجتمع ينقلها المجتمع إلى أذهان الافراد ويصبح اللاوعي الجمعي لاوعياً فردياً يتغلغل في جميع افراد هذا المجتمع ويبيّن على أساسه هواماته النفسية وتصوراته الاجتماعية ليصبح كائناً اجتماعياً مميزاً ومتميزاً عن باقي المجتمعات. انها العناصر مجتمعة تشكل خصائص بني نفسية عند الفرد، فيدخل الاجتماعي إلى النفس البشرية وتصبح خليطاً نفسياً-اجتماعياً متمثلة بشخصية تُعبّر عنها بطريقة أو بأخرى وبأي شكل من الاشكال.

رقم الصفحة	عنوان الجدول	رقم الجدول
191	اغاني العينة وكلماتها	1
191	تحليل مضمون الاغاني بحسب موسيقاها	2
192	تحليل مضمون الاغاني بحسب مفهوم الحب والتعلق	3
193	تحليل مضمون الاغاني بحسب مفهوم الحب والفرق	4
195	تحليل مضمون الاغاني من خلال الحواس والايحاءات	5
196	تحليل مضمون الاغاني بحسب مفهوم السلطة والسيطرة	6
198	تحليل مضمون الاغاني بحسب مفهوم الوهم والتمني والترجي	7

ملحق الجداول

مراجع

- آنزيو، آني. ترجمة. طلال حرب. (1992). المرأة الأثنى بعيداً عن صفاتها. ط/1. بيروت. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
- بركات، حليم. (1996). المجتمع العربي المعاصر. بحث اجتماعي استطلاعي. ط/5. بيروت. مركز دراسات الوحدة العربية.
- حجازي، مصطفى. (2006). الانسان المهدور. ط/2. بيروت. المركز الثقافي العربي.
- حجازي، مصطفى. (2005). التخلف الاجتماعي. ط/9. بيروت. المركز الثقافي العربي.
- زيعور، علي. (1987). التحليل النفسي للذات العربية. ط/1. بيروت. دار الطليعة للطباعة والنشر.
- شرابي، هشام. (2000). النظام الابوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي. ط/4. دار نلسن.
- طرابيشي، جورج. (2000). العولمة وانعكاساتها على الثقافة العربية. المنامة. مجلة البحرين الثقافية.
- فرويد، سيغمون. (1998). ترجمة جورج طرابيشي. مستقبل وهم. بيروت. دار الطليعة.
- لوبون، غوستاف. (1991). سيكولوجية الجماهير. ترجمة وتقديم هاشم صالح. ط/1. دار الساقي.

Ainsworth, M. C. Blehar, E. Waters, S. Wall. (2014). «Patterns of Attachment. A Psychological Study of the Strange Situation». Psychology Press. (First Published 1978 by Lawrence Erlbaum Associates, Inc.)

- Freud, S., (1920). « Au-delà du principe de plaisir ». Essais de psychanalyse. Paris, Petite Bibliothèques Payot.

- Hélène Fresnel. (2015). « On aime celui qui répond à notre question. Qui suis-je ? » <http://www.psychologies.com/Couple/Vie-de-couple/Amour/Articles-et-Dossiers/Etes-vous-sur-d-aimer/On-aime-celui-qui-repond-a-notre-question-Qui-suis-je>.

- Illy Barranger préf. de Salomon Resnik. (1999). « Position et objet dans l'œuvre de Mélanie Klein ». éd. ERES, la maison jaune.

- Joydeep Bhattacharya (MACP) Preethi Balan (PGDCP) Sanyogita Soni (PGDCP) Sutapa Choudhury (PGDCP). (2013). « Bowlby's theory of attachment. » <http://www.slideshare.net/preethibalan9/bowlbys-theory-of-attachment>

- Klein, Melanie. (2001). « L'amour et la haine ». Paris, Payot et rivages.

- Klein, Melanie. (2004). « Deuil et dépression ». Paris, Payot.

- Palo Alto. « L'introduction »

<https://www.communicationorale.com/les-differentes-approches-de-la-communication-orale/palo-alto/>

- Salomé, Jacques. (2010). « Couple les 7 besoins ! ».

<http://www.youtube.com/watch?v=vnRQGONwDRA&sns=em>

- Winnicott, D.W. (2006). « La mère suffisamment bonne ». Payot, coll. Petite Bibliothèque Payot.

Tests en rapport avec la construction identitaire

Jeanine ZIADE ABUO-TACCA

Résumé

Il est admis par l'ensemble des recherches que l'identité est en perpétuelle construction et n'est jamais fixée car, et à travers les représentations de soi qui la composent, elle évolue tout au cours de la vie. Donc, la quête d'une identité n'est que le résultat toujours provisoire, d'un effort qui se renouvelle sans cesse. Cela est dû au fait que les caractéristiques que l'on s'attribue change en fonction : des évènements que l'on vit, des comportements que l'on adopte, des catégories et des groupes auxquels on appartient ou on se réfère. Les changements de l'ordre social impliquent des changements identitaires, mais aussi suite aux changements identitaires, tout l'ordre social pourrait changer. Pour diagnostiquer puis mesurer ces changements à l'aide des instruments de mesure choisis pour cette fin, il faut prendre notre temps, et malgré toutes les difficultés qui peuvent nous attendre a cherché et trouvé les tests adéquats à nos objectifs et cela afin d'arriver à une analyse scientifique bien établie.

Mots -Clés

Identité – changements - instruments de mesure – Symptôme Check-List – Salamanca – méthode – approche – grille – analyse.

ملخص

من المقبول من قبل جميع البحوث أن الهوية هي في بناء دائم ولا يتم إصلاحها لأنه، ومن خلال تمثيلات الذات التي تؤلفها، تتطور طوال الحياة. لذلك، إن السعي إلى الحصول على هوية ليس سوى نتيجة مؤقتة، جهد يتجدد باستمرار مدى

الحياة. وذلك لأن الخصائص التي نعزوها إلى أنفسنا تتغير وفق: الأحداث التي نعيشها، والسلوكيات التي نعتمدها، والفئات والمجموعات التي ننتمي إليها أو نشير إليها. وتتطوي التغييرات في النظام الاجتماعي على تغييرات في الهوية، ولكن أيضا نتيجة للتغيرات في الهوية، يمكن أن يتغير النظام الاجتماعي برمته. من أجل تشخيص وقياس هذه التغييرات باستخدام أدوات القياس المختارة لهذا الغرض، يجب أن نأخذ وقتنا، وعلى الرغم من كل الصعوبات التي يمكن أن تنتظرنا، يجب أن نسعى لنجد الاختبارات المناسبة لأهدافنا وذلك من أجل الوصول إلى تحليل علمي راسخ.

الكلمات المفتاحية: هوية - تغييرات - أدوات قياس - أسلوب - مقارنة - شبكة - تحليل.

Quand nous parlons de la construction identitaire, nous abordons l'identité qui se concrétise chez la personne par un sentiment fondamental d'identité «sans lequel l'identité n'existe pas» (Mucchielli A. (2013). P.51.) Et, ce sentiment d'identité repose à son tour sur plusieurs autres sentiments : de continuité temporelle, d'unité et de cohérence, de différence et de singularité, d'autonomie, de confiance, d'appartenance, de valeur, d'existence et de relance.

Loin de faire des jugements de valeurs, notre recherche doit tendre à observer la personne, à l'écouter, à comprendre son vécu, à analyser le dit et le non-dit car pour nous, la compréhension de l'être humain reste le premier pas possible vers toute évolution humaniste. De là, et afin d'arriver à analyser tous ces sentiments, et à répondre à l'objectif de notre recherche, il est nécessité de faire un choix bien éclairé de la méthode utilisée et des techniques de recueil des informations qui puissent tisser le lien entre nos hypothèses et par suite entre nos variables étudiées. Ainsi,

dans un travail exploratoire, beaucoup de défis nous affrontent pour y faire face, car l'objet de recherche appartient à la fois à la famille des catégories de situation et à celle de trajectoires sociales puisque l'objet social s'élabore autour d'une situation sociale commune à un certain nombre de personnes (Mannoni, P. (1998). P.83). Et de même, la personne est un individu non isolé qui vit d'abord en famille, en groupe et en société. Elle naît avec des caractéristiques communes à tout humain puis elle devient grâce aux structures environnementales et grâce aussi à des facteurs individuels influant son psychisme, imprégnée d'une personnalité à caractéristiques déterminés.

Les techniques utilisés et les instruments de mesure choisis ne se sont pas décidés du jour au lendemain, il faut bien les préparer en analysant les démarches demandées pour pouvoir y accéder tout en restant « éponge » à toute nouveauté.

Dans les études de « trajectoires sociales », nous pouvons essayer de saisir « les mécanismes et les processus des sujets qui en sont venus à se retrouver dans une situation donnée, et comment ils s'efforcent de gérer cette situation », tout en gérant les évolutions de leur identité (Mannoni, P. (1998). P.136).

D'un autre côté, et afin de bien chercher un instrument de mesure adéquat, nous insistons sur le fait que le thème étudié comme c'est le cas avec la construction identitaire, révèle une structuration temporelle hétérogène :

- la temporalité subjective, c'est-à-dire celle qui privilégie la relation à soi-même (y compris dans sa composante biologique) fait appel à la mémoire immédiate. Elle est dominée par le présent, tout en impliquant la durée qui évoque des souvenirs du passé et d'éventuelles anticipations de l'avenir.
- la temporalité intersubjective privilégie les relations de face à face notamment les rencontres significatives de la vie dans différents domaines. Cette temporalité implique un temps partagé et d'interaction avec autrui. Elle est vécue comme synchronisation de ces interactions.
- la temporalité biographique, privilégie la relation à la «société globale». Elle est dominée par un temps global et lent et implique de la part de l'individu pour s'y inscrire des interprétations narratives, une mise en intrigue reliant les temporalités précédentes à une conception d'ensemble de sa vie, inscrite dans une vision du monde et de l'Histoire.

De là et dans le cadre d'un examen psychologique, nous devons bien fouiller pour trouver un test en rapport avec la construction identitaire (et dans notre cas c'était celle de l'élève-officier libanais, sujet qui continue à être largement négligé et enveloppé par de l'obscurité car au Liban. Les manifestations relevées de temps en temps ne sont pas vraiment prises au sérieux, et sont reléguées au statut d'affaires privés, de faits divers et de sujets à sensations). Et puisque les informations et les études sur ce phénomène manquent énormément, les rares documents disponibles laissent

entrevoir que notre pays est loin d'être épargné par ce problème.

Il faut bien signaler qu'il existe de nombreux tests mais avant toute chose, nous voulions un test psychologique qui se veut une mesure objective d'aspects cognitifs ou affectifs, sous la forme d'une mesure de variables opérationnalisant ces aspects, en rapport à une population de référence, et respectant des caractéristiques de validité, de fidélité et de sensibilité. D'où le choix du Questionnaire Salamanca et de la Symptôme Check-List.

Ces deux tests sont une technique permettant une description quantitative ou typologique d'un individu placé dans une situation définie, par référence au comportement d'un ensemble d'individus placés dans les mêmes conditions, les mêmes situations. Ce sont des tests permettant de mesurer les valeurs de dimensions psychologiques (affectives, cognitives, comportementales).

D'autres facteurs psychologiques et psychosociaux, ont été mesuré indirectement aussi, car ils jouaient un rôle important dans cette construction : blessures narcissiques profondes dues surtout à la relation avec la mère et le poids de cette relation dans la construction de l'identité masculine, et à la menace identitaire que constitue l'émancipation réalisée par l'autre ; troubles divers d'identité ; faible estime de soi ; peu d'autonomie ; communication pauvre ; manque d'habiletés ; enfance tourmentée, apprentissage social ou transmission intergénérationnelle ; dysfonction dans la vie familiale ; et

même parfois la colère, le stress, etc... Le rôle de ces facteurs psychologiques et psychosociaux doit être vérifié cas par cas.

Ainsi, il est préférable que l'approche adoptée soit celle de la psychologie sociale et de la psychologie clinique, qui intègre une dimension sociale dans l'explication des comportements des individus. Quant au choix de la méthode, nous signalons qu'il faudra bien appliquer les méthodes qualitatives qui étudient les situations, les comportements et les relations, et peuvent saisir les interactions, les mécanismes et les dynamiques qui animent le phénomène.

Étant donné que, dans une recherche exploratoire nous étudions « les états intérieurs des hommes », leurs sentiments et leurs représentations. Étudier l'identité en saisissant les différentes temporalités qui la composent et la construisent devient une tâche difficile si nous utilisons les méthodes classiques notamment les enquêtes quantitatives. Et étant donné aussi que nous devons travailler surtout sur les expressions individuelles des individus et leurs interactions avec l'autre et avec le contexte, la méthode qui s'impose sera la méthode qualitative, puisque « les méthodes qualitatives ont davantage vocation à comprendre, à détecter des comportements, des processus ou des modèles théoriques, qu'à décrire systématiquement, à mesurer ou à comparer » (Hirshhorn. (1987). P.43).

Pour cela et afin de bien passer et tester le Questionnaire Salamanca, il est préférable que la recherche soit conduite selon la méthode interactionniste et qualitative « Grounded

theory ». Car dans cette méthode, il n'existe pas d'étapes de travail proprement dites, qui se distinguent les unes des autres, comme dans les méthodes classiques. Au contraire, les différentes étapes se travaillent et se tissent ensemble tout au long de l'élaboration de la théorie, et s'achèvent simultanément quand l'étude prend elle-même fin. (Corcuff, P. (1995). P.13). Cependant, il existe toujours des étapes à suivre malgré la grande liberté de la méthode.

Le processus adopté sera alors le suivant :

■ a- Le point de départ : Il est admis que pour commencer un travail, nous ne pouvons se passer de la lecture, « car aucun sujet n'est radicalement neuf » (Kaufmann, J.C. (1996). P.34). En effet la lecture est importante pour deux raisons : la première est qu'elle nous permet de faire un bilan sur la question traitée, la deuxième parce qu'elle nous fournit des éléments pour construire la grille d'entretien et des éléments de comparaison avec les informations qui seront recueillies dans notre recherche.

Pour commencer la construction de l'objet, nous pouvons considérer avec Anselm Strauss que le point de départ est l'observation du terrain, « s'immerger d'abord dans les faits pour mieux (...) choisir l'hypothèse ». (Bachelard, G. (2000). P.203). Par contre, nous pouvons prendre aussi en considération le conseil de Jean-Claude Kaufmann de choisir un thème et une question de départ « qui jouera le rôle de guide [pour éviter] de se perdre » (Kaufmann, J.C. (1996). P.102).

Ici nous pouvons donner comme exemple le travail de notre thèse qui a consisté à combiner les deux démarches : étant donné que les recherches au Liban sur la construction identitaire de l'élève-officier sont rares, nos lectures ont été centrées sur les recherches effectuées dans les pays occidentaux et les pays arabes. Ces lectures nous ont permis de nous immerger dans le sujet et surtout d'établir un modèle « universel » de trajectoire sociale de l'élève-officier.

■ b- D'où l'élaboration des hypothèses qui « se construit peu à peu, par une élaboration théorique qui progresse jour après jour, à partir d'hypothèses forgées sur le terrain » (Grawitz, M. (1993). P.201), et à travers nos lectures : le terrain n'est plus l'endroit de vérification d'une problématique préétablie, dans la phase initiale du travail, comme dans la méthode classique. Au contraire, l'élaboration se fait tout le long de la démarche, en un va et vient entre le terrain et la théorie pour justement confronter les faits, démarche où beaucoup d'obstacles divers vous attendent mais que vous pouvez bien affronter avec une bonne volonté de fer ! Elaboration plus ou moins difficile malgré que la fonction de cette méthode est de rester « souple, variable et évolutive » (Grawitz, (1993). P.182.), car elle est en mouvement continu entre des hypothèses qui meurent définitivement et d'autres qui sont un « prélude à la réincarnation dans une vie nouvelle », entre des hypothèses qui émergent et « bousculent et désorganisent » (Santiago-Delefosse, M. et Del Rio Carral, M. (2015). P.3) et d'autres qui réorganisent et lissent le modèle théorique que nous construisons. Et ainsi nous arriverons aux modèles.

■ c- Les modèles : La validité du modèle se fait lorsqu'il est saturé, c'est-à-dire lorsqu'il « se stabilise, se durcit [et devient] de moins en moins bousculé par l'arrivée de nouvelles hypothèses» (Dulac, G. (2000). P.9). En plus, le modèle est de plus en plus stable lorsqu'il est confronté avec les « cas négatifs », les cas « qui ne confirment pas la formulation en cours ». Donc, le modèle s'élaborera au fur et à mesure, comme l'élaboration des hypothèses. De là, et après avoir bien définie la situation étudiée d'une façon claire, précise, elle doit donc être entièrement contrôlée pour rendre la mesure objective, ce qui lui confère une valeur scientifique. Cela équivaut à une standardisation. (E. E. Ghiselli E.E. (1964). P.85). Ainsi, après sa saturation et les comparaisons avec les résultats des lectures, le modèle pourra être stabilisé. Et en fait, nous pouvons travailler à l'élaboration de deux modèles :

- un modèle « universel » qui sera tiré des différentes lectures effectuées.

- un modèle local (libanais), qui sera tiré des entretiens effectués sur le terrain et aussi à partir d'autres sources.

Démarche un peu compliquée en vue de mettre en lumière les facteurs qui déterminent les critères et les variables qui vont guider dans la préparation de la grille d'entretien, du dépouillement des entretiens, ainsi que l'analyse et l'interprétation des informations qui vont être recueillies (Bourdieu P. (1980). P.65).

Avant de faire passer ces deux tests, il est préférable de formuler un entretien psychologique et un questionnaire, et là il est alors nécessaire de faire un pré-test. Pourquoi ? Car le "pré-test" du questionnaire a pour objet principal d'évaluer l'efficacité de la technique choisie dans la recherche (Grawitz, M. (1993). P.106). Au cours du pré-test, il s'agit de vérifier notamment :

- Si les termes utilisés sont facilement compréhensibles et dépourvus d'équivoques ; c'est le test de la compréhension sémantique du questionnaire,
- Si la forme des questions utilisées permet bien de recueillir les informations souhaitées,
- Si l'ordre des questions ne suscite aucune réaction possible de déformation,
- Et si le questionnaire n'est pas trop long et ne provoque pas le désintérêt ou l'irritation chez les personnes.

En résumé, le pré-test nous permet de garder les questions utiles, de voir si l'ordre des questions est bon et également la réaction des individus. Autrement dit, s'ils ont trouvé notre questionnaire et l'entretien psychologique longs ou ennuyeux ou au contraire intéressants.

Par exemple dans notre thèse, notre questionnaire a été établi en langue française puis traduit en arabe. La version arabe (arabe courant) était souhaitable parce que la majorité des élèves-officiers constituant notre échantillon maîtrisent leur langue maternelle et la minorité est anglophone. Il faut

bien noter que le pseudo-test à faire chez soi comme nous voulons et quand nous en avons envie, ne peut se prévaloir, par exemple, du titre de test psychologique! (Cronbach L.J. (1965). P.96). Toutes les variables susceptibles de modifier la valeur d'une mesure doivent en théorie être contrôlées, ce que l'on obtient, entre autre, avec l'aide d'une consigne précise.

Le test psychologique évalue généralement une dimension psychologique non-observable (aussi appelée variable latente) par l'étude d'un comportement qui lui, est observable. Le test agit en tant que stimulus donnant lieu à un comportement observable, principalement un score dont la variation est considérée comme témoin reflétant la variation de la dimension psychologique, ou un classement par catégorie (anxieux, non-anxieux, intra ou extraverti,...). Le fondement théorique permettant de mettre en correspondance l'aspect psychologique (ce que reflète la mesure) et la variable opérationnalisée (ce qu'on mesure effectivement) doit reposer sur l'expérimentation scientifique et une méthodologie rigoureuse (Nunnally. J.C. (1959). P. 63).

Ainsi, pour bien analyser les hypothèses et la liaison entre les variables, il faut bien chercher outre la méthode que nous pouvons entreprendre afin d'étudier les besoins spécifiques de la personne, les outils adéquats pour tester ces besoins. Tout en notant que les tests de personnalité diffèrent entre eux par la situation utilisée comme stimulus (Bachelard, G. (2000). P. 87). La plupart est constituée de questions ou de propositions auxquelles le sujet doit répondre en fonction de

2-Je me sens nerveux et/ou je sens comme un tremblement intérieur

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

3-J'ai des pensées ou des idées que je ne voudrais pas avoir et qui ne veulent pas quitter mon esprit

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

4-J'ai des tendances à m'évanouir ou des vertiges

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

5-J'ai perdu le goût et le plaisir que j'éprouvais pour les choses sexuelles

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

6-J'ai l'impression d'être critique à l'égard des autres

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

7-J'ai l'idée que quelqu'un d'autre peut contrôler mes pensées

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

8-J'ai le sentiment que les autres sont responsables de la plupart de mes troubles

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

9-J'ai des difficultés à me rappeler des choses

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

10- Je suis ennuyé par ma négligence et mon manque de soin

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

11-Je suis facilement contrarié ou irrité

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

12-J'ai des douleurs au cœur ou dans la poitrine

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

13-Je suis pris de peur dans les espaces découverts ou dans les rues

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

14-Je me sens sans énergie ou ralenti

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

15-Je pense en finir avec la vie

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

16-J'entends des voix que les autres n'entendent pas

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

17-J'ai des tremblements

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

18-J'ai l'impression qu'on ne peut pas avoir confiance dans la plupart des gens

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

19-J'ai un mauvais appétit

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

20-Je pleure facilement

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

21-Je me sens timide et mal à l'aise avec une personne du sexe opposé

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

22-J'ai l'impression d'être "coincé" ou pris au piège

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

23-Je suis subitement effrayé sans aucune raison

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

24-J'ai des explosions de colère que je ne peux contrôler

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

25-J'ai peur de sortir seul de chez moi

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

26-Je me reproche des choses

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

27-J'ai des douleurs à la partie inférieure du dos

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

28-Je me sens bloqué devant la moindre chose à faire

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

29-J'ai un sentiment de solitude

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

30-J'ai le cafard

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

31-Des choses me tracassent ou me tourmentent trop

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

32-Je ne m'intéresse à rien

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

33-Je suis rempli d'un sentiment de peur

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

34- Je suis facilement blessé ou offensé

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

35- J'ai le sentiment que d'autres savent quelles sont mes pensées intimes

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

36- J'ai l'impression que les autres ne me comprennent pas ou qu'ils ne me montrent pas de sympathie

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

37- J'ai l'impression que les gens sont inamicaux envers moi ou ne m'aiment pas

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

38- Je suis obligé de faire les choses très lentement pour être certain de bien les faire

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

39- J'ai l'impression que mon cœur bat très fort ou qu'il s'emballe

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

40- J'ai des nausées ou envie de vomir

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

41- Je me sens inférieur aux autres

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

42- J'ai l'impression que mes muscles sont endoloris

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

43- J'ai l'impression d'être observé par les autres et qu'on parle de moi

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

44- J'ai du mal à m'endormir

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

45- Je suis obligé de vérifier et de revérifier ce que je fais

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

46- J'ai des difficultés à prendre des décisions

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

47- J'ai peur de me déplacer en bus, en taxi ou en service

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

48- J'ai des difficultés à respirer

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

49- J'ai comme des bouffées de chaleur ou de froid

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

50- Je suis obligé d'éviter certaines choses, certains endroits ou certaines activités car ils m'effrayent

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

51- J'ai l'impression que mon esprit se vide

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

52- J'ai une impression d'engourdissement ou de fourmillement dans certaines parties de mon corps

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

53- J'ai l'impression d'avoir une boule dans la gorge

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

54- J'ai l'impression que l'avenir est sans espoir

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

55- J'ai des difficultés de concentration

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

56- J'ai une sensation de faiblesse dans certaines parties de mon corps

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

57- J'ai l'impression d'être tendu

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

58- J'ai une impression de pesanteur dans les bras ou dans les jambes

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

59- J'ai des idées de mort ou l'idée de mourir

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

60- Je mange trop

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

61- Je me sens mal à l'aise quand on me regarde ou qu'on parle de moi

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

62- Il me vient des pensées qui ne sont pas les miennes

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

63- J'ai envie de battre, de blesser ou de faire du mal aux gens

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

64- Je me réveille seul tôt le matin

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

65- Je dois recommencer certains actes tels que toucher, compter, nettoyer

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

66- Mon sommeil est agité ou troublé

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

67- J'ai des envies de mettre en pièces ou de casser des objets

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

68- J'ai des idées ou des croyances que les autres ne partagent pas

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

69- Je me sens très gêné vis-à-vis des autres

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

70- Je me sens mal à l'aise dans la foule, par exemple dans les magasins ou au cinéma

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

71- Tout représente un effort pour moi

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

72- J'ai des bouffées de terreur ou de panique

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

73- Je suis mal à l'aise si je dois manger ou boire en public

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

74- Je me dispute fréquemment

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

75- Je me sens nerveux quand on me laisse seul

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

76- J'ai l'impression que les autres n'apprécient pas à sa juste valeur ce que je fais

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

77- Je me sens seul, même quand je suis avec d'autres gens

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

78- Je me sens si énervé que je ne peux pas rester assis

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

79- Je me sens bon à rien

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

80- J'ai l'impression que des choses familières sont étrangères ou n'ont pas l'air réel

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

81- Je crie ou je lance des objets

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

82- J'ai peur de m'évanouir en public

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

83- Je pense que les gens profiteraient de moi si je les laissais faire

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

84- J'ai des pensées liées au sexe qui me préoccupent beaucoup

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

85- Je pense que je devrais être puni pour mes péchés

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

86- J'ai le sentiment d'être contraint à faire des choses

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

87- Je pense que mon corps est atteint de quelque chose de grave

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

88- Je ne me sens jamais proche de quelqu'un

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

89- Je me sens coupable

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

90- Je pense que quelque chose va mal dans mon esprit

1. Non pas du tout
2. Oui un peu
3. Oui moyennement
4. Oui beaucoup
5. Oui extrêmement

Donc la SCL-90R est formée de 90 phrases courtes composées de mots simples, décrivant des plaintes ou des symptômes divers pour lesquels le sujet doit choisir une des cinq réponses possibles : non, oui un peu, oui, moyennement, oui beaucoup, oui extrêmement, définissant des degrés 0-1-2-3-4.

En outre, Derogatis (Derogatis (1981). P.89.) en a extrait :
Trois indices globaux de gravité :

G.S.I. : Gravité globale : score total divisé par 90, c'est l'indicateur le plus sensible de la détresse psychologique de la personne, alliant des informations relatives au nombre de symptômes et à l'intensité de la détresse.

P.S.T. : Diversité ou Intensité des Symptômes Rapportées : nombre de réponses autres que 0. C'est l'indicateur de l'intensité des symptômes et la perception que le sujet a de sa détresse.

P.S.D.I. : Degré de malaise : score total divisé par le P.S.T. Il indique le nombre de symptômes rapportés par l'individu quelle que soit leur intensité, il contribue à l'interprétation du profil de détresse.

Ces 90 items ont pour but d'évaluer le profil psychopathologique de l'individu en général à partir des échelles que nous allons éclaircir dans le tableau suivant, tableau qui illustre la structure factorielle :

Facteur	n° de l'item	Item
Somatisation	1, 4, 12, 27, 42, 48, 49, 52, 53, 56, 58, 40	Reflète l'éprouvé provenant de la perception du dysfonctionnement corporel
Symptômes obsessionnels	9, 10, 28, 38, 3, 45, 46, 51, 55, 65	Syndrome du même nom
Sensitivité interpersonnelle / vulnérabilité	6, 21, 34, 36, 37, 41, 61, 69, 73	Sentiment d'infériorité et d'inadéquation par rapport aux autres, anticipation dans les relations interpersonnelles
Dépression	5, 14, 15, 20, 22, 26, 29, 30, 31, 32, 54, 71, 79	Syndrome dépressif
Anxiété	2, 17, 23, 33, 39, 57, 72, 78, 80, 86	Anxiété – tension
Hostilité	11, 24, 63, 67, 74, 81	Agressivité – tendance au passage à l'acte
Phobies	13, 25, 47, 70, 75, 82, 50	Phobies sociales et agoraphobie
Traits paranoïaques	8, 18, 43, 68, 76, 83	Hostilité, méfiance, égocentrisme, perte d'autonomie, hallucinations idées de grandeur
Traits psychotiques	7, 16, 35, 62, 77, 84, 85, 87, 90	Symptômes de schizophrénie et comportement schizoïde
Symptômes divers	19, 44, 59, 60, 64, 66, 89	Symptômes aspécifiques, importants sur le plan psychopathologique

Ainsi, nous pouvons signaler que chaque item est lié à plusieurs questions où un facteur étudié est mis en jeu.

Les scores d'échelles sont calculés par sommation des notes d'items (degrés 0,1, 2, 3, 4) divisés par le nombre d'items du facteur. Les indices globaux sont également calculés suivant les formules indiquées. Les scores sont ensuite portés sur une feuille comportant les résultats établis lors de la première passation de l'instrument au sujet, suivis avant et après afin de pouvoir être comparés.

2- Pour le Questionnaire Salamanca (Urdaniz, A.P., Larrosa, V.R. et Gazol, M.G. (2007). P. 16.), c

Concernant l'évaluation des attitudes (intérêts, personnalité, valeur, etc.) nous préférons l'utilisation du terme questionnaire à celui de test qui est plus spécifiquement lié à

l'évaluation d'aptitudes (De Singly, F. (1992). P.82). Selon la nature des questionnaires, nous distinguons les questionnaires à stimuli analytiques (nous demandons au sujet de se décrire par rapport à des situations particulières, décrites dans tous leurs détails) et les questionnaires à stimuli globaux (par exemple des adjectifs descriptifs de la personnalité, des énoncés de professions ou encore des verbes décrivant des activités professionnelles). Contrairement aux tests d'aptitudes, dans les questionnaires d'attitude, il n'y a pas de bonnes ou de mauvaises réponses.

De retour au Questionnaire Salamanca, il s'agit d'un questionnaire d'évaluation des troubles de la personnalité. Le sujet répond aux 22 questions élaborées, selon sa manière d'être habituelle et non suivant l'état dans lequel il se trouve à un moment donné.

NOM ET PRENOM :	
DATE : SEXE:	DIAGNOSTIC :
AGE:	
ETAT CIVIL :	
PROFESSION :	
TRAITEMENT :	

1.

Je pense qu'il vaut mieux se méfier des gens

V	Parfois	Souvent	Toujours	F
	1	2	3	

2. Je suis prêt à donner aux gens ce qu'ils méritent.

V	Parfois	Souvent	Toujours	F
	1	2	3	

3. Je préfère réaliser des activités que je peux faire seul.

V	Parfois	Souvent	Toujours	F
---	---------	---------	----------	---

4. Je préfère rester seul avec moi-même.

V	Parfois	Souvent	Toujours	F
---	---------	---------	----------	---

5. Les gens pensent-ils que vous êtes bizarre ou excentrique?

V	Parfois	Souvent	Toujours	F
---	---------	---------	----------	---

6. Je suis plus en contact avec le paranormal que la plupart des gens.

V	Parfois	Souvent	Toujours	F
---	---------	---------	----------	---

7. Je suis trop émotif

V	Parfois	Souvent	Toujours	F
---	---------	---------	----------	---

8. Je donne beaucoup d'importance et d'attention à mon image.

V	Parfois	Souvent	Toujours	F
---	---------	---------	----------	---

9. Je fais des choses qui sont en marge de la loi.

V	Parfois	Souvent	Toujours	F
---	---------	---------	----------	---

10. J'ai peu de considération pour les droits des autres.

V	Parfois	Souvent	Toujours	F
---	---------	---------	----------	---

11. Je suis quelqu'un de spécial et je mériterais d'être reconnu.

V	Parfois	Souvent	Toujours	F
---	---------	---------	----------	---

12. Beaucoup de gens sont jaloux de moi et m'envient pour mes mérites.

V	Parfois	Souvent	Toujours	F
---	---------	---------	----------	---

13. Mes émotions sont comme une montagne russe.

V	Parfois	Souvent	Toujours	F
---	---------	---------	----------	---

14. Je suis impulsif.

V	Parfois	Souvent	Toujours	F
---	---------	---------	----------	---

15. Je me demande souvent quel est mon rôle dans la vie.

V	Parfois	Souvent	Toujours	F
---	---------	---------	----------	---

16. Je me sens facilement ennuyé et vide.

V	Parfois	Souvent	Toujours	F
---	---------	---------	----------	---

17. Les gens vous considèrent-ils: trop perfectionniste, entêté ou rigide ?

V	Parfois	Souvent	Toujours	F
---	---------	---------	----------	---

18. Je suis pointilleux, minutieux et je travaille trop.

V	Parfois	Souvent	Toujours	F
---	---------	---------	----------	---

19. J'ai besoin de me sentir choyé et protégé par les autres.

V	Parfois	Souvent	Toujours	F
---	---------	---------	----------	---

20. J'ai du mal à prendre des décisions tout seul.

V	Parfois	Souvent	Toujours	F
---	---------	---------	----------	---

21. Je suis nerveux.

V	Parfois	Souvent	Toujours	F
---	---------	---------	----------	---

22. J'ai très peur de me rendre ridicule.

V	Parfois	Souvent	Toujours	F
---	---------	---------	----------	---

Pour le mode de passation, nous demandons au sujet de mettre dans la case de son choix : V pour vrai et F pour faux. S'il répond vrai, il doit indiquer le degré d'intensité de sa réponse : 1 Parfois, 2 Souvent et 3 Toujours.

Groupe A	PAR	PARANOÏAQUE (items 1 et 2)
	SCH	SCHIZOÏDE (items 3 et 4)
	SHT	SCHIZOTYPIQUE (items 5 et 6)
Groupe B	HIST	HISTRIONIQUE (items 7 et 8)
	ANT	ANTISOCIALE (items 9 et 10)
	NAR	NARCISSIQUE (items 11 et 12)
	IE IMP	Trouble Émotionnellement labile de la personnalité : Type IMPULSIF (items 13 et 14)
	IE LIM	Trouble Émotionnellement labile de la personnalité : Type BORDERLINE (items 15 et 16)
Groupe C	ANAN	ANANKASTIQUE (items 17 et 18)
	DEP	DÉPENDANTE (items 19 et 20)
	ANS	ANXIEUSE (items 21 et 22)

Suivant la nomenclature du DSM-IV TR : Paranoïaque, schizoïde, Schizotypique, Histrionique, Antisociale, Narcissique et Dépendante.

Suivant la nomenclature du CIM-10 : Trouble Émotionnellement labile sous-genre Impulsif, Trouble Émotionnellement labile sous-genre Borderline, Anankastique et Anxieuse. Pour la correction du questionnaire, nous additionnons le total des points obtenus dans les réponses vraies pour chaque trouble puis nous reportons la ponctuation dans le tableau suivant :

Le tableau de la ponctuation des troubles

	Groupe A			Groupe B					Groupe C		
	PAR	SCH	SHT	HIST	ANT	NAR	IE IMP	IE BOR	ANAN	DEP	ANX
6											
5											
4											
3											
2											
1											
0											

3- Par contre, l'entretien psychologique (Nahoum, C. (1958). L'entretien psychologique. Paris : P.U.F., p. 11) a 3 fonctions: recueillir des données, informer et motiver. S'adressant à l'interviewer, une personne raconte son histoire, donne sa version des faits ou répond aux questions concernant le problème qui est à l'étude ou l'enquête en cours... Ces informations aident à donner un aperçu historique indispensable sur la vie de la famille de l'individu.

L'entretien permet de saisir le point de vue de la personne à travers son histoire vécue et dans le contexte précis des phénomènes étudiés.

4- Et pour terminer, parmi les diverses techniques proposées aussi en psychologie sociale, notre choix peut se poser sur l'enquête par questionnaire pour maintes raisons (De Singly, F. (1992). P.23) :

- 1) Elle permet de déceler les facteurs pouvant intervenir dans l'apparition de certains troubles psychologiques chez les personnes.
- 2) Elle offre l'avantage d'être parmi les techniques les plus rapides, les plus économiques du point de vue temps et travail de dépouillement.
- 3) Et elle semble utile et préférable surtout si l'objet de la recherche porte sur un sujet délicat (tel que le service militaire au Liban), et auquel l'enquêteur ne pourrait accéder que difficilement.

Il faut bien noter que tout instrument de mesure a des propriétés générales qui sont la sensibilité, la fidélité et la validité. Les propriétés spécifiques d'un test sont la standardisation et l'étalonnage (la note n'est pas interprétée, elle est convertie en rang). Ainsi, tout test psychologique doit mesurer ce qu'il est sensé mesurer. Il doit être indépendant au possible de facteurs situationnels et temporels. (Arthurs S. Reber. (1985). P.59).

Parmi les difficultés affrontées aussi, il y a l'obtention du permis pour effectuer la recherche sur le terrain visé et puis après, dans quelques phases, surtout durant la passation, car notre souci étant toujours de situer les instruments de mesure dans les meilleurs conditions de réalisation. De là, il faut essayer lors du contact avec les personnes de préciser l'objet d'étude et les objectifs poursuivis, de communiquer quelques informations concernant le déroulement de l'entretien et la passation des autres techniques (temps prévu, possibilité de scinder l'entretien en deux temps, enregistrement). Tout en assurant également le principe de confidentialité et l'anonymat ainsi que l'entière liberté du choix des heures de l'entretien.

De même, la méthode comparative adoptée dans une recherche est imposée pour comparer les deux groupes, sujet de l'échantillon afin de savoir si les facteurs étudiés influent sur la construction identitaire des personnes visées dans l'étude.

La comparaison est quantitative et l'analyse se fait en utilisant

le logiciel informatisé de traitement des données SPSS version 15 en vue de confirmer ou d'infirmier les hypothèses opérationnelles.

Les résultats du pré-test et du Post-test doivent être schématisés en tableaux et en diagrammes tout en analysant les données et tout en expliquant les résultats obtenus.

De retour à notre recherche, et parmi les problèmes soulevés, nous pouvons supposer qu'il est difficile de faire parler un élève-officier de son vécu d'une manière directe. C'est pourquoi, la grille d'entretien était globale et les questions qui concernent plus particulièrement les manifestations des troubles ont été posées d'une manière plus ou moins « déguisée ». Nous avons considéré que cette manière d'interviewer est capable de nous livrer le fonctionnement du système patriarcal dans la construction identitaire et de donner l'éventail des types des élèves-officiers existants dans la société libanaise. Sans oublier toutefois que notre étude sur le terrain est un peu limitée par les procédures administratives ou de sécurités imposées par l'Académie militaire et.

BIBLIOGRAPHIE

Arthurs S. Reber, Dictionary of psychology, Penguin, 1985.

Bachelard, G. (2000). La formation de l'esprit scientifique. Librairie J.Vrin. Collection Biblio Textes Philosophiques. Pages 203.

Bourdieu P. (1980). Le sens pratique. Paris : Editions Minuit. Pages 162.

Corcuff, P. (1995). Les nouvelles sociologies. Paris : Nathan (volume 128). Pages 96.

- Cronbach L.J. (1965). Essentials of psychological testing. Harper & Row. Pages 185.
- Derogatis. (1981). Description and bibliography for the SCL-90R. Maryland : Johns Hopkins University School of Medicine Baltimore. (n°21205). Pages 315.
- De Singly, F. (1992). L'enquête et ses méthodes : le questionnaire. Paris : Nathan. Pages 268.
- Dulac, G. (2000). Les récits de vie des hommes sont-ils crédibles ? in Daniel Welzer (sous la direction de) Nouvelles approches des hommes et du masculin. Presses Universitaires du Mirail. Pages 306.
- Ghiselli E.E. (1964). Theory of psychological measurement. McGraw-Hill. Pages 232.
- Grawitz, M. (1993). Méthodes des sciences sociales. Paris. Dalloz. Pages 270.
- Hirshhorn. (1987). Techniques quantitatives et Techniques qualitatives. Paris : Dunod. Pages 143.
- Kaufmann, J.C. (1996). L'entretien compréhensif. Paris : Nathan. Pages 34
- Mannoni, P. (1998). Les représentations sociales. Paris : P.U.F. Pages 253.
- Moukarzel, J. (2006). Guide de méthodologie pratique pour la recherche universitaire. Kaslik : CEDL USEK. Pages 209.
- Mucchielli. A. (2013). L'identité. Paris : P.U.F. Collection : Que sais-je ? Psychologie et psychanalyse. N°2288. Pages 67.
- Nahoum, C. (1958). L'entretien psychologique. Paris : P.U.F. Pages 184.
- Nunnally. J.C. (1959). Tests and measurements-Assessment and prediction. McGraw-Hill. Pages 327.
- Santiago-Delefosse, M. et Del Rio Carral, M. (2015). Les méthodes qualitatives en psychologie et sciences humaines de la santé. Paris : Dunod. Collection Psycho sup. Pages 216.
- Urdaniz, A.P., Larrosa, V.R. et Gazol, M.G. (2007). Questionnaire Salamanca sur les troubles de la personnalité. Paris: Éditions du Centre de Psychologie Appliquée. Pages 187.